العدد الخامس
نوار (مايو) ١٩٥٦
السنة الرابعة
No. 5 - Mai 1956
4ème Année

الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
ص. ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢ - ٢٦٩٩٦
AL-ADAB *REVUE MENSUELLE CULTURELLE*
BEYROUTH - LIBAN B.P. 4123
Tél - 32832 - 26996

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الديمقراطية والإبادة

تكتب هذه الكلمة، وحروب «الابادة» دائرة الرحى في الجزائر المنكوبة بالاستعمار الفرنسي.

وهذه الحروب التقتيلية تتكشف عن عدد من الحقائق لا يمكن ان يعمى عنها العرب:

اولها اننا لا بد ان نسخر بما يسمونه الديموقراطية حين تنهض دولة تزعم انها ديموقراطية لتشن حرب ابادة في بلد يطالب بالحرية والاستقلال، وهي لا تتورع بعد عن التصريح بانها حقاً حرب «ابادة وتقتيل».

وثاني هذه الحقائق ان القوة لم تكن في اية فترة من التاريخ وسيلة الظلم والاغتصاب والارهاب، مثلما هي اليوم، في هذه الفترة التي يزعمون فيها ان الكرامة هي اعظم قوة يتمتع بها الانسان.

وثالثها ان «الضمير العالمي» عبارة مضللة خداعة لا يمكن ان يُطمأن اليها اداة لاعلان الحق. فان هذا الضمير مدخول مزيّف يتخلى عما يفرض فيه من حصانة ومقاومة تجاه المصلحة الخاصة والفائدة الشخصية، ولا سيما اذا اتفقت المصالح الاستعمارية وانسجمت.

ولقد اتفقت المصالح الاستعمارية في ارض الجزائر الشهيدة، فاختنق صوت الضمير ومات. حتى لقد اصبحنا نشك باخلاص تلك الاصوات التي نحسبها حرة، والتي تصاعدت وما تزال تتصاعد في فرنسا مطالبة بمنح الجزائر مقومات الحياة الحرّة.

لقد ارسلت فرنسا قواتها فاستولت على الجزائر، ثم راحت تمكّن الفرنسيين الذين اخذوا يتوافدون، من سلب الارض من اصحابها وتملكها، حتى اصبحت لها جالية تريد اليوم ان تعتبر الجزائر جزءاً من الارض الفرنسية. وفي سبيل اقرار هذا الاغتصاب لا بد من اعتبار السكان الاصليين «عصاة» خارجين على القانون ولا بد من تقتيلهم وابادتهم!

ذلك هو منطق الديموقراطية الفرنسية — المنطق الذي ايدته جميع الاحزاب الفرنسية، والذي صمتت أمامه معظم الاصوات الحرة التي كانت ترتفع ضد الظلم والطغيان في شتى المناسبات... فأطلقت يد الحكومة الفرنسية في حرب الابادة، وارسال المزيد من الامدادات العسكرية لاستئصال الثورة الجزائرية واخماد المقاومة القومية.

وبعد، فلعل فرنسا هي آخر الدول والامم التي تعتبر بالتاريخ وتتعظ بالاحداث. فان معاني النضال والثورة بين الشعوب، ما تزال مغلقة على افهامها، وان حس الجدارة الانسانية والكرامة البشرية بعيد عن ان يكون له اية قيمة عندها، وهي ستظل ابداً تفاجأ بالاحداث، وتُخرج اخراجاً من الارض التي تغتصبها، وتمنى بالهزائم السياسية والمعنوية، حتى تستيقظ على نفسها، فتجد انها فقدت كل شبر خارج ارضها.

ولكن الوقائع ما تزال تنبيء بأن يقظة الشعب العربي، في كل اجزاء الوطن العربي، اسرع واقوى من يقظة الاستعمار على ضياع مصالحه.

سوف تذهب مئات اخرى من الضحايا في الجزائر، وسوف تحرز اساطيل فرنسا انتصارات باهرة على «العصاة» ولكن «العصيان» هو الذي سينتصر آخر الامر، ولو بلغت تضحياته الالوف من القتلى. فلا بد ان تطهّر دماؤه الارض من آثار المغتصبين.

الآداب

رسالة إلى صديقي

[من سجين عربي في الجزائر الى رفيقته المناضلة]

•

تقولين لي ، والجدار الكبير
يحجّبُ عينيك عن مقلتيّا
« غداً نلتقي ، فالرجاء الاخير
تراءى اليا ، وأحنى عليّا »
والقاكِ اغنية هائمه
تضيء على ليلي المطبقِ
مكافحةً ، حرةً ، حالمه
على باب زنزانتي المُغلقِ
انا لم ازل من وراء الجدار
وراء القيود ، وحيداً اغني
تشدُ على مرفقيّ القيود
واقضي الليالي الحزانى بسجني
وافتح نافذتي للضياء
لعل التحايا تواتيك مني
وأطبق اجفانيَ الشاحبات
واسألُ اين اغانيك عني
هوانا ، واحلامنا الساهده
رؤانا ، واشواقنا الخالده
نداء بعيد
تحدّر من قمة عاليه
لينشقّ عن صرخة كالجنون
وكالريح هائجة كالجليد
وكالخوف شاحبة ، كالعبيد
كمأساة موطنك الداميه
أفي كل يوم وداع حزين؟ -

وفي كل يوم «غداً نلتقي» ؟
هو الذهب المستبدّ الحقير
واصنام عالمه الاحمق
ولا بدّ ، لا بد من مُلتقى
مع النور في كوكبٍ مُوثقِ
نكابدُ فيه ثقالَ الهموم
وننشرُ فيه رؤى المشرق
تلوحين لي في الفضاء المديد
وفي وجنتيك ظلالُ عزائي
فالمح في راحتيك الربيع
وفي مقلتيك ارى اصدقائي
احبك ، اغنية قلتها
لنفسي ، فلم تعلمي ما بيه
سأصمت حتى يحين اللقاء
لأهمسها مرة ثانيه
احبك ، انشودة صغتها
من الليل ، والغاب ، والجدول
من السهل ، من هدأة السنبل
ومن خفقة المنجلِ
من الصخر ، من رنة المعول
من المطعمين باسخى الدموع
عويلَ الدواليب في المعمل
.. وتهجع احلامك الهائمات
على نجمة ضوأت في الافقْ
تلوحين لي من وراء المدى

رؤى شمعة في الدجى تحترق
اذاً نحن لم نفترقْ
ولم نحترقْ
فكيف نبث نشيدَ اللقاء
بهمسٍ نديٍ وقلب خفقِ
وكيف نسير مع الراحلين
الى عالم الامل المنطلق
.. سينهارُ هذا الجدار الكبير
وينداكُ سور الشقاء المرير
ويحدو قوافلنا المقبلات
مع الشمس ، صوتُ الرجاء الاخير
وتغمرني بالرؤى والضياء
عوالمك الثرة المشرقه
وتأوي الى غرفتي المغلقه
نجوم توهجن في مقلتيكِ
ويهمي على وحدتي المرهقه
لهيب الليالي على وجنتيكِ
وتستقبلين مع العائدين
من الليل ، من جبهات القتال
عناقيد مضفورةً من لهيب
من الحبِ ، من اغنياتِ النضال
ومن ليل نجمتك الساطعه
وزيتون قريتك الضائعه
وراء السهول ، وراء التلال
وراء الليال ...

بغداد — **كاظم جواد**

مأساة شعب.. وتبلّد ضمير!

بقلم عثمان سعدي

ان قيمة فرنسا او قيمة الشعب الفرنسي او قيمة الضمير الفرنسي في ميزان الانسانية العادل، لا تقوم في التراث الفكري الفرنسي بالرغم مما فيه من آراء واحساسات انسانية، لان هذه لم تعد النطاق النظري ولم تتجاوز الحدود الزمانية ـ المكانية الضيقة. ولا تقوم كذلك في «الليسيهات» او المعاهد الفرنسية المنتشرة في البلدان التي تربطها بفرنسا رابطة الصداقة، لان هذه «الليسيهات» لا تضم الا اساتذة تعدهم وزارة الخارجية الفرنسية اعداداً كاملاً ليؤدوا رسالتهم الدعائية احسن تأدية. ولا تقوم كذلك فيما كتب عن الثورة الفرنسية، لان مفهوم مبادىء هذه الثورة عند الفرنسي محدود، فهذه المبادىء الثورية ليست مبادىء خالدة لديه، وانما هي نوع من الحقوق مقصورة على جنس معين في زمن معين ووسط رقعة مكانية معينة اطلق عليها اسم فرنسا.. انا لا انكر ما في التراث الفكري الفرنسي وما في (الليسيه) او الجامعة الفرنسية من معانٍ انسانية سامية استفادت منها الانسانية في الميدان التطبيقي العملي، ولكن الشيء الذي انكره وينكره الواقع المستمد من تاريخ فرنسا الحديث ان يكون الفرنسي اخلص لهذه المبادىء عندما اراد تطبيق آرائه في بلدان غير بلاده، وعلى اجناس غير جنسه. **وما قيمة المبادىء اذا بقيت في الاطار النظري ؟**

لعل هذه السنوات الاخيرة كشفت عن تجاعيد وجه فرنسا، فبدت الشخصية الفرنسية في الشرق الاقصى منذ سبع سنوات كما هي في الواقع، لا كما تريد ان ترسمها الوسائل الدعائية المضللة، فقد فهم الشرق الاقصى حقيقة مادة (ف ر ن س) فهماً عميقاً في هذه السنوات التي استغرقتها حرب الهند الصينية؛ ويوشك الشرق العربي ان يفهم حقيقة المادة الآن بعد ان اندلعت ثورة المغرب العربي. ومن اراد معرفة الشخصية الفرنسية الحقيقية بابعادها: بغرورها وبكبرها الذي يقارب الشعور بالالوهية فليذهب الى المستعمرات الفرنسية. ومن اراد معرفة تبلد الضمير الفرنسي فليمعن النظر في موقف الشعب الفرنسي منذ سنة ١٨٣٠ حتى يومنا هذا ازاء طرق الابادة التي تسلكها السلطات الفرنسية والجالية الفرنسية في الجزائر للقضاء على العنصر الجزائري ولاحلال العنصر الفرنسي محله.

ان الجزائر منذ ان وطئتها اقدام الفرنسيين كانت مسرحاً لتيارين متناقضين: تيار انساني نضالي وهو الدفاع عن الشرق وعن الحرية وعن الكرامة الانسانية الذي يمثله العنصر الجزائري؛ وهو لا يملك من الوسائل الدفاعية إلا ايمانه بحقه وبهذه الارض الجزائرية التي انعكس عليها هذا الحق وتأطرت فيها هذه الحياة؛ وتيار آخر وحشي انتهازي يتعارض مع أبسط المعاني الانسانية يقوم به الجيش الفرنسي او الجالية الفرنسية في الجزائر تعززها كل ما اوتيت فرنسا من قوة السلاح والعتاد والتجارب الحربية: نزعتان متناقضتان نزعة تحريرية انسانية جزائرية، ونزعة استعمارية وحشية فرنسية

> **«قبل ان نحكم ونستعمر، يجب على الاهالي ان يقبلوا قوانيننا، وهناك دليل على انهم لا يقبلونها الا بالقوة، وهذه القوة تظل عاجزة اذا لم تؤثر على الاشخاص والمصالح. فاذا استمررنا في مراعاة الشعور الانساني ربما تظل الحرب قائمة في افريقيا الى الابد، وبهذه الطريقة لا نستطيع ادراك واجبنا الوطني !!.»**
>
> **الجنرال بوجو**

دخلنا في صراع حاد منذ سنة ١٨٣٠ ولا زال هذا الصراع مستمراً الى هذه الايام...

ونحن في هذا المقام لا نريد ان نعرض لتـــاريخ هذا الصراع، لان هذا موضوع لا تحصره مجلدات .. وانما نريد ان نتناول مسألة اثيرت في هذه الايام واهتمت بها صحافة العالم واذاعاته، وانتشر هذا الاهتمام حتى وصل الى الدوائر الرسمية العربية ، وهذه المسألة هي « الضمير الفرنسي » : لقد اغترت بعض العقول اللينة بهذا الاصطلاح المبتكر في قاموس الاستعمار الفرنسي فظنت ان الضمير الفرنسي هو الذي سيمنح حقوق الشعوب المغلوبة على امرها ...

واذا ما قسنا الضمير بالمقياس العلمي النزيه قلنا بـــأنه : **تلك القوة التي تكمن في كيان فرد او شعب والتي تعترف بالحق فتعززه وبالواقع فتجابهه منقادة الى هذا الاعتراف بنزعة انسانية مكتسبة من تجارب حية مستمدة من الامتداد التاريخي للانسان.** هذا هو تعريف الضمير ، فلنفرض جدلا كما يقول المناطقة - ان هناك شيئاً يقال له الضمير الفرنسي ولنحاول ان نقيسه بهـــذا المقياس الحقيقي .. هل اعترف الفرنسي بالحقيقة منذ ان دخل الجزائر ؟ هل جابه الواقع ؟ وهل هذا الاعتراف او هذه المجابهة جاءت تلقائية ام اثر قوة مرغمة ؟

لم تقصر الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي في تأدية واجبهـــا الانساني نحو جاراتها التي منها فرنسا . لقد بلغت ديون الجزائر على فرنســـا عشرات من ملايين الفرنكات الذهبية قبـــل الاحتلال. والغريب ان فرنسا

في السنة التي سبقت الاحتلال كانت قد استغاثت - بالحكومة الجزائرية اثر مجاعة اصابتها فاصدرت لها هذه سفناً من القمح وأجلت دفع الثمن نظراً للظروف الاقتصادية الفرنسية ... الا ان الفرنسيين في سنة ١٨٣٠ بدل ان يرسلوا وفودهم ليسددوا ديون الجزائريين وليشكروا هذا الشعب الذي فرج عليهم في ايام محنتهم كما يفعل كل كريم... ارسلوا جيوشاً لتقوم بغزوة مبيتة على الجزائر غير المستعدة لحرب ، وليقلقوا راحـــة شعب كان بالامس القريب يغرق الشواطيء الفرنسية بسفن القمح ليســـد هناك ارماق الجماهير الجائعة المستغيثة .

هكذا بدأت فرنسا تخط صفحة في تاريخها الاسود ، فما ان دخـــل الجيش الفرنسي الجزائر حتى بدأ الضباط الفرنسيون يعيثون في الارض فساداً ويشاركون شعبهم في هذه الاعمال الوحشية . لقد كانوا يكتبون الى عائلاتهم الرسائل المطولة يصفون فيها الحقول المحروقة والبساتين المنهوبة وايدي النساء المقطوعة باساورها ، بل انهم يتجرأون احياناً فيرسلون الاكياس المليئة بالآذان والانوف ونهود النساء الجزائريات . وكانت عائلاتهم تتلقى هذه الرسائل بشوق وتلتهم ما فيها بشغف وربما جعلت لها اطراً وعلقتها على جدران الصالونات حتى تري الزائرين مساهمة ابنائها في هذا الشرف الفرنسي الذي لا يباريه شرف .. لقد كان الضابط لا يصل الى رتبة الشهرة الا اذا اباد آلافاً من الاهالي العزل الامناء كالجنرال بيليزن Berlhezene الذي لم ينكر اعماله الاجرامية حتى بعض المؤرخين الفرنسيين . والجنرال بيليسيه Pelessier الذي احرق في حملة واحدة اكثر من الف جزائري في كهوف نكماريا . لقد كانت جائزة كل ضابط يستولي على منطقة ، التملك بارضها بعد طرد اصحابها منها .. فاين هي الروح العسكرية في اعمال كهذه الاعمال الاجرامية ؟

ثم مضت سنون وتلتها سنون وجاءت الحرب العالمية الثانية التي خرج منها الجيش الفرنسي يجر اذيال الهزيمة والعار بعد ان انقذته الجيوش الاميركية من ابادة النازيين . وفي يوم ٨ مايو ١٩٤٥ ، اي يوم انتهاء الحرب، فكرت فرنسا في هدية تقدمها بهذه المناسبة للشعب الجزائري الذي حارب ابناؤه جيش النازيين الى جانب الحلفاء ، والذي شهد لـه الخبراء العسكريون العالميون بالتفوق في الميدان العسكري ، فكرت فرنسا في هدية تقدمها الى هذا الشعب الجزائري الذي جعلت من تربته قوتاً لابنائها ومن شبابه حمى لسيادتها ، ومن معادنه مواد اولية لمصانعها ، فما كانت هذه الهدية الفرنسية للجزائر النصيرة ?... هي ابادة ٤٥ الفا من زهرة شباب الجزائر ... لقد اغتنمت فرنسا فرصة قيام مظاهرات سلمية تطالب بحقوق الشعب التي وعدت بها على منصة روزفلت الرئيس الاميركي قبل دخولها الحرب ، اغتنمت هذه الفرصة فحولت طيرانها ليدك اربعين قرية جزائرية ، وليمحوها من الوجود ، وحولت اسطولها البحري ليدك مدينة كخراطة ولينسفها بسكانها العرب ، وارسلت جنشاتها لكي يبقروا بطون الحبالى، وليرتكبوا جرائم تقشعر لذكرها الابدان، فكنت ترى الجندي وبيده قرط يقطر دماً ، او يد باساورها ملطخة بالدماء او ... أو ... من هذه الفظائع التي لا يتقنها الا الفرنسيـون المتوحشون المجردون من كل حس انساني ، والتي تجعل كل من له ذرة من الاحساس بانسانيته يخرج من طوره كلما تذكرها او استعرضها في مخيلته..
نعم لقد قتلت فرنسا ٤٥ الفاً من الجزائريين في مدة لا تتجاوز ثلاثة ايام . وان الانسان ليدخل الان مدينة كخراطة او مدينة كقالمة فلا يجد فيها الا الارامل واليتامى، اما الرجال واما الكهول فهذه عناصر تكاد تكون

مفقودة من هاتين المدينتين . نعم لقد جاء الجيش الفرنسي جيش الحرية والاخاء والمساواة في هذا اليوم ليمسح عنه عار الهزيمة والتخاذل امام النازيين لكن .. اين جربت هذه البطولة يا ترى ؟ انها جربت على اهالي عزل حتى من بنادق الصيد ..

لننظر الان في رسالة التعليم بالجزائر : فاللغة العربية لا تعترف بها فرنسا في هذه البلاد التي يتكلم اهلها العربيـــة ويعتبر كل من يقوم بتعليمها او تعلمها شاذا عن القانون ويعتبر كل من يحمل شهادة عربية ليس له حق لا في التوظيـف ولا في التدريس .. اما تعليم اللغة الفرنسية في الجزائر فيعتبر من رسالة فرنسا المقولة « التمدينية في البلدان المتأخـــرة !! » فكثيراً ما تشدق الفرنسيون بأنهم بنوا المدارس والجامعات للجزائريين .. فاذا نظرنا الى هذه المدارس التي بنوها والى هذه الجامعات التي اقاموها وامعنا النظر في نصيب الجزائريين منها ، نرى كاتباً كـ « بيير مورلان » يقول في رسالة حصل بها على درجة الدكتوراه من إحدى الجامعات الفرنسيـــة : «لا يجب ان ننظر الى المواطن الجزائري وكأنه ذو عقل شبيه بعقلنا ، واذا فكرنا في ان التعليم يستطيع ان يغيره تغييراً كاملا ، فاننا نخالف بذلك بل نتجاهل قانون التطور الثابت» ، وهكذا يكون الجزائري في نظر النخبة الفرنسية الواعيـــة المثقفة ليس له عقل شبيه بعقل الفرنسي !

هذا هو منطق الفرنسيين وهذه هي احكامهم في القرن العشرين ، احكام يسيرها التعصب الاعمى ، والعنصرية الممقوتة وتتقبلها لجان المناقشة في جامعاتهم بصدر رحب وربمـــا اجازت اصحابها بالدرجات العالية !

لقد ذكر هنري بورجو المفتش في تقرير قدمـــه لوزارة المعارف العمومية الفرنسية ما نصه : (قال لي مرة وكيل مدير مدرسة في الجزائر عندما كنت اتحدث اليه عن ضرورة اغراء الوطنيين العرب بدخول مدارسنا « ان هـــذا الجنس يجب ان يزول »). نعم ان الفرنسي يؤمن بأن الجزائري جنس لا يستحق الحياة ، جنس تجب ابادته لكي يحل محله جنس آخر يستحقها !! هذه هي فلسفة كل الفرنسيين ، وقد عملوا لها باخلاص منذ دخولهم الجزائر الى الآن .. عملوا لهـا عن طريق الابادة العسكرية الجماعية ، عملوا لها عن طريق الآفات الاجتماعية كالفقر والمرض والجهل التي بثوهـــا بين الجماهير الجزائرية : **ان الفقر والمرض عنصران يسيران جنباً الى جنب بازاء الطائرات والاساطيل البريـــة والبحرية**

الفرنسية منذ ١٨٣٠ ، لتطبيق سياسة الابادة في الجزائر ، لكن سنة الطبيعة وقوة الشعب الخفية الغامضـــة جعلت الجزائريين يتماسكون ويأخذ هذا بيد ذاك ويخرجون من الازمات وهم منتصرون عليها جميعاً .

لقد قام مسيو روجيه رئيس المجمع العلمي في الجزائر باجراء مقارنة بين عدد التلامذة الجزائريين وبين عدد التلامذة الفرنسيين في الجزائر فاعطى الاحصاءات الرسمية الاتية عن عام ٤٣ – ١٩٤٤ :

اولا : كان عدد الصبيان الذين بلغوا سن الدراسة من الجزائريين ١,٢٥٠,٠٠٠ صبي من بينهم ١٠٠,٠٠٠ فقط يتلقون التعليم الابتدائي .

ثانياً : كان لدى السكان الفرنسيين ٢٠٠,٠٠٠ صبي يتلقون كلهم التعليم في ١٤٠٠ مدرسة تحتوي على ٤٢٠٠ فصل .

ثالثاً : اي انه كان عدد التلامذة الفرنسيين ضعف عـــدد التلامذة الجزائرين مع ان عدد الفرنسين اقل بنسبة كبيرة جداً من عدد السكان الجزائريين (نسبة السكان الفرنسيين الى الجزائريين = ٩٪)

رابعاً : اما النفقات التي خصصتها الميزانية الجزائرية للتعليم الابتدائي فهي كما يأتي :

٨٨٠ فرنكاً لكل تلميذ جزائري في مقابل ١٦٠٥ فرنكات لكل تلميذ فرنسي .

هذا هو التعليم الابتدائي وهذا هو نصيب الاطفال الجزائريين منه ، فعدد التلامذة الفرنسيين ضعف عدد التلامذة الجزائريين رغم ان عـــدد السكان الفرنسيين مليون في مقابل ١١ مليون جزائري . والتكاليف المخصصة للتلميذ الفرنسي ضعف التكاليف المخصصة للتلميذ الجزائري . واما التعليم الثانوي والعالي في الجزائر حسب الاحصائيات الرسمية فهو

كما يأتي :

التعليم الثانوي : بلغ عدد الطلبة الجزائريين في المدارس الثانوية حسب احصائية سنة ١٩٥١ : ٣٦١٥ طالباً في مقابل ٢٥٥٠٠ طالب فرنسي ، فنسبة الطلبة الجزائريين في المدارس الثانوية للطلبة الفرنسيين هي ١٢ ٪ بينما نسبة السكان الجزائرين للفرنسيين ٩١٪ .

التعليم العالي : ان التعليم العالي في الجزائر مهزلة كبرى ، فاللغة الاساسية للجامعة الجزائرية هي الفرنسية وفي كلية الاداب قسم للغة العربية هزيل. ومن اجل ذلك فمن النادر جداً ان نجد من له جرأة المخاطرة بمستقبله الثقافي والانتساب الى هذا القسم [1] . واما احصاء الطلبة في جامعة الجزائر حسب احصائية الولاية العامة الرسمية لسنة ١٩٥١ فهي كما يأتي « ٤٠٠٦ طلاب» في مقابل ٣٩٨ طالباً جزائرياً » . اليست هذه مهزلة وفضيحة لفرنسا التي تتشدق دائماً بألفاظ كالعدالة الفرنسية ورسالة الفرنسي التمدينية في البلدان المتأخرة؟ امن العدالة ؟ اباسم المدنية ان يخصص الفرنسيون الجامعة الجزائرية لابنائهم ويحرموا منها ابناء الشعب الذي نبت من تربة هذا الوطن والذي بنى هذه الجامعة بدمه وعرقه وكده ؟

ويتشدق الفرنسيون انهم عبدوا الطرق في الجزائر واقاموا السدود واستخرجوا المياه . نعم لقد عبدوا الطرق ومدوا السكك الحديدية الا ان هذا لم تستفد منه الا مستعمراتهم والمدن الكبرى التي يسكن اغلبها الفرنسيون . اما المناطق التي يتكاثف فيها عدد السكان الجزائريين فانها خالية من المواصلات بتاتاً ، ولا يزال الاهالي حتى الآن يضطرون الى قطع عشرات الاميال للوصول الى اقرب طريق او الى اقرب محطة للسكك الحديدية. حقاً .. لقد استخرجوا المياه وبذلوا جهوداً كبرى لانشاء الخزانات الان هذا حدث في اراضي المستعمرين الفرنسيين بينما اهملت جميع الاراضي التي يقيم فيها الفلاحون الجزائريون التي تحتوي على ثلاثة ارباع الاهالي . لقد جاء في ملحق ميزانية المياه عن عام ١٩٥٠ - ١٩٥١ : بأن الخزانات التي تستفيد منها قرى المستعمرين خصص لها لعام ١٩٥٠ - ١٩٥١ اعتماد قدره : ١٦١٨ مليوناً من الفرنكات مع تعهد باعتماد مبلغ ١١٢٥ مليونا لعام ١٩٥١ - ١٩٥٢ واعتماد ٤٠٠ و٥١٠ ملايين لعام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ بينما خصص لميزانية المناطق التي يسكنها الجزائريون اعتمادات قدرها ٢٤٠ مليوناً لسنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ و ٣٠٠ مليون لسنة ٥٢ - ١٩٥٣ . وتوجد الى الآن في الجزائر قرى بأكملها يعد سكانها بعشرات الالاف لا تشرب من المياه المكررة المستخرجة بالطرق الفنية الحديثة بل تضطر الى استجلاب المياه من المنابع النائية عنها التي تنبع تلقائياً ، وكثيراً ما تجف هذه المنابع او تغور فيعز الماء وتموت الحيوانات عطشاً ..

ويتشدق الفرنسيون بانهم اصلحوا الاراضي الجزائرية وكيفوها بالطرق الفنية الحديثة فزاد محصولها وكثر انتاجها . حقاً .. لقد ادخلت اصلاحات على الاراضي الجزائرية الا ان هذا الاصلاح حدث بعد ان استولت السلطة على اخصب الاراضي ووزعتها على مجموعة قليلة من المزارعين الفرنسيين ، لقد كان الضابط الفرنسي - ايام الاحتلال - يجازي باراضي المنطقة التي يستولي عليها ، واذا علمنا بأن الجزائر لم تستسلم مرة واحدة لجيش الاحتلال بل استمرت حرب المقاومة مدة ٧٤ سنة سقطت خلالها الجزائر شبراً شبراً ، وجدنا بان الاراضي الصالحة كلها استولى عليها العسكريون الفرنسيون كغنيمة حربية بعد ان طردوا اصحابها الى المناطق الجبلية الصخرية او الصحراوية القاحلة . وتنص الاحصائيات الرسمية على ان الممتلكات العقارية في الجزائر تبلغ ٢١ مليوناً من الهكتارات يملك الجزائريون منها ملكاً شخصياً ٩ ملايين و١٢ مليوناً تملكها ملكاً شخصياً شرذمة من الاقطاعيين الفرنسيين ، واذا علمنا بان عدد الشعب الجزائري ١١،٠٠٠،٠٠٠ كله يعيش على الزراعة مع الملاحظة بأن الجزائريين محرومون من الامتيازات التجارية ومن الوظائف الحكومية ، واذا علمنا بان المليون فرنسي الموجودين بالجزائر هم الذين يؤلفون طبقة الموظفين الصغار والكبار من الشرطي البسيط والسكرتير الصغير الى الحاكم العام ، وهم الذين يؤلفون طبقة التجار من البدال حتى تاجر الجملة ، وهم الذين يؤلفون الاغلبية الساحقة من طبقة المدرسين والمحامين والاطباء بحيث تصير هذه الـ ١٢،٠٠٠،٠٠٠ مليوناً من الهكتارات الجيدة موزعة على طبقة صغيرة من الفرنسيين تؤلف اقطاعيات ضخمة ، واذا علمنا بان ٩،٠٠٠،٠٠٠ من الهكتارات الشاملة للرديء والجيد موزعة على ١١،٠٠٠،٠٠٠ من الفلاحين الجزائريين المحرومين من مساعدات المصارف واعتمادات البنوك والعون الحكومي، في حين ان المزارعين الفرنسيين انشئت لهم مصارف محلية زراعية وجمعيات

[1] ان المدرس في هذا القسم يشترط فيه ان يكون مستشرقاً ، او تخرج على يد المستشرقين وانه لمن المحرمات ان يكون من بين اساتذة هذا القسم من كان يحمل شهادة من احدى الجامعات الفرنسية ..

تعاونية وفتحت امامهم ابواب كل البنوك الاخرى يأخذون منها القروض التي يريدون ، واحتضنتهم الحكومة الفرنسية فضمنت لهم بيع منتوجاتهم وابدت استعدادها لمساعدتهم بالقروض الضرورية لهم – اذا علمنا هذا كله بدت لنا المساواة التي يتشدق الفرنسيون بانها من ابتكاراتهم واضحة لا يشوبها غموض . ان فرنسا شجعت النظام الاقطاعي في الجزائر وقدمت جميع التسهيلات للاقطاعيين الفرنسيين فنتج عن هذا ان شلت الآلات خدمة الارض وشلت الايدي العاملة التي بقيت من نصيب الجماهير الجزائرية الكادحة ، وحتى هذه المجموعة القليلة التي بقيت تسد فراغاً ضرورياً للجهد البشري في الاقطاعيات الفرنسية – تمثل طبقة صغيرة من العبيد، فالعامل الزراعي الجزائري يتقاضى ثلاثمائة فرنك في اليوم (بينما يتقاضى العامل الزراعي في فرنسا ٢٠٠٠ فرنك يومياً) . وهذه الطبقة من العمال الزراعين بالجزائر محرومة من التأمين الجماعي ومن تشكيل النقابات ومن كل الامتيازات التي يتمتع بها العمال في عالم القرن العشرين . ونتج عن تشجيع الادارة الفرنسية الاستعمارية للنظام الاقطاعي ندرة المنتوجات الغذائية الضرورية وكثرة المنتوجات الثانوية لان المزارع الفرنسي لا يراعي حاجة المجتمع الجزائري وانما ينظر الى ربحه فقط .. وهكذا افتكت الاراضي من القمح وزرعت كرما فمن القمح حتى صار يستورد من الخارج وكثر الخمر حتى صارت الجزائر اول بلد في العالم ينتج الخمر الذي لا يشربه الشعب الجزائري مراعاة لتقاليده ودينه ..

هذا هو الوجه الحقيقي لفرنسا بعد ان تغسل عنه المساحيق .

وهؤلاء هم الفرنسيون الذين ملأوا الدنيا تشدقاً بانهم هم الاساتذة للحرية والاخاء والمساواة، جاءوا الجزائر فوجدوا شعباً غنياً فافقروه واجاعوه، ومتعلماً فسدوا امامه كل ابواب الثقافة وحرموه من امكانيات التعليم[1] حتى تسهل ابادته . وما فشل الفرنسيون في الحصول على صداقة الجزائريين الا لانهم كانوا مغرورين متكبرين يتخيلون انفسهم هم الآلهة على هذه الارض . لقد تبحث عن الفرنسي في الجزائر فتجد ان اباه وجده ولدا بهذه البلاد، لكن هذا لم يمنع من ان يدعوا كل جزائري (محمداً) وكل جزائرية (فاطمة) .. لقبان يطلقهما الفرنسيون على كل جزائري وجزائرية كما يطلق باشوات مصر واجانبها (عبدو) على كل خادم في بيت . ان الفرنسي في الجزائر لا يعرف كلمة عربية واحدة لانه يعتبرها لغة « البيكو » والبيكو اصطلاح فرنسي في الجزائر وهو يعني « قذر » ، وكل عمل دنيء فهو « عمل عربي » travail arabe : تسمع هذه العبارة مئات المرات من الفرنسيين في شوارع المدن الجزائرية وفي اقسام المدارس وحتى في مدرجات الجامعة ..

لكن ما هو السر الذي جعل الجزائريين يحافظون على توازنهم رغم كل الوسائل الابادية التي اتخذها الفرنسيون معهم ؟ السبب هو تلك الروح التعاونية التي وجدت منذ القدم بين الجزائريين والتي جاء الاسلام فشجعها من بعد، والتي بقيت مستمرة حتى الآن رغم كل الوسائل التي اتخذها الفرنسيون للقضاء على هذه الروح لخلق النزاع بين الطوائف الشعبية . ان النظام التعاوني المستحدث الان في العالم الاشتراكي بين المزارعين ، عرفه الجزائريون بصورته البسيطة الكاملة منذ اقدم العصور . (فنظام المشاركة الذي لا زال موجوداً الى الآن بين مزارعينا الجزائريين والذي هو عبارة عن اجتماع مزارعين فاكثر واستغلال اراضيهم وبذرهم ومجهودهم في عمل زراعي موحد ، ونظام الخماسة . ونظام القطاعة التي لا زالت الى الان متبعة بين مزارعينا الجزائريين ، كلها اصطلاحات تدخل في قاموس الروح

[1] كانت نسبة المتعلمين بالجزائر سنة ١٨٣٠ بدء الغزو الفرنسي – ٩٠ ٪

التعاونية الزراعية) . ان الجزائري يتقاسم لقمة العيش البسيطة مع جاره واخيه ولا يرضى ان يأكل منفرداً في الوقت الذي يجوع فيه اخوه بجواره. ان هذه الروح التعاونية خلقت في الشعب الجزائري قوة خفية جعلته يقف بثبات امام القوى الفرنسية الاستعمارية المادية مدة قرن وربع قرن، وهذه القوة الخفية هي التي جعلت الشخصية الفرنسية في التاريخ الحديث تبدو الى جوار الشخصية الجزائرية كما يبدو القزم الى جوار العملاق .. هذه ببنادقها وآلاتها وتلك بطاقاتها الروحية وبقوتها التعاونية . **حقاً ان الاستعمار لمخلوق صغير الى جانب عملقة الشعوب !**

لقد حدث في هذه الايام ضجيج واي ضجيج !! احدثته النخبة الفرنسية حول القضية الجزائرية ، وحول الظلم المسلط على الشعب الجزائري ، وحول القضية المغربية عموماً ؛ الا ان هذا الضجيج جاء بعد اوانه : بعد ان انطلق الرصاص من الجزائري ، وصوب الى صدور الفرنسيين المستعمرين ، وبعد ان تجاوز الجزائري تلك المرحلة التي كان يتحمل فيها كارها قنابل الطيران الفرنسي وقذائف الطرادات الفرنسية وصار يدافع عن نفسه بنفس السلاح الذي يتخذه اعداؤه .. وهذا مالم يتعوده الفرنسيون من الجزائريين منذ نصف قرن ... لقد جاء هذا الضجيج بعد اندلاع الثورة الجزائرية يوم اول نوفمبر ١٩٥٤ وبعد ان شملت هذه الثورة كل طبقات الشعب الجزائري وكل امتداد القطر الجزائري بعد سنة ، وبعد ان وقف الجيش الفرنسي باساطيله البحرية والبرية والجوية وبتجاربه الحربية وببطشه الجماعي الوحشي وبثلاثمائة الف جندي امام قوة الشعب المصممة ، مكتوف الايدي . لقد جاء ضجيج النخبة الفرنسية والمفكرين الفرنسيين بعد هذا كله وكان مقصده وغرضه هو خدمة فرنسا في شمال افريقيا بطرق جديدة استعمارية ..

ونحن نعد قراء « الآداب » على ان نعود إلى دراسة هذه النقطة الحساسة الشائكة في مقال آخر سوف نعنونه بـ « ازمة الفكر الفرنسي امام النضال الجزائري » .

فالى اللقاء ...

القاهرة

عثمان سعدي

ترنيمة ...

بقلم أحمد سويد

[الى كل ام عربية في المغرب العربي]

لم تبق في الافق الغربي مشحة نور
والذرى السامقات ثوت في عيني
وعند السفوح الخضر مات النهار
وتدحرجت الى الوادي كرة الشحرور
وابوك ، ابوك الحبيب لم يعد يا بني !

***

في طفولة الفجر قبّل خديك
وتلمست راحته ، في الظلام ، احتيك
ليقول لك : وداعاً .
وحدّقت بندقيته في جوانب البيت
وحدّقت بمهدك عيناه
وباجفاننا ضممنا مهدك الغالي
باجفاننا ضممناه
ثم مضى ابوك الحبيب يا بني
وكالحلم الهازب غاب عن عيني
وظل في وعي النهار ووعيي رنين خطاه !

***

بعينيك أقسم الا يموت كما تموت الشياه
وأشهدني
واشهد الليل ونجومه الراعشات
والكوخ ، وما في الزوايا من ذكريات
واشهد الوادي وصخوره الغافيات
والسماء اشهدها واشهد الله !

***

ومضى ابوك الحبيب يا بني
يمسح بالنار جبينه الاسمر
ويمد في هشيم الذل لسانها الاشقر ،
ويُطلع الصباح من خنادق الكفاح ،
ويُنطق الحق من شفاه الجراح .
ويجبل الاقدار لصانعي الانيار
لآكلي السنبل من حقلنا
وسارقي الخير من ارضنا
وفرحة الحياة من قلوب الصغار .

***

له شوق الاصابيح والربى والطل
ولهث الطيب ،
وقصائد الجندب العاشق وحكايا النمل ،
وشدو العندليب ،
له شوق النهار ، ومرح السمّار
ونبعة الوادي ، وسروة الدار ،
والعناقيد الشقر في كرمنا
والشخاريب السمر في دربنا
والثلم الطويل وثورنا الخوار !

***

غداً يندلق من افقنا الشرقي فيض النور
وتنبت الذرى شامخات في عيني
وغداً يولد النهار في كوخنا المهجور
وتتعالى من ربانا كرة الشحرور
ويعود ابوك ، ابوك الحبيب يا بني
يعود رفةً في لواء النصر
وبسمة في ثغور الزهر
واباءً في ملامح الابطال
وغاراً في مفارق الاحرار

بيروت احمد سويد المحامي

المروحة

[الى كل عربي يعيش وطنه الكبير ازاء تسعة ملايين عرب في الجزائر الناهضة]

أكذا الريش[1] حرير وُقبل
ابيض كالقطن مياس خضل
مات فيه الحب ظمآن الامل
حين طاشت في الفضاءِ ...
مروحـــه
وهوى
ذلك الريش النديُّ ..
مطرحه
واللهيب ..
يأكل الشوق معه
ودخان كالسراب
غامَ في جوّ الدعه
فبدا الشرّ نيوب
في وجوه الوادعين
وغدا الأنس دموع
في العيون
جامدات لاهبه
انها رمز حِداد !.

***

اكذا الريش بياض في سواد
ونداء في الشفاهِ ..
والجفون ..
حائر تضرمه النارُ ..
وتفديه بآهِ ..
من نهايات السجون
ومزامير السكون !.

---

١ تزعم الاساطير ان الجزائر كانت تقضي عيداً دينياً سنة ١٨٣٠ ، فجاء القنصل الفرنسي ليقدم للحاكم التركي التهنئة باسم دولته ، ولكن القنصل تعجرف واساء الالقاء ، فهدده الحاكم التركي (بمروحة من ريش) كانت بيده . فخرج القنصل غاضبا . فما كان من فرنسا الا ان اعلنت احتلال الجزائر – من غير اعلام اهلها – انتقاماً لشرفها الذي اهانه الاتراك ، اي اهانته الجزائر بالمروحة .

اين يوم العيدِ ..
لحنٌ وضياء ومرح
حيث كنا نزوع الارض هناء
ونريق الحب اطفالاً ..
يلهّيها الغناء
ونرود القمر الزاهي ..
على صدر السماء
ونغني للنجوم الراقصه
اغنيات العاشقين ..
اين يوم العيد ..
رقص وندامى
ودروب الوطن الفرحان ..
سكرى بالخزامى
ما الذي حطم هاتيك القداح
ورمى بالحب في وادي الصباح
ذلك الوادي الغريب
اين يمضي العالمون
دون لحن او نحيب
دون قيد او جراح
ما الذي روّع حلماً وطفوله
وحناناً وامومه
اهو الريش الخضيل الناعمُ
اهو القطن .. الحليب الرائق
ام هو الخزّ العطر
انه الريش .. حرير يتموج
باقة الورد الطري
في يد (الدّالي)[1] المتوج
صاحب (الامر العلي)[2]

---

١ لقب الحاكم التركي آنذاك . والمعروف ان الجزائر كانت خاضعة للاتراك وقد سلموها الى المحتل من غير شرط لولا مقاومة اهلها العرب نحو ربع قرن .

٢ عبارة كانت تصدر وتختم بها المراسيم الحكومية عند الاتراك .

والنسيم
يمنح الوجهَ الوضي
والعيونَ الزرقَ ..
في الوجه الوضي
قبلة منغومة لا تستبين
تنعش التاج المكين

***

سمع الكون ثغاء وانين
ودوياً يخرق الاسماعَ ..
يجتاح السكون
ورأى الناس خِرافاً واسود
تمضغ الحقدَ ..
وترقاه صعود !
ولقد كان على طول الحدود
عاشق يقرع آذان الرقود :
اهو المجد اضطهاد وامتلاك
اهو الدين[1] قيود وانتهاك
اهو الحكم جنون وخراب
وانتقام واغتصاب
فالرجال
للسجون والرصاص
والنساء
متعة مثل المتاع
قد يُبعن او يقتلن خِماص
والصغار للضياع !

***

ما الذي اذهل حلماً وامومه
وحنانا وطفوله
اهو الحقد القتيل
ام هو الريش الخضيل ؟!.

القاهرة ابو القاسم سعدالله

---

١ من المقرر ان الدستور الفرنسي لاديـني .

حول مسألة العربية الفصحى

اين الحرج ؟

بقلم رئيف خوري

« العربية الفصحى في حرج ؟! » هذا البحث الذي انشأه الدكتور عبد العزيز الاهواني في العدد الماضي من «الآداب» يستوقف حقاً بالقدر الذي اشتمل عليه من الصراحة والجرأة والعلم في اثارة مسألة تصعب المبالغة في تصوير مدى اهميتها .

اثار الدكتور الاهواني هذه المسألة بوضوح ودقة حين قال : «هل تعتبر اللغة العربية التي نكتب بها ونخطب بها احياناً لغة حية كالفرنسية والانكليزية ؟ او هي لغة ميتة كاللاتينية واليونانية القديمة ؟ » وبرغم انه لم يجب عن هذه المسألة جواباً مباشراً ، فالمفهوم انه لا يعد عربيتنا الفصحى لغة حية بملء معنى الكلمة ، بل هو يصرح انه في حين من الاحيان اعتقدها لغة ميتة ، غير ان قوة الرجعية في العالم العربي قد حالت بيننا وبين ان نجعل مصيرها كمصير اللاتينية دفناً او تحنيطاً في الكتب الموروثة . ولكن الدكتور على ما يبدو من بحثه ، قد طلق هذا الاعتقاد اليوم ، او هو قد اخضعه لشيء من التعديل . فاذا التمسنا من خلال كلامه ان نخرج بتحديد وضبط لما عسى ان يكون هذا الاعتقاد الذي اصبح يعتقده اليوم ، فما اخالنا ظافرين . فهو لا ينفك يقايس بين حال اللاتينية بالامس واللغات الرومانية (اي : اللغات العامية) وحال العربية الفصحى اليوم والعاميات المنتشرة في العالم العربي . ومع ذلك نراه يعترف بان الحال اليوم هو غير الحال بالامس ، وبان المقايسة لا تصح من جميع الوجوه ، ويدلي على ذلك بالبراهين المقنعة . وهنا لا يملك القاريء ان يسأل : اذاً فما معنى هذه المقايسة التي استغرق فيها واستغرقت اكثر بحثه ؟

وينتهي الدكتور بتلخيص الموقف ان امام العربية طريقين : فاما الموت واما ما سماه التطور الضخم . وهو ينتظر عبقرياً موهوباً يشق للناس سبيل هذا التطور الضخم . والدكتور ساكت عما عسى ان يكون بالتفصيل او بالاجمال هذا التطور الضخم . كل ما يعلمه ان العبقري المنتظر لن يجد منفذاً الى تحقيق هذا التطور الا عن طريق الشعب ولغة الشعب . وكل ما يعلمه ايضاً ان المستقبل القريب لن يسمح بقيام لغتين متميزتين (يعني الفصحى والعامية) بل لا بد من التقارب الشديد ان لم يكن الاندماج التام .

وهكذا يختتم الدكتور الاهواني بحثه على صورة ادنى ما توصف به الغموض . فاذا كانت العربية الفصحى في حرج فالدكتور نفسه في حرج من امره وامرها !

والواقع اننا جميعاً في مثل هذا الحرج . لكني موقن يقيناً لا يتطرق اليه الشك ان هذه المقايسة بين حال العربية اليوم واللاتينية بالامس جهد عقيم مضر ، فضلاً عن انه غلط فاحش . فاللاتينية قد قارن موتها ان العالم الذي كان يتكلمها انقسم قوميات شتى ذات خصائص جوهرية مختلفة منها خاصة اللغة . فاما العالم الذي يتكلم العربية اليوم فهو يسير شطر الاتحاد والتمازج بعكس العالم الناطق باللاتينية في الامس .

وبعد ، يخيل لي ان الدكتور الاهواني يعالج مسألة اللغة بالانقطاع عن العوامل والظروف والاوضاع السياسية . ان مصير العربية الفصحى لا يمكن فصله قط عن معركة العرب والاستعمار . فهل يستمر هذا الاستعمار بشتى اشكاله وصوره ، فيستمر في حرب اللغة العربية كما حاربها بالامس ، ام ينهار هذا الاستعمار انهياراً – على ما هو متوقع محتوم – ويتحرر العرب ويتعاونون ويتحدون ، ويعززون هذه الفصحى التي تؤلف احدى الروابط الوثقى بينهم ، وتخلص الفصحى على ايديهم من هذا الوهن الذي اصابها لمجرد ان ليس وراءها دولة او دول مستقلة كل الاستقلال قوية كل القوة ؟

افيحسب الدكتور الاهواني ان ثلاثة أرباع هذا « التخريف » الذي نسمعه عن صعوبة العربية لا يسقط بمحض ان تصبح هذه اللغة لغة دولة كبرى ناهضة ، يشترط في مواطنيها ان يتقنوا لغتها ، وتيسر لمواطنيها ان يتقنوا لغتها ،

ولا تنقاد لمواطنيها اسباب الرزق إلا اذا اتقنوا لغتها ؟!

وهذا بالطبع لا يعني أن العربية الفصحى هي في غنى عن ان نطوّرها تطويراً. لكن حرجها في رأيي ليس ناجماً من ضعف في طاقتها على التطور او في قابليتها له، بل هو ناجم عن حرج الناطقين بهذه اللغة، اعني العرب، حرجاً لن يزول إلا بتغلبهم على الاستعمار واستئصال سرطانه، واجتماعهم في كيان عربي قوي ناهض.

فذلك هو الشرط الاساسي لتستعيد العربية الفصحى حريتها التامة، فلا يوجد في ابنائها من يهملها او يزدريها، على النحو الواقع اليوم في بعض الاحوال. وذلك ايضاً هو الشرط الاساسي لنشفى نحن من غيرة الكثيرين منا على الفصحى وسلامتها غيرة ضيقة تؤذيها وتكاد تخنقها بما تسد عليها من منافذ النور والهواء. فاذا شفانا التحرر والاستقلال والشعور بالثقة والعزة من هذه الغيرة المؤذية استطعنا عندئذ بعقول احسن استعداداً وبوسائل اوفر واجدى ان نأخذ في تطوير هذه اللغة تطويراً تتساوق فيه جهود العلماء المتخصصين وابداع ابناء الشعب الذين يرافقون الحياة.

ولن اجيز لنفسي ان اختم هذا التعليق إلا باشارة، ولو سريعة، الى ما يحضرني الآن من الاسس التي ارى ان يتبعها هذا التطوير المنشود للغتنا الفصحى.

اولاً: التماس صيغ جديد يمكن ان تصاغ بها الجمل العربية، وذلك بعد احصاء الصيغ القديمة المعروفة، وبعد تتبع صيغ الجمل في عامياتنا وفي لغات العالم لنرى ايها يمكن الانتفاع به في لغتنا الفصحى المستحدثة.

ثانياً: تشجيع التسكين والتخفيف. (والدكتور الاهواني قد نوه في بحثه تنويهاً موفقاً بفضل التسكين على بقاء صلة العربية الفصحى بالشعب).

ثالثاً: اصطفاء الجميل والمعبّر والمستخف من اللفظ الذي استحدثته العامية والحاقه بلغة الكتابة الفصحى.

رابعاً: أخذ كل لفظ من اللغات الاجنبية لا مرادف له بالعربية، وذلك بعد تحويله إلى وزن عربي.

خامساً: إعادة النظر في أساليب تدريس اللغة العربية وفي طرق تأليف معاجمها.

رئيف خوري

رسالة

[الى (ك) الذي يضع رسائله في صندوق الجوز]

•

يا صديقي
مرّت الايامُ.. والايام.. لكن
لم تقل لي أيّ سرٍ غيبك
فكأنا لم نكن في ساعةِ الضيم معا
يوم هزّتك المقاديرُ معي
وانا أصمد للموت معك

***

وكأنا يا صديقي
لم نعانق بعضنا يوم افترقنا
وتعاهدنا على ملء الرسالات كلاما
وانا انتظر اليوم سلاما
لم تقل لي
يا صديقي أيّ سرٍ غيبك
فكأنا ما التقينا
أنت لا تعرفني الآن.. كمثل الآخرينا
وأنا أشتعل الآن حنينا

***

يا صديقي
هي أرضي.. تلك ما انت عليها الآن تمشي
وتدوس الآن ذكراي.. على الذكرى.. ولكن
أنت لا تعرفني الآن كمثل الآخرينا
المناكيد.. الألى يأبون – في العام – سلاما
خلّهم.. يا سيدي.. قوماً نياما
إنما.. انت صديقي
وانا انتظر اليوم الذي تكتب فيه
بعض ما كنا اتفقنا
وافترقنا.

نيقوسيا – قبرص **ابو المكارم عبدالله**

العربية الفصحى في خير

بقلم اديب قعوار

« رغبة في الوصول الى موقف محدد واضح لخير اللغـة العربية » ، لا بل لخير كياننا القومي العربي ، ارى من واجبي لفت النظر الى بعض المغالطات العلمية التي جاءت في مقال الدكتور عبد العزيز الاهواني « العربية الفصحى في حرج » وهي بعض بديهيات اعجب كيف ان الدكتور الاهواني لم ينتبه اليها ، او كيف جوز لنفسه تجاهلها .

اني لأتساءل : باي حق يقرر الدكتور ان العربية الفصحى اليوم في حرج ، وهي لم تكن كذلك حتى في عصر الانحطاط عندما تألبت عليها قوى الإستعمار التركي ، محاولة طمس معالمها وازالة مقومات الكيان العربي المستقل . فقد غالبت العربية الفصحى الزمن وتغلبت على الدهر وهذا دليل قوي على حيويتها .

ومع ان الدكتور الاهواني لم ينس الفرق بين العصر الذي تمر فيه العربية الآن والعصر الذي مرت فيه اللاتينية الا انه لم ينتبه الى اهمية هذا الامر . ولو انه فعل لما رأى موجباً او مبرراً لكتابة مقاله هذا . فالعصر الحديث بمختلف وسائله ومخترعاته كفيل بأن يحقق امنية الدكتور بزوال الازدواج في اللغة العربية ، ولكن بالاتجاه نحو الفصحى لا بانحلالها . فان ما حققته المدنية الحديثة من سرعة وسائل النقل اتاح للكثيرين التنقل بين اجزاء الاوطان الواحدة بسهولة وبسرعة ، مما زاد في تقارب المواطنين وتفاعلهم وتفهمهم للهجات بعضهم ، هذه اللهجات التي يسميها الدكتور « لغات » . هذا ولا ننسَ عوامل الاتصال اللغوي مثل الاذاعة والصحافة والكتب والتعليم . وكل هذا سيكون من نتيجته تهذيب اللهجات المحلية وتقريبها نحو الفصحى حتى يزول الفرق نهائياً بعد فترة من الزمن لا يمكن تحديدها .

والحق ان الازدواجية لم تخل منها لغة من اللغات . ولو كانت نهاية كل لغة الى مثل التمزق الذي يتنبأ به الدكتور لكانت العاقبة اوخم مما قد يتصور . والفوارق بين مختلف اللهجات العربية تتضاءل امام الفوارق القائمة في الكثير من اللغات ، ومنها الافرنسية والالمانية ، وهما لغتا امتين من آصل امم الارض قومية في معناها الحديث . فنرى سكان شمالي كل من فرنسا والمانيا يجدون صعوبة ليست بالقليلة لتفهم لهجات الجنوب في كل منهما .

تصوروا ان كل لهجة في كل لغة من لغات الارض اصبحت لغة قائمة بذاتها ، فسيصبح لكل قرية في العالم ولكل حي من مدنه لغة خاصة لها ادبها ونحوها واعرابها . افيستطيع احدنا ان يتصور هذه البابل الهائلة التي يخبئها لنا المستقبل اذا صحت تصورات الدكتور ؟

واحب ان اوجه نظر الكاتب هنا الى حقيقة بسيطة ، هي ان الفارق بين اللغات القومية التي كانت تشارك اللاتينية الحياة قبل موتها وبين اللهجات العربية الحالية ، هو ان الاولى كانت قد تطورت بشكل اصبحت معه لغات منفصلة عن اللاتينية ؛ وكان الناس لا يستطيعون فهم اللاتينية الا بعد درسها كلغة اجنبية . ولكن هل كان هذا ينطبق على العربية في اي زمن من الازمان التي مرت فيها ؟ لا شك ان الجواب هو النفي .

هذا فضلاً عن ان الامم الاوروبية في فترة احتضار اللاتينية كانت تمر في عصر تكوين قومي متين خلق منها امماً كاملة المعالم ، على عكس الشعب العربي ذي التكوين القومي التام وان لم تأخذ وحدته القومية شكلها السياسي بعد .

يقول الدكتور : « خيّل الي ان روح العبودية الكامن في صدورنا ، وان قوة الرجعية في العالم العربي ، والخوف من الجديد ، والفزع من الحرية ، وضعف الثقة بالنفس ، هو الذي حال بيننا وبين ان نصنع بالعربية ما صنع الاوروبيون باللاتينية . واعتقدت ان الشعب الجاهل المظلوم هو صاحب الحق الاول في تقرير مصيره اللغوي ، لا ارادة له ولا صوت يعبر عنه ، وكان موقفه من العربية الفصيحة اجلالا ورهبة من جانب ، وسخرية واستهزاء من جانب آخر . وهو في الجانبين جميعاً ضعيف الصوت تابع لا متبوع . وان يوم اليقظة لقريب . اليوم الذي يبطل فيه سحر المتشدقين والمتفيقهين والمتفصحين فيسقطون وتسقط معهم

بيان من «الآداب»

تعلن مجلة «الآداب» الى المتعهدين والمشتركين والوكلاء ان جميع المعاملات المتعلقة بها قد اصبحت من حق صاحبها ومديرها المسؤول ورئيس تحريرها الدكتور سهيل ادريس . فالرجاء الرجوع اليه في كل ما يتعلق بالتحرير والادارة والاشتراك .

لغتهم ويرجع التراث الى اصحابه الحقيقيين ، وهنـــاك يختفي الاعراب وتختفي نون النسوة وتختفي اشياء واشيـــاء ليحل محلها الشيء الجديد المتطور .. »ثم يتحدث عن عدم سمـــاح العلماء بتدريس الآداب العامية والقصص القديمة في الجامعات لكون لغتها ركيكة . ويستطرد قائلاً : « اقول اعتقدت ان الروح الجامد لهؤلاء العلماء هو الذي ينشر الرعب والحرج باسم الدين او القومية او الوحدة او المجـــد الغابر فيتضاءل امامه المثقفون وغير المثقفين » .

هذا ما جاء في فقرة من مقال الدكتور الاهواني .ونحن نتساءل: احقاً يرجع السبب في بقاء العربية الفصحى الى رجعية العرب وتغلغل روح العبودية فيهم ؟ لو صح ذلك ، لمـــا رأينا العرب يقاومون الاتراك ومحاولتهم تتريك لغتهـــم وطمس معالم المجتمع العربي ، فمن كمنت في نفســه روح العبودية لا يثور ولا يقاوم . كما انه لا يتأثر عندما يحاول احدهم حرمانه من مميزاته القومية الخاصة ، ومن اهمها اللغة . وهذا ايضاً يتعارض مع عدم الثقة بالنفس الذي يتهم الدكتور العرب به . والحقيقة ان اللغة العربية مع هذا سيطرت على اللغة التركية واصبح الكثير من مفرداتها وقواعدها واسلوبها جزءاً من اللغة التركية .

نعم لقد نظر العرب الى لغتهم نظرة اجلال ولكنها لم تكن نظرة رهبة ، بل بالعكس كانت نظرة محبة وتقدير لشيء ثمين يجب المحافظة عليه وتطويره وانماؤه . واحب ان الفت نظر الدكتور الى ان من كان ينظر الى شيء ما نظرة اجلال لا يمكن ان ينظر اليه نظرة سخرية؛ ففي هذا تناقض فاضح لا يجوز ان يأتي في بحث علمي . واني اعجب كيف ان الشعب الغافل وهو حقاً صاحب الحق في تقرير مصير كل ما يمت اليه بصلة ، اعجب كيف يمكن ان ينظر الى لغتـه نظر سخرية واستهزاء وهو غير مؤهل لجهله للحكم عليها ؟

ان اليقظة آتية لا ريب ، ولكن فعلها سيكون على نقيض ما ذكر الدكتور،اذ ان هذه اليقظة ستكون نتيجة لتثقف الشعب ، وهذا التثقف سيقوي صلة الشعب بلغتـه الصحيحة ، العربية الفصحى وستكون النتيجة كما ذكرت سابقاً .

وهذه اليقظة وهذا التثقيف سيوضحان المفاهيم القوميـة في ذهن الشعب وسيدفعانه نحو العمل في سبيل الوحدة العربية وليس في هذا حرج ورعب، بل شعور بالقوة والثقة بالنفس وتحمل المسؤولية الملقاة على عاتق هذا الشعب . وهـذا من حسنات اليقظة والوعي القومي .

ثم انني اطرح على الدكتور السؤال التالي : هل يعرف حضرته لغة راقية لا قواعد ولا نحو فيها ؟ اعتقد جازماً انه لن يستطيع ان يقدم على ذلك مثلاً واحداً . فكيف يمكن التخلص من الاعراب وهو تحليل الكلمات بالنسبة الى الجمل والنظر فيما لو كانت تنطبق على هذه القواعد وهذا النحو ؟

اما بالنسبة لنون النسوة و « الاشياء والاشياء » فلن اتعرض لهذا البحث ،فان بعض هذه المشاكل سيحلها تطوير اللغة وتسهيل قواعدها . وهذا الشيء لا علاقة له البتة في نظري ببحوث اللغة . فان تطوير لغة من اللغات يتم بمماشاتهـا للزمن واشتقاق تعاريف او كلمات حيث امكن او اقتباسها عن غيرها من اللغات ، ولن يضير هذا اللغة العربية، فهي لا تختلف عن باقي لغات الارض .

واود ان اقول ونحن لا نزال في معرض البحث عـــن

القواعد والاعراب ان رجوع الكثيرين من الكتّاب الى القواعد او الى غيرهم من الكتّاب لتصحيح كتاباتهم لا يشكل نقصاً او ضعفاً في تكوين اللغة العربية . فان ملكة الكتابة الادبية الصحيحة لاتتوفر لكل انسان ولا حتى لكل مثقف . وهذا لا يقتصر فقط على اللغة العربية بل يتعداها الى كل لغة من لغات الارض . فالقضية قضية موهبة تقوى عن طريق المراسلة والمطالعة . ولو لم يكن الحال كذلك لما وجدت الفوارق من ناحية الانشاء الفني بين الادباء والكبار منهم ايضاً .

اما قول الدكتور ان بعض الفنون لم تغزه اللغة العربية على حد تعبيره ، فهو في رأينا اما مغالطة او سوء تعبير ، ولعله وقع في الخطأين معاً . فالفصحى عرفت طريقها الى كل من السينما والمسرح . ولا يهمنا ان نلفت النظر الى هذه الحقيقة بقدر ما يهمنا ان نلفت النظر الى ان لكل لغة ازدواجها ، وازيد على ذلك ان كل لغة من لغات الارض التي عرفت المسرح والسينما تستعمل فيها العامية والفصحى ، وان كانت العامية اكثر استعمالاً في كل من هذه اللغات .

واعتقد ان الدكتور قد شاهد على اقل تعديل شريطاً سينمائياً اميركياً واحداً ولاحظ ان الممثلين لا يتكلمون الانجليزية الفصحى بل بالشكل الذي يتكلم به عادة الناس في اميركا ، ولكن بشكل مهذب يترك المجال للجميع بان يفهموا ما يقال لكون الاميركيين والانجليز يتكلمون لهجات مختلفة . وهذا ما يفعلونه في السينما العربية ايضاً .

واود ان اشير اخيراً الى فائدة نقطة مهمة اشار اليها الدكتور كمال الحاج في محاضرته القيمة « اللغة والقومية » ، وهي تعليم مختلف العلوم في المدارس على مختلف المستويات باللغة العربية .واعتقد ان في هذا الحل الجذري لقضية توسيع وتطوير استعمال اللغة العربية في مجال العلوم والطبيعية منها بشكل خاص . واذا ما وضع هذا في موضع التنفيذ سينشط العلماء الى سد الفراغ الحاصل في التعاريف والمصطلحات العلمية عن طريق الاشتقاق والاقتباس . ولا اعتقد ان اللغة العربية تعجز عن تحمل هذا فقد برهنت في تاريخها الطويل عن اهليتها ومرونتها كلغة عالمية الى جانب كونها لغة ادبية .

اديب قعوار

فلسطينيّة نازحة

لا وحق الحب لن أخلف عهدا
وحنيني رفّ ريحاناً ووردا
انا للثأر وللطفل المفدّى
فارسي في حومة الحرب تردّى
إنه للغمرة الحمراء يهدى
ولدي بين اليتامى وغداً يشتد زندا
قال يوماً لرفاق الصفّ اني أتحدى
ان امي صقلتني واعدتني فرندا
انا للثأر ولن اخلف عهدا
الف بركان بقلبي ليس يهدا
انما الظالم في الدار استبدّا
انا لا اعرف يافا بلدتي بالروح تُفدى
انها في قلب امي عبقت طيباً وندّا
وهيام في مداه الطلق لا يعرف حدا
وهي في مقلة امي بحنان الحب تندى
واجي يا امّ بالروح يؤدّى
عربي كأبي اقتحم الساحات فردا

دمشق **عزيزة هارون**

اغنية في شهر آب

● محاولة لكتابة الشعر باسلوب جديد .. محاولة تطرحها « الآداب » على القراء، وتطلب فيها آراءهم . ●

[تموز : إلـه الخصب والنماء عند البابليين القدماء ، وقد اصبح اسمه فيما بعد (ادونيس) .. قتله خنزير بري ، في شهر « تموز » الذي سمي باسمه . وكانت المآتم تقام له كل عام .

الخضر : شخصية أسطورية . تروي بعض الاساطير انه عاصر الاسكندر المقدوني وانه اهتدى – دون الاسكندر – الى «بحر الحياة» وعرفه حين القى فيه سمكة ميتة فعادت اليها الحياة .. وشرب الخضر من مائه فنال الخلود و « الحياة في الدارين »، الدنيا والآخرة .]

★

تمّوزُ يموت على الأُفقِ
وتغور دماه مع الشَّفَقِ
في الكهف المعتم . والظلماءْ
نقالةُ إسعافٍ سوداء .
وكأنّ الليلَ قطيع نساءْ :
كحلٌ وعباءات سودُ .
الليل خِباء .
الليل نهارٌ مسدودُ .
نادَتْ مربّيةَ الاطفال الزنجيه :
الليل أتى يا مرجانه
فأضيئي النور . وماذا ؟! اني جوعانه .
و ... نسيتُ – أما من أغنيّه ؟
بمَ يهذر هذا المذياعُ ؟!
في لندنَ موسيقى جازٍ ، يا مرجانه ،
فأليها ... إني فرحانه
والجازُ من الدم إيقاع .

تمّوز يموت ومرجانه
كالغابة تربض بردانه ...

وتقول ، ويخذلها النَّفَسُ :
« الليل ، الخِنزيرُ الشرِسُ ،
الليل شقاء !»
مرجانة .. هل قرع الجرَسُ

فتقول ، ويخذلها النَّفَسُ :
« في الباب نساء . »
وتُعِدّ القهوةَ مرجانه .

وعلى الأكتاف البيض فِراء:
الذئب يدثّر انسانه ،
وعلى الاثداء من النمِرِ
شرقٌ يتسلّل ، ملءَ الغاب ، من الشجر ،
والليل يطول مع السَّمر ..
الليل كتنورٍ من أشباح البَشَر
خبزٌ يتنشّقُ نيرانه ،
والضيفةُ تأكل جوعانه
من هذا الزاد . ومرجانه
كالغابة تربض بردانه .
والضيفةُ تضحك وهي تقول :« خطيب سُعادْ
جافاها ، وانطوت الخِطبه !
الكلب تنكّرَ للكلبه .. »
تمّوز يموت بدون مَعاد ،
والبرد ينثّ من القمرِ
فنلوذُ بمدفأةٍ من أعراض البشرِ !

سيعود إذا انتصف الليلُ ،
زوجي سيعود الى الدارِ
من بيت صديقٍ او بار .



حين عزمت على دراسة اللغة الالمانية ، قررت ان انتهز كل فرصة تساعدني على تحقيق ما انتويه،وكان من جلة هذهالفرص التسمع الى احاديث الناس وحوارهم ، لا بدافع الفضول ، واستكناه الاسرار ، ولكن للتمرن على فهم اللغة سماعاً ، واتقان لغة الكلام . فقد بدا لي ، اول الامر ، ان الفرق شاسع بين الكلام الدارج واللغة الفصحى ، فالالماني عندما يتكلم يبتلع مقاطع باكملها ، وقد يختصر جملة بكلمة . وبعد تمرن شاق ، وارهاف طويل للسمع ، بدأت افهم الحوار شيئاً فشيئاً ، بفهم جزء منه احياناً . لهذا السبب صرت اكثر من التردد على « كافي باري » ،فهذا المقصف قد يزدحم بالناس الى درجة استحالة المرور بين المقاعد ، فيصبح الجلاس حول المناضد الصغيرة ، وكأنهم مشتركون في جلسة واحدة وقد يتقاربون حتى ليكاد البعض يحتضن البعض .

قصدت هذا المقهى صبيحة يوم احد مبكراً ، وكان المقهى يوشك ان يغص بالرواد ، واخترت منضدة منزوية ، وبعد ان علقت معطفي الثقيل ، جلست ، واخرجت كتيب الحوار الذي اعتدت ان اقضي بعض الوقت باستظهاره . وما كادت النادلة « اركا » تلمحني حتى اقبلت باشة مرحبة . و « اركا » هذه من اجمل النادلات ، فلها وجه صبياني وعينان ضاحكتان وقامة رشيقة ولعل هذه الاركا من جملة ما يحبب لي التردد على هذا المقهى. وقد الفتني الصبية لطول ترددي على المقهى ، وكنت اتقصد الجلوس دوماً في منطقة عملها ، فصارت تبادلني التحية ، وتتبسط في الكلام . وتطلعت في عيني اركا اللتين يختلط السواد بالزرقة فيهما اختلاطاً عجيباً ، وابتدرتها مسروراً :

— كيف انت اليوم يا اركا، انك لتزدادين رشاقة وجمالاً يوماً بعد يوم، واني لاخشى ان اقع في هواك كغيري من الزبائن .

فاشرق وجهها وزقزقت مجيبة :

— شكراً جزيلاً سيدي ، وانت تتقدم في اللغة بسرعة. كأس من الجعة، اليس كذلك ؟ انك من القلائل الذين يفضلون الجعة في شتاء فينا القارس . »

فاجبتها ضاحكاً ببيت من الشعر كنت قد حفظته ذلك اليوم

لا شوق يعلّق بالرقاص ولا بالعقرب ابصاري ،
لا آهة - من رهبٍ - تعلو :
من رنة مفتاحٍ في الباب ْ
وضياءٍ من شقٍ ينسابْ
كالماء المالح أشربه حتى تتفطر اغواري !
ولقد يتأخر او يأتي
قبل الميعاد إلى البيتِ
لكنْ سيعودْ
لا لومَ عليه ، فقد أعطى ما اطلب منه ، ولا عَتبُ !
خَدم ، ورياشٌ ملء البيت ، وأبهة .. دنيا ، ونقودْ.
- « .. ماسٌ ، وبقيّتها ذهبُ :
وهديّة والدها ؟! الله هدية والدها .. عجبُ :
صيادٌ بين يديه شباكْ
تتلامح ملأى بالاسماكْ . . .
ذهبٌ وزعانفُ من فضه
ولآلىء توهمُ ان هيا كلها تثبُ
وبأنّ لصائدها خضه ! »
تموز يموت ، ومرجانه
تتعوَّذ ، من عُقد السحرِ
والليلُ الراكد ، بالخِضْرِ .

والليل يطفّيء شطآنه
والضيفة تقبع بردانه
وفراء الذئب تغطّيها ..
وتطفّأت النيران اللاتي كانت بالدم تذكيها .
ليل وجليد ،
يتساقط عبرهما صوتٌ ؛ رنات حديد
وعواء ذئابٍ يخفيها . .
الصوت بعيد ،
والضيفة مثلي بردانه .

فتعالَ وشاركني بردي .
بالله تعالَ . .
يا زوجي ، ها أني وحدي
- والضيفة مثلي بردانه -
فتعالَ ، تعال
فامامك وحدكَ أقدرُ أن أغتابَ الناسَ بلا استثناءْ
بالله تعال
فالناس كثيرٌ .. والظلماءْ
نقالة موتى سائقها اعمى ، وفؤادك جبّانه !

بغداد

بدر شاكر السيّاب



واتيحت لي فرصتان ، فرصة التمرن بالسماع ، وفرصة الاستطلاع والفضول ، فقد كان حديثها مثيراً شيقاً ، فارهفت اذني ، وسجلت الحديث باختصار. وكان خطي العربي الغريب مصدر دهشتها واطمأنانها معاً . وعلمت ان اسمها هرتا ، ولا ادري كيف تذكرت بيتاً من الشعر يورد شاهداً على بعض شواذ القواعد في اللغة العربية :

خذا بطن غرثى او قفاها فانه
كلا جني غرثى لهن سبيل

قالت الغانية مفتتحة الحديث :

– انكم معشر الرجال فجرة فاسقون .

– ألا استثنى من هذا التعميم يا هرتا ؟

– تستثنى ؟ قد تكون في الطليعة . انك كغيرك من الرجال لا ترى في المرأة الا لعبة تصلح للهو يمل منها سريعاً وتستبدل باخرى ، غير مبالين بما يسببه عبثكم الصبياني من تعاسة وآلام المرأة المسكينة .

– ولكن تذكري يا هرتا المثل النمسوي السائر « للرجل كلمة واحدة اما المرأة فعندها كتاب . »

– ان هذا لا يصدق في كل الاحوال ، انه يصدق على الشابات الحديثات اللواتي يذقن اللذة المحرمة قبل سن البلوغ ، واللواتي يبدلن الرجـال كما يبدلن الملابس ، وحتى هؤلاء لا يلبثن بعد ان يتقدمن بالسن قليلاً ان يتقن الى حياة الزيجة والاستقرار ، فيحلمن بالزوج المخلص الطيب ، والبيت الهادىء السعيد .

– ولماذا لم تتزوجي حتى الآن يا هرتا وانت على هذا المستوى الرفيع الرائع من الجمال ؟

– ذلك لان الرجال المهذبين نادرون في فينا ، والغرباء اكثر منهم ذوقاً وادباً ، ان الرجل من فينا لا يقدر المرأة هنا حق قدرها ، اما الغريب الاجنبي فهو ذو اناقة مهذب .

– رأيك صائب الى حد ما ، ولكنك لو زرت البلاد الاجنبية لرأيت النساء هناك يشتكين مما تشتكين منه انت .

– لعل ذلك يرجع الى ان المرء لا يرى حسنات ما بين يديه ، فالانسان يمل ما الف ويعمى عن حسنات ما يملك ، اما الغريب فيرى في الجديد متعة وفي الغرابة لذة .

– ها انت ذا يا هرتا تبدين عقلاً وحصافة وتنطقين بالاحكام الصائبة .

– لو لم ترفق كلماتك المعسولة بمثل هذه الابتسامة الساخرة لصدقتك .

– ها قد عدنا الى الخصام يا هرتا ؟ فكلما ضحكت صحت بوجهي ان ضحكتك المجنونة تسخر مني .

– ذلك لاني اقرأ ما تعني الابتسامة أو الضحك والقهقهة كما افقه مـا تقول العينان حين تنظران .. انظر الى ذلك الرجل الذي ينظر الي ، بودي ان اقذف شيئاً في وجهه ، وان نظراته تعني اقبح المعاني واحط المطاليب ، كم يزعجني البعض حين يرمونني بمثل هذه النظرات .!

– اولا يسرك ذلك يا هرتا ؟ ان النساء قاطبة يتقن الى ذاك ، انهـن يرغبن في ان يشتهيهن الرجال ، ان هذا الرجل المسكين يتمنى فقط ، او ليس له الحق حتى في هذا التمني ؟

« النار تجري في عروقي والقلب بالافراح عامر . »

فابتسمت عيناها العجيبتان وقالت :

– غوته ؟ انك لماهر ايها الهر ايوب !

– لو كنت ماهراً يا اركا لما اتيت الامور من اعاليها ، فانت ترين اني احفظ غوته لكي ارتب جملة صحيحة .

وانطلقت اركا تتجول بين الموائد وتوزع ابتساماتها على الزبائن دون تفريق . وسرعان ما اكتظ المقهى بالرواد ، ولمحت شاباً ورفيقته يتجولان حائرين ، ولفت نظري جمال الشابة ، فقد كان فيها حقاً ما لفت انظار اغلب الرواد . كان جسمها رشيقاً ممتلئاً معاً ، يتوج رأسها شعر ذهبي داكن . اما العينان فلوزيتان بلون السماء عند الغسق تحيط بهما اهداب طويلة سوداء تلقي علي ما يحيط بها ظلاً ساحراً : ولست ادري كيف خطت تقاطيع وجهها بتلك الدقة العجيبة فجاءت متناسقة تناسقـاً مدهشاً . وذكرني لون بشرتها بلون الخزف الصيني النقي الاصيل . واقتربا من منضدتي ، وتمنيت لو شاركاني فيها . وكأن هذا التمني كان نداء لهما فاقبلا ، واشار الشاب الى الكرسيين الخاليين حول منضدتي :

– اتسمح ايها السيد لنا بالجلوس ؟

فاجبته مستبشراً : دون شك تفضلا على الرحب والسعة .

والقت السيدة نظرة على كتابي ، ويظهر انها اطمأنت الى درجة جهلي اللغة الالمانية ، فخاضا في الحديث بكل حرية دون ان يعبأ بوجودي ،

- قد يكون هذا الرجل اهون شراً من سواه، فقد ضايقني احـدهم مرة بالحاحه، حتى الجأني الى ان اعطيه وعداً كاذباً لاتخلص منه، ولقد شكوت ما اعاني من هؤلاء الرجال الى احدى صديقاتي، فقالت الصديقة معللة ان رجال فينا يحبون الاجسام الرشيقة الممتلئة قليلا ويعزفون عـن البدينات او الهزيلات العجاف.

- ها انت ذي قد ادركت السبب يا هرتا، ان هؤلاء الرجال يدركون بمجرد النظر ان لك جسماً دافئاً لذيذ الملمس عذب المذاق.

- ما اقبح ما تقول! انك لا تفتأ تردد امثال هذا الكلام البذيء، اني لاتصورك احياناً احط رجل في فينا.

- وانت تبدين احياناً، حين تخشنين القول وتثيرين الشجار، من احط نساء فينا. انك حين تشتمين يا هرتا اشك في انك فينوية بالرغم من شكلك وصفات جسمك.

- هل اغضبتك مرة اخرى؟ ارجو معذرتك، لست سعيدة كما تعلم وهذا ما يثيرني احياناً ويجعل حديثي خشناً مراً. اني لاحتار في حقيقة امرك، فاي نوع من الرجال انت؟ لقد تشاجرنا كثيراً، فلم تتركني رغم كثرة شتمي لك، ولم اتركك بالرغم من انك تثيرني حين تحملق كثيراً في وجه الحسان.

- لقد زعمت انك تدركين ما تقوله العينان حين تنظران، فما قالت عينا جليسنا الاجنبي حين نظرتا الى وجه اركا؟ هيا برهني على انـك حصيفة حقاً.

- ان النظرة رقيقة بريئة، وهي اشبه بنظرة فنان الى اثر فني.

- اوليس لي نفس الحق في التملي بالاوجه الجميلة المعبرة؟

- ولكنك تفعل ذلك بشكل يثيرغيرتي. اني اريد ان تكون نظراتك لي وحدي.

- انك تدركين ايضاً بان اعجابي بالجمال مبعثه الدوافع الفنية، والا لما اصطبرت حتى الان ولما طالت صحبتنا.

- لقد استغربت صديقتي شارلوتي ان تطول صحبتنا الى اكثر من شهرين، وقالت انه يليق بنا ان نتزوج فاخبرتها بانك متزوج، وهي معي بأن الزواج لا يعني شيئاً اذا كان اعمياً، ولا اعتراض لي على ذلك، لولا انك رجل قلب. اني اريد رجلا لي وحدي. لقد بلغت الثلاثين وقد كان الاحرى بي ان اتزوج، ولعل سوء طالعي هو الذي رمـاك في طريقي.

- ولكنك تعيدين ما اعتادت زوجتي ان تقول، وتقذفينني بمثل ما تقذف.

- قد تكون محقة، ولعلك قد اذقتها العذاب حتى نفرت منك.

- ها قد عدنا الى التمادي في العدوان يا هرتا.

- معذرة، فليس لي الحق في الشكوى، فما انت الا انت منذ رأيتك، واعترف بانك لم تخف عني شيئاً، ولكني طمعت ان تكون الرجل الاخير في حياتي على كل حال، ولكن سوء طالعي يرميني دائماً في مشاكل انا في غنى عنها.

- اذن فلنغير الموضوع يا هرتا. حدثيني عن مسعاك في ايجاد عمل لك بعد هذه السنة من البطالة والاعتماد على مساعدة دائرة الاعمال الزهيدة؟

- لقد تتبعت الاعلانات في الجرائد، ووجدت بعض الاعلانات عن طلب موظفين لدوائر تجارية، ولكني تبينت بعد المراجعة ان السادة التجـار يطلبون عملاً مزدوجاً، فهم يطلبون من الموظفة ان تكون خليلتهم خارج اوقات الدوام ايضاً، كل ذلك لقاء ذلك الراتب الزهيد، وخـير لي في مثل هذه الحالة ان استحصل اجازة من الشرطة واتسكع في كرابن. لقد شكوت حالي اخيراً الى الدكتور يونس عضو المجلس البـلدي فوعدني خيراً.

- كم يؤلمني ذلك يا هرتا! علي ان انسيك بعض هذه الهموم، فاين تريدين ان تغرقي احزانك؟ ان الاقبية في فينا خير مكان لدفن الاحزان. اتفضلين اوكستينا ام اوورباني ام لعلك تشتهين قبو الدومينيكان؟

- لقد بدأت اخاف من اصطحابك الى مثل هذه الحانات، فانت حين تنتشي تنقلب رجلاً آخر.

- ولماذا لا تقولين انك حين تنتشين تصبح عيناك كالمجهر في رؤية ما يثير غيرتك؟

- هات يدك ولنكف عن الشجار.

- ولكن حذار من ان تنتشي فيها مخالبك الجميلة. وان ذلك مـن عاداتك السيئة. فلو كنت تدركين كم تؤلم هذه الاظافر المصبوغة المدببة لتركت هذه العادة السيئة.

- اعلم ذلك، وعادتي السيئة الاخرى هي ان اجبرك على تقبيلي كلما مررنا بسرب من الحسان، اوليس من حقي ان اعلن لهن انك محجوز؟

- او بعبارة اصح محجور عليه؟ لقد حجرت علي زوجتي قبلـك فهربت منها، فلماذا تفعلين ما يزهدني فيك ويحبب الي الهرب؟

- انها تفعل ذلك لانها زوجتك، اما انا فلانني احبك، وشتان بين الدافعين.

وانشغل الشاب عن الجواب بدعوة اريكا لاداء الحساب، ثم تناول معطف رفيقته فالبسها اياه بكل عناية ورفق، وقبل طرف شعرها الذي اصبح قريباً من وجهه عندما احتواها المعطف، ولم ينسياني عند الذهاب، فالتفتا الي مبتسمين وقالا معاً «الى اللقاء» فاجبتها بالمثل «اوفيدسن».

فينا

ذو النون ايوب

رسالة إلى «لوثي»

« حملت الينا انباء الصحف العالمية تلك المأساة .. التي تمثلها .. فيما يسمونه « بالعالم الحر » ... عصابات مكارثي وشيكاغو .. وعملاء الاحتكارية العالمية .. تلك المأساة التي عاشها الزنوج من خلال مأساة لوثي الطالبة الزنجية ، التي اوصدت دونها جامعة الاباما الابواب . »

سمعت الروايه ...
سمعت تفاصيلها للنهايه ...
وجئت حزيناً أرش على كل درب أسايه
لا ...
لانك مثلي سوداء مثلي
ولونك لوني
وجرحك جرحي ..
وحزنك حزني ..
تنمّ عليه مقاطع لحني ..
ولكن لانك إنسانة معذبة في الدجى [شارده
تدقين باب الحياة الكبير
فتوصد ابوابها الجاحده
وتمضي تعصّب كل النجوم
وتطفيء .. حتى الكوى الخامده
لتبقيك خلف سراديبها
بعيداً .. عن الاعين الراصده
فأنت قذى في عيون مكارثي
قذى تتحاشاه كل العيون
وأنت كما يزعمون – متاع ، قديم قديم !
تشهّاك يوماً إلـه عظيم ..
فجئت مع المسك والزعفران ..
وريش النعام وكل التوابل ..
وفي معصميك تنام السلاسل ..
وخامات إفريقيا الطيبه
وأسرار غاباتها المخصبه
وعيناك في الليل معصوبتان
فأبواب إفريقيا الفاتحات موانئها [لجميع السفن
وأسواق « نيجيريا » لم تزل
تبيع الرقيق بجنح الظلام
لأرض النبي ..
لحارس اقداسها الطيب
وهمسٌ من البيد باكي الصدى
يموت على شفة المغرب
وإفريقيا طفلة في هجير الحياة هنالك تحبو
وفي شفتيها ابتسام غرير .. وشوق .. [وحب
ويوماً تسلق أسوار غاباتها الشاهقه
قراصنة في الدجى مارقه
وكنت ضحيه ..
فأنت – كما يزعمون متاع قديم .. قديم
تشهّاك يوماً إلـه عظيم
فجئت مع المسك والزعفران
وسرب جوار حسان
وعيناك في الليل معصوبتان

***

وقومك بين المزارع في كل منعطف مظلم
أحس باحساسهم أجمعين
وهم يبصقون سعالا
وهم يدفنون أليم التباريح في كل دنّ
وهم يسقطون من المقصلات
وهم يدفعون الى كل سجن
فعيناي تبصرهم من خلال زجاج [الليالي هنالك في كل ركن
وهم يزرعون ..
ولا يحصدون ..
وكم كدّسوا صومعات الغلال
وكم فتتوا شاهقات الجبال
وهم يركضون . ظلالاً حزينه
أمام السياط ..
وتمشي القضاة .. ولا يرفعون العيون .
[ففيها ضلوع تئن
وخلف البعيد لدى غابة .. قطيع
طواه الدجى .. في كفن]
واكواخ سود .. يشب الحريق [بأعراشها . ويصبّ المحن ..
لان فتى من قطيع الزنوج .. أهاب [بجورية في طريق
بيضاء .. يطفر منها البريق
وكانت تبيع على الدوب يوماً ..
صباها الوريق ..!
وتعصر كل كروم الطريق
ستمشي القضاة ولا يرفعون العيون .. [ففيها ضلوع تئن
وتبقى العدالة مشنوقة .. تعاليمها .. [في ضريح الزمن
وتمثال « نيويورك » خبأ وجهه ..
عليه من العار ، والخزي مسحه ..
.. ستبقى كطير .. غريب .. غريب
يطير .. يطير .. ولم يلق عشه ..
تعاليم لنكولن الخالده ..!
فكم زنجية تبكي طويلا
.. وزنجي هنالك في ضريح
لقد ماتت .. لقد ماتت وعفت
على آثارها خطوات ريح
لقد ماتت ...
أجل ماتت تعاليم المسيح ..
.. ومغلقة ما تزال هنالك أبواب [« هارلم » [1]
وحاناتها الصاخبات عليها من الدبق [القائم الظل .. سقف
وفي كل يوم .. دماء تبلل وجه [الثرى .. ودماء تجفّ ..!!
وفوقهم الليل .. ليل التباريح ..
وحسن يسفّ ..
كأن جناح غراب يسفّ ..!!
وتمضي حياتهم مثل بصقه ..
تُعرّي أساها العيون .. وتنفض من [حولها ألف بصقه
كمثل الصراصير .. تدفن نار أساها [العميق خلال الازقه

[1] حي العبيد بنيويورك ..

وظلال سود تتسرب
أبداً تذوي ..
أبداً وسياط تنخفض ..
أبداً وسياط ترتفع
وظهور السود أخاديد أبداً تبكي
أبداً تبكي ..
وقد اختلطت كل الادمع
النهرُ .. وماء الغدران السوداء..
[بحضن الظلماء
بأنين تعرفه الغابه
كدخان مداخن « نويرك »
أبداً في الظلمة يتعرج
والغابة شيخ يتأوه
قد داس قداسته يوما
ذاك الانسان المتأله
ذاك الغازي
مجنون يسحق ما يلقى بخطى نارٍ
وهنالك في الارض كآبه
كسحابة غيم جوّابه
كأنين صبي مذعور في الغابة يحمل
[أحطابه
ويشق طريقاً موحلة الاشواك ..
[السود .. المعشابه ..
كشتاء ينفض جلبابه
مطراً .. كسياط تنخفض
وظهور السود أخاديد
أبداً تبكي ..
ابداً تبكي ..
وقد اختلطت كل الادمع
النهر وماء الغدران السوداء بحضن الظلماء
بأنين تعرفه الغابه ..!!
كدخان مداخن نويرك .. ابداً في
[الظلمة يتعرّج
***
وأبصرتُ منتديات الزنوج
مخبأة في جحور الليالي
وأبصرت نويرك ذات القباب
تكاد تطاول شم السحاب
وفي اللافتات بكل مكان
«هنا السود.. والكلب لا يدخلان»

هما في النسمات جرثومتان !!
***
بكيت مع الريح في كل ليل ..
وجئت حزيناً .. أرش على كل درب
[أسايه
لا .. لانك مثلي ..
سوداء .. مثلي ..
ولونك .. لوني وجرحك جرحي.
وحزنك حزني تنم عليه مقاطع لحني
ولكن لانك انسانه
معذبة .. في الدجى شارده
تدقين باب الحياة الكبير
فتوصد أبوابها الجاحده
ألا تعلمين ..
بأن الألى .. وقفوا في طريق العواصف
[يستصرخون
ويبنون صرحاً قوياً .. ولا يهدمون
وأن الألى جدلوا الريح جدلاً ..
.. ضفائر تسمو الى كل قمه
.. وكانوا يغنون للصاعدين ..
وأعماقهم بالسنى مستحمّه
وخطّوا على هامة الشمس كلمه
تضيء الدجى .. ظلمة .. إثر ظلمه
تهاووا .. كما تتهاوى النجوم
وراء الدجى .. نجمة .. إثر نجمه
تهاووا لدى مائدات مكارثي
اللئيم .. وكانوا ضحية لقمه !
وباعوا الضمير .. فمات الضمير ..
وخانوا القضية يا للمصير ..
***
أفي بلد النور، والمعرفات ؟!
أفي أرض لنكولن الخالده
تقيم المجازر في كل ليل، لتحصد كل
[رؤوس العبيد
سياط مكارثي الحقود .. الحقود ..
وتحرق كل ثمار العقول ..
تُحرق .. حتى جنين الورود ..
ونحن الذين بأذرعها السود . تلك
[الدخانية الفاحمه
غسلنا المناجم .. كل المناجم ..
في الميسيسبي .. يا ظالمه ..

وعدنا .. كما انسل كلب مريض..
كجرذان اقبية مظلمه ..
***
بكيت مع الريح في كل ليل
وجئت ارش على كل درب اسايه
لا .. لانك مثلي .. سوداء مثلي
ولونك لوني ..
وجرحك . جرحي
وحزنك حزني تنم عليه مقاطع لحني
ولكن لانك انسانه
معذبة في الدجى شارده
تدقين باب الحياة الكبير
فتوصد أبوابها الجاحده
إنما انت بريئة
أنت .. في ارض المكارثية يا أخت
[بريئه
إن في صوتك انغاماً .. عميقات ..
[جريئه
كانصباب الرعد في الاسماع يا اخت
[جريئه
كلمات ، برعميات ، وضيئه
إنما أبحث عن ارض الحقيقه
والمساواة التي تنعم في أحضانها كل
[الخليقه
والعصافير الطليقه
حيث ينمو الزهر من غير اواني
حيث لا تنبت في الاعماق أشواك
[الهوان
حيث لا قلب يعاني .. ما يعاني
كلمات .. برعميات .. وضيئه
مثقلات بأنين الريح في أرض الخطيئه
ارض ما كارثي المسيئه ..
ان تكن دنياك تمشي ..
كالسلحفاة .. بطيئه ..
فضمي يديك معي، كي نسوق خطا
[القافله
لنحيي بذور الحياة اليبيسة في كل
[سنبله حامله
ونكتب تاريخنا من جديد
القاهرة **محيي الدين فارس**

العلم والفلسفة والعالم المحسوس (*)

بقلم جان ڤال   ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

ما قيمة العلم؟ قبل ان نجيب على هذا السؤال ، يجب ان نعطي هذين الحدين « قيمة » و « علم » شيئاً اكثر تحديداً . « بالعلم » نفهم خاصة الفيزيقيا حيث ان الرياضة اداتها ولغتها ، ومن ثم فالرياضة تعتبر كمنهج للعلم اكثر من كونها علماً في ذاته ، واما بالنسبة للعلوم الاجتماعية ، فسوف نخرجها من اعتبارنا هنا .

بالعلم ، يحاول الانسان ان يوضح كيف تحدث الاشياء ، مـا هو الايضاح ؟

ان فكرة الايضاح - منذ ايام الاغريق القدماء - قد ارتبطت بفكرة السبب او العلة . ومما هو جدير بالملاحظة في هذه الرابطة ، ان فكرة الايضاح تتضمن نوعاً من الكشف ، ومن الظاهرة يستخرج الانسان - بمعنى معين - عللها .

وكما اشرنا من قبل في الفصل عن العلية[1] فان فكرة العلية قد حل محلها فكرة الوظيفة والعلاقة ، ومن الحقيقي ان بعض الدارسين لمنطق العلم ، وقد تبعوا ميرسون Meyerson ، قد قالوا بان العلم اساساً هو اتباع الوحدة والتماثل ، ولكي نتأكد ، فان الذهن البشري قد ارتضى ارتضاء معيناً اكتشاف التماثلات ومع هذا فالعلم هو مطلب للعلاقات اكثر منه مطلباً للتماثلات ، ان غرض العلم هو ان يشيد شبكة من العلاقات اكثر من ايجاد اساس مميز وراء كل شيء .

اما عن فكرة القيمة ، فقد تصورت بطرق عدة . هناك تكثر كبير للقيم . وللعلم قيمة من الانسجام والجمال اللذين اصر عليهما بوانكاريه وهما متمثلان حتى في التأملات الفيثاغورية القديمة ، هناك جمال رائع في بعض الفروض العلمية ، ومع هذا فيجب الا ننسى الحملة التي شنها « كيتس » Keats على العلم ولا لعنات بليك Blake : لقد حطم نيوتن جمال قوس قزح ، وحطم يورزن Urizen وحدة الاشياء .

ومن ركيزة النفعية ، يمكن ان يسمح لنا بان نأمل في ان مزايا العلم تفوق مضاره ، وعندما بدأ العلم الحديث ، ركز بيكون وديكارت تأكيداً عظيماً على نفعيته ، بينما آخرون مثل مالبرانش وسبينوزا ، واخيرا بوانكاريه ، قد قالوا بان اهمية العلم لا تقوم غالبا في نفعيته كما في قيمته الذاتية . وهكذا تتأدى الى تحديد ممكن ثالث لقيمته . فطبقاً لسقراط وافلاطون فان للعلم قيمة في نفسه . لقد مجد افلاطون العلم بانه تأمل محض في تعارض مع العام الذي يمكن ان يساعد في تعليمنا كيف نعزف الالات الموسيقية او نعد النجوم . لقد اراد لنا ان ندرس العلم لا لنحصل على حقائق فيزيقية ، ولكن على حقائق ميتافيزيقية . ويمكن ان نعارض هذا الرأي لافلاطـون برأي ابيقور الذي آمن بان المعرفة النافعة هي الشرعية ، بل حتـى رأي افلاطون نفسه عندما عبر عن الرغبة في ان يقيم كل تمرس انساني عـلى المعرفة او العلم .

ان تنوع هذه الآراء يؤدي بنا الى التساؤل عن قيمة العلم من وجهة نظر الحقيقة . ان افلاطون يلوم العلوم الجزئية بتعلقها الوثيق بما هـو جزئي . وارسطو - على العكس - يلوم الرياضيين لانهم تجريديون جداً في بعض تأملاتهم . ولقد اشار بسكال الى ان مباديء العلم وفروضه غير محددة ولا يمكن البرهنة عليها . ولقد بين « كانت » نجاح العلم عندمـا وصف نسيج الذهن البشري . وقد اكد كونت فكرة الملائمة ، علاقة العلم بالذهن البشري ، وعلاقة الاشياء بعضها بالبعض . ولكن نقد العلوم التي تطورت قرب نهاية القرن التاسع عشر عند ماخ ، وبيرسون وبوانكاريه وميلهود ولوروى ودوهم والتي استمرت عند دنجتون وهويتـد ودي برولي قد وضعت نظريات كونت وكانت موضع التساؤل . ولقد توضح اولا للرياضة ثم للفيزيقيا ان اختلاف الفروض ممكن ، وانه عن طريق التجربة يشيد العلم مذاهب مغلقة لكي يكتشف القوانين المحكمة . وقد اوعز ان هذه القوانين يمكن ان تكون منتوجات بلا انتظامـات دون ما قانون ، والتي تعوض الواحدة الاخرى بميزة عدم تعقدها اللامنتـظم الخالص . وقد ابانت اكثر الاكتشافات الحديثة ان الانسان لا يستطيع ان يجعل وصف بعض خصائص الاجسام المتحركة اكثر انضباطاً دون ان يضر بانضباطية قياس صفات اخرى . وهذا يعرف بمبدأ هيزنـبرج للاتحددية Indetermindey .

ودعنا ندخل في اعتبارنا حينئذ اهمية العلم في تطوير الفلسفـة . ان تاريخ العلم مرتبط بتاريخ الفلسفة . وعلينا ان نرجع فحسب الى محاورة « مينو » ومحاورة « تيتيت » Theaetetus لنرى ان اكتشاف بعض حقائق الرياضة لدى الفيثاغوريين ، كان اصلا من اصول نظرية افلاطون في المثل Edeas وكذلك الازمة التي مهد لها اكتشاف الاعداد اللاعقلانية Irrational كانت - احتماليا - سببا من الاسباب لتحولات افلاطون العميقة الاخيرة في هذه النظرية . وعلم جاليليو ومعاصريه كان اساسا من اسس فلسفة ديكارت . وبان مذهب ليبنتز لا يمكن ان يفهم اذا لم يدخل الانسان في حسابه حساب التفاضل differential calculus ، ودون تأثير نيوتن لا نستطيع ان نفهم محاولة هيوم في اكتشاف شيء في مجال الذهن مشابه للجاذبية في مجال الجسم ، ولا محاولة « كانت » لايجاد اساس عقلي لاكتشافات نيوتن . ولكن من تخطيط تاريخ تأثير العلم على تطور الفلسفة ، يجب ان نعلم حقيقة واحدة تجعل ما حدث في القرن التاسع عشر والقرن العشرين يختلف عما حدث من قبل . فالعلم اصبح حينئذ نقديا لنفسه .. انما كسويل لم يستخدم فحسب الفروض المتصارعة ، ولكن علم انها متصارعة . وكان هذا

---

* Science , Philosophy and the Sensible World هو الفصل الحادي عشر من كتاب جان ڤال The Philosopher's Way والكتاب طبع عام ١٩٤٨ في University Press—Nwe York Oxford .

١ يراجع الفصل الخاص بالعلية وهو الفصل السابع (ص ١٠٦ - ١٢٢) [المترجم] .

فحسب بدء التيار الذي كان له شموله في النظريات الحديثة التي ذكرناها ، وبه لا يمكن للعلم ان يوصف بانه انضباط تام لكل الحقيقة ، ولكن دائماً عليه ان يختار بين – على سبيل المثال – التحديد المحكم لسرعة التحرك velocity وبين التحديد المحكم للوضع Position ، لانه لا يمكن الحصول عليهما معاً . واكثر من هذا الآن ، اكثر مما كان في زمن ماكسويل ، فان الفروض المتناقضة Contradictory تستخدم وتعلن على انها متممة الواحد للآخر . ومن ثم فعندما ينقد الفلاسفة اليوم العلم ، فان هذا النقد ليس بالضرورة تعبيراً عن تفضيلهم للاعقلانية Irrationality انه اساساً اخلاص للروح الخاصة للعلم ، التي تهدف في الانضباط الاقصى الى ان تعرف في نفس الوقت ان بعض النقاط ، وهي الانضباط الاقصى ، لا يمكن الحصول عليها .

واحياناً استخدمت نتائج العلم لكي تؤكد افكاراً فلسفية معينة ، او بالاحرى لتؤكد انكارها ونبذها ، ومن ثم فالنظرية الكانتية في المكان – من الواضح – قد دحضتها الهندسات اللا اقليدية non euclidedn ، والحقيقة المطلقة لمبدأ العلية يبدو انها وضعت موضع التساؤل من قبل الفيزيقا الحديثة . ومن ثم فنحن نسلم بقيمة الفلسفة على اساس نتائج العلم ولكن يجب ان لاننسى ان هذه النتائج يجب انتؤول على اساس حالة سالبة اكثر من كونها حالة وضعية positive وزيادة على ذلك فان مبدأ هيزنبرج للاتحددية ، بالرغم من انه يعني التخلي عن مبدأ الحتمية التامة ، لا يجب ان يفسر على انه يتضمن ان الحرية موجودة .

ان مشكلة افلاطون هي – في جزء منها على الاقل – كيف يمكن ان يكون العلم الرياضي ممكنا ، والحل الذي قدمه كان مطلع نظرية المثل ، ثم نظرية العالم على انه مشيد بفعل الحد Limit على ما لا حد له Unlimited ، واخيراً ايضاً نظرية الاعداد . بهذه النظريات حاول ان يحل مشكلة تشييد علم فيزيقي – على الاقل العلم غير الكامل في عصره – . وكان على ديكارت ان يواجه نفس المشكلة ، ولكن في حدود اكثر اضاءة واكثر تميزاً ، وكانت اجابته – كما رأينا – ان الامتداد فكرة واضحة ومتميزة . و « كانت » ايضاً كان عليه ان يشتغل بنفس المشكلة ولكن وقد جعله التطور المتخلل للفيزيقيا النيوتونية Newtonian physics اكثر انضباطاً واكثر تعقداً ، كانت اجابته هي نظرية عن القوالب Forms والمقولات Categories . والآن ، بعد اينشتين وبلانك وبور وهيزنبرج ، اصبحت المشكلة لا ان نرى فحسب كيف يمكن ان يكون العلم ممكنا ، ولكن كيف ان هذا العلم لا يمكن ان يتعدى حدودا معينة . علينا ان نتقبل العالم على انه منقاد وفي نفس الوقت على انه مقاوم في نقطة ما للتأويل العلمي . ان العلم يكرهنا على ان نرى هذه الصنعة المزدوجة للعالم ، انقياده للعقل ، وتفلته الوقتي – على الاقل – للتحديدية التامة العقلية .

ومع هذا ، فالعلم يعطينا شيئاً من القيمة للاشياء ، بالرغم من انه يمكن تسميته فحسب بأنه بناؤها الادنى infra - structure او الهيكل ، ومن ثم فالعلم ، الذي هو نوع من البناء الفوقي Superstructure للذهن ، يكشف لنا – كما قلنا من قبل – عن البناء الادنى لما هو حقيقي .

ولكن ، كما لاحظنا من قبل ، فان العلم في القرنين التاسع عشر والعشرين يكشف عن اللاتحدديات Indeterminacies ويلغي – بتبادل – المصادفات في الحقيقة نفسها ، ورأينا ان هذا البناء الادنى ليس محدداً هكذا وجامداً كما تصور من قبل . وتأكد اننا موجودون في حضور هيكل ، ولكنه هيكل لين متحرك كما هو حقا .

ومع ذلك ، حتى اذا ادخلنا في اعتبارنا هذا التحفظ الاخير ، فيجب ان نضيف انه كلما توغلنا في الحياة ، كلما قلت الاشياء شكا من جهة الوصف بالفاظ منضبطة علمية – وهي حقيقة عرضها للضوء من قبل كورنو واكدها بوترو وورد وبرجسون .

وعندما يلاحظ العالم الاشياء ، فانه يقدم ركيزة لا انسانية non human ومن ثم فان حقيقة العلم يمكن ان يقال بانها حقيقة لمخلوق صغير بالنسبة لحواسه ، او في حالات خاصة هو اكثر تفوقاً منا جميعا . هذه الملاحظة تفضي الى ذكر حقيقة العالم المحسوس ، حيث انه العالم الذي – في مستواه – نحن متموضعون Are situated .

وما قلناه لا يكون نقدا للعلم . ولكنه يحدد موضعه ، يجب ان نضع في اذهاننا انه اذا كان هناك اعتقاد خالص بدئي في ان العلم خطر ، فان ما هو اكثر خطورة هو ان يمهد النقد غير المميز في العلوم للعقائد الخرافية .

***

غالباً ما تُصورت الفلسفة على انها جهد من جانب الانسان ليحرر نفسه مما هو محسوس ، ولكن ربما تصورت ايضاً على انها جهد انساني ليحرر الانسان نفسه من هذه التحررية الخالصة liberation ، التي يمكن ان تكون ظاهرة ، وكانت غالباً مقيدة في « البحيرة المتجمدة » للمثالية .

ودعنا باختصار نذكر التحررية من المحسوس التي اكدها بارمنيوس وافلاطون وديمقريطس وديكارت . كل هؤلاء الفلاسفة قد نقدوا نظرتنا العادية للعالم واحلوا محله اولاً « الواحد » the one ثم المثل Ideas ثم الذرات ثم الامتداد .

ولكن كان هناك فلاسفة قد اعترضوا دائماً ضد إقصاء المحسوس ، فارسطو مثلاً قد ذكر ضد افلاطون الحقيقة المركبة من الهيولى matter والصورة Form ، وذكر ليبنتز ضد ديكارت ان الامتداد ليس بكاف لتحديد مفهوم الجسم وانه يجب اضافة مفهوم القوة . وضد تأملات العلم ذكر بركلي Berkeley مباشرة الحس المشترك Common sense ، ومن ثم حتى عند فيلسوفين عقليين « ومثاليين » – ارسطو وليبنتز – نستطيع ان نلمح مبادىء الواقعية الفلسفية . يمكننا ان نجد حتى اتجاهات بالواقعية في النظرية المثالية لكانت ، لانه عندما قال بان المظاهر Apparances تفترض الاشياء التي تظهر ، وعندما ذكر اننا لا يمكن ان يكون عندنا وعي بأنفسنا اذا لم يكن عندنا وعي اولاً بالعالم الخارجي ، فقد وضع اسس النظرية الواقعية . وريد Reid في تعارضه مع المثالية قال بان عندنا حدساً مباشراً ntuition ، وفي الحقيقة هو نوع من الحدس السحري بالعالم الخارجي . ومين دي بيران عندما اكد انه في شعورنا الخالص بالجهد ، فاننا نصل الى التصاق بالعالم الخارجي المقاوم ،

وبهذا فانه قد اوعز - وان كان بطريقة مغايرة - بتطور واقعية جديدة .

هذه الواقعية قد وجدت صيغة من صيغها في كلمات برجسون . في بدء فصل « المادة والذاكرة » يضعنا في غمار الصور ويؤكد ان رؤية شيء ، هي وضع انفسنا في الشيء ، ومن ثم فهو يعطي شكلاً جديداً لاحساسنا بمحايثة الادراك الحسي immanence of perception ويمكننا ان نجد افكاراً مماثلة عند جيمس وعند الواقعيين المحدثيين Neo-realists وفي الواحدية المعتدلة neutral monism عند برترند رسل لانهم يقولون جميعاً بان الشيء الذي لدينا فكرة عنه ، والفكرة التي لدينا شيء بها، هما في الحقيقة شيء واحد وهما نفس الحد مصوراً فحسب بنصوص مختلفة .

ان نظريتهم قد اقيمت - كما رأينا - على تأكيد ان بعض العلاقات يمكن ان تتداخل دون ان يحدث اي تغيير في الحدود التي تقوم بينها ، وان هذه المعرفة هي مثل هذه العلاقة . ولكن الى هذه النظرية في استقلال الحدود بالنظر الى علاقاتها ، اضاف فلاسفة مثل الكسندر وهويتهود اطروحة Thesis مناقضة اخرى على ما يبدو. فهويتهد على وجه الخصوص تصور المعرفة على انها علاقة لاتسمح للحدود ان تظل دونما تأثر ، ومرة آخرى نرى هنا ديالتيك Dialectics الواقعية ، التي يمكن ان ترى ايضاً في ان الواقعية المحدثة New realism قد واكبتها الواقعية النقدية Critical Realism.

ويمكن ان نجد شكلاً آخر للواقعية عند الفلاسفة الروس لوسكي وفرانك.ان واقعيتهم واقعية صوفية وسحرية ، مقامة على شعور بوحدة العالم .

وضد هذه الواقعية الصوفية ، الواقعية المادية realism materialism عند لينين في مؤلفه ضد النقدية التجريبية Empirio Criticism ، فان لينين واقعي اكثر منه مادياً وان خصمه اللدود هو بركلي .

وواقعية نيقولا هرتمان قد تأثرت بفلسفة هوسرل وايضاً ببعض افكار « فرانك » ، فطبقا لنظرية الفينومونولوجية Phenomenology يذكر هرتمان انه عندما تكون هناك معرفة فانه يوجد شيء خارجي Transcendant هو موضوع المعرفة .

وان واقعية هيدجر اذا امكن ان تسمى بالفلسفة الواقعية - (وربما تساءل المرء عن مثل هذه التسمية) قد دوت مع فكرته عن « الوجود - في - العالم » Being In - the - world وهنا لانعود نجد التمييز الكلاسيكي بين الذات والموضوع الموجود تقريباً في كل فلسفة من الفلسفات الواقعية ، التي ذكرناها ماخلا بركلي وبرجسون .

ولكي نكمل هذا السرد للفلاسفة الواقعيين، يمكن ان نذكر الواقعية القومية Thomistic Realism عند جيلسون وماريتان في فرنسا ، والواقعية البنائية Structural realism عند روير وفلسفة هذا الاخير تشابه فلسفة الكسندر ، والركيزة المهمة التي يجب ان تؤكد هي انه لدى فلاسفة مختلفين مثل برجسون او رسل او لوسكي او لينين او الكسندر اوهيدجر اوهارتمان ، يبزغ مظهر جديد للواقعية .

***

ماذا تعني حدود مشكلة حقيقة العالم المحسوس؟ هل هو تساؤل عن الحقيقة المحسوسة للعالم الحسي؟ ام عن الحقيقة المتعلقة بالعالم الحسي؟ من الواضح انه اذا نحن قصدنا فحسب الامر الاول فيمكننا ان ندلي باجابة مؤكدة للسؤال ما اذا كان العالم المحسوس حقيقياً. هناك مستويات مختلفة للحقيقة، وفي المستوى الحسي يكون العالم الحسي حقيقياً، فمثلاً بعض الخطوط السوداء على ورقة بيضاء يمكن ان تظهر لذبابة على انها سلسلة جبال ووديان، ولطفل مثل مقاطع كي تنطق، ولقارىء راشد كجزء من جملة. كل مظهر من هذه المظاهر حقيقي في مستواه وبالمثل، فاللون الاحمر هو في مستوى واحد للحقيقة كمية من الاهتزازات ولكن في مستوى آخر فهو ايضاً هذا اللون الاحمر الذي لا يتحلل Unanalized هنا والآن.

وفي نظام الحقيقة، فان الاهتزازات توضع في مستوى اكثر انخفاضاً من الادراكات الحسية perceptions، بينما في نظام المعرفة، فان الاهتزازت توضع في مستوى اعلى لانها اكثر صعوبة من ان تعرف. والعلم كما لاحظنا هو استيعاب الحقيقة الحسية الادنى infra - perceptual Reality عن طريق المعرفة المدركة حسياً الاسمى Supra - structural

وزيادة على ذلك، يجب ان يلاحظ ان العالم المحسوس هو عالمنا، والمشكلة هي: اذا لم أكن هنا، فهل يمكن ان يوجد مثل هذا العالم المحسوس، ولكن أن نحاول الاجابة عن هذا السؤال، هو ان نحاول ان نستخرج من علاقة المعرفة حداً واحداً جوهرياً لها، وهذا يشبه التساؤل عما يصير اليه ما هو معطى اذا اختفى الشخص المعطي له. لا يمكننا ان ندلي باجابة عن مثل هذا السؤال، ولكن - لهذا - لسنا مضطرين الى استنتاج ان المثالية حقة، هذا الموقف هو ما أسماه بيري Perry «المأزق الانحصاري» egocentric predicament

ان التأملات السالفة مبنية على فكرة تداخلية الحدود في العلاقات. ولكن الآن، علينا ان نبدأ من وضع آخر - هو الذي ادخله راسل في اعتباره، وجيمس في بعض قطعه، وبيري على انه جوهري للواقعية - وهو ان نبدأ من القول بأن الحدود يُنظر اليها على انها خارجية بالنسبة لعلاقاتها، فمن المأزق الانحصاري لا نتأدى لا الى المثالية كما لاحظ بيري، ولا الى الواقعية. ولكن يمكن ان نتأدى الى تقبل امكانية الواقعية اذا اعتقدنا في استقلال الحدود بالنظر الى علاقاتها.

ولكي نؤكد لا امكانية المعرفة فحسب، ولكن حقيقتها فيجب ان نتأكد انه في حالة المعرفة فان الحدود مستقلة.

ومن الحق انه كلما كانت معرفتنا بالعالم الخارجي اوسع، كلما دفعتنا ومالت بنا الى انكار هذه الخارجية externality، لاننا نرى اكثر فأكثر تداخل العلاقة interconnection لكل حد من العالم بكل حد آخر.

وهكذا، اذا كانت حالة نظريات المعرفة -- على الاقل النظريات الواقعية - تؤدي بنا لتأكيد مبدأ الخارجية، فان حالة الفيزيقا تؤدي بنا اكثر لقبول مبدأ الداخلية internality، وهذا سبب من الاسباب - احتمالياً - لماذا قد تأكد المبدأ الاخير بتأكد كبير من أعمال هويتهد.

ومن المحتمل، اننا يجب ان نعترف بالوجود المشترك coexistence لهذين المبدأين في حالة غامضة بالنسبة لنا.

ومن الملاحظ ان النظريتين اللتين حاولنا ان نختبرهما - نظرية مبنية على الداخلية، والاخرى على الخارجية، الاولى نظرية الباطنية immanence والاخرى نظرية البرانية transcendence - ينتهيان الى انكار الثنائية. ان الاولى تؤدي بنا الى واحدية نوعية qualitive monism المبنيـة من heteromorphous data - عالم هويتهد واحياناً عالم جيمس، والنظرية الاخرى تؤدي بنا الى نوع من الواحدية المحايدة neutral monism كما نجدها مثلاً عند بيري وعند هولت واحياناً عند جيمس وفي نظرية برجسون عن الصور. وقد حاول الكسندر عن طريق نظريته في الانبثاق، ان يوفق بين وجهات نظر الداخلية والخارجية ولكن - دون ان يلجأ الى مثل هذه الوسيلة، فقد تقبل جيمس وهوتهد - في الحقيقة في نظريتهما كلا من هذه الوجهات المختلفة للنظر.

وفي فلسفة بركل نفس الانكار للثنائية التي نجدها عند اكثر الفلاسفة المحدثين، فقد ارجعوا بالضرورة تأكيد الله لان الافكار بالنسبة له هي دائماً في الذهن. ولكن في معظم هذه النظريات الحديثة، تخلت فكرة النفس عن مكانها الاقصى pre — eminent. وكما لاحظ جيمس. فان الوعي قد انقطع عن ان يكون مهما كذاتية. وفي الحقيقة لم يعد يتصور على انه ذاتية على الاطلاق، ولكن اكثر على انه علاقة.

ولا يجب ان نتصور ان الواقعية مذهب سهل، ودائماً هناك تقسيم بين نظرية المحايثة ونظرية البرانية فليس بينهما توازن قوي، والواقعية تنتقل من مظهر الحقيقة الى المظهر

الآخر . ولكن هذا بسبب انها تريد ان تكون مصيبة لما هوحقيقي،ولانه ليس هناك سبب لماذا يجب ان تعبر خططنا العلاقية عن الحقيقة تماماً او تستنفد غناها . ولذا فاحياناً تؤكد الواقعية قصدية intentionality ما في نفوسنا ، موجهة نفسها تجاه الاشياء ، ومؤكدة احيانا هوية identity الاشياء وما في نفوسنا .

وحتى اذا وجب على العلم في يوم ما ان ينجح في ان يجعلنا نفهم تماماً ميكانيزم الادراك الحسي فيمكننا ان نتساءل ما اذا كان سيجلو لنا السر الى الابد .

هناك سر ، ولكن هل هناك حقاً مشكلة ؟ من اللحظة التي نضع فيها المشكلة تبدو ولا حل لها ولكن اذا نحن ادخلنا في اعتبارنا عالم ما هو قبلي على المشكلات والذي نوجد فيه بدئياً ، والذي نعتقد فيه بوجود العالم الخارجي ، والذي عندنا فيه هذه الحقيقة الحيوانية التي تكلم عنها سانتايانا من ان حس الوجود مغروس في الاشياء ، والذي هو في نفس الوقت معرفة بالاشياء -فاننا نرى ان المعرفة كمقاسمة في الاتحاد مع العالم حقيقة ، وان الانسان يتميز بهذه المقاسمة الخالصة للاتحاد .

***

لقد كان هناك ضعف في الانماط الكلاسية للتجريبية والواقعية : لقد تركوا المثالية ميزة الفكر الراقي الصعب . ولكن في الحقيقة ، فان التجريبية والواقعية قادرتان ايضا على الاشكال الميتافيزيقية الراقية . فعندما قال « كانت » بأن الوجود هو ذلك الشيء الموضوع ، فمن المحتمل انه قدم ركيزة للفلسفة الوضعية عند شيلنج ولما يمكننا ان نسميه التجريبية الاسمى ، وهناك تجريبية باطنية (تجريبية شلنج) التي تبحث لكي تبين لنا شروط – ودعنا لا نقول امكانية – حقيقة التجربة . وهناك التجريبية المتطرفة radical empiricism عند جيمس التي تأخذ بالعلاقات كما تأخذ بالحدود. وهناك حتى امكانية واقعية الماهيات essences مثل واقعية مور ورسل وهسرل وسانتايانا وهناك واقعية تأثيرية كما هناك فلسفات برجسونية وشيلريه. ان التجريبية الباطنية والمتطرفة واللاعقلية (لان كل هؤلاء تقريبا من الاشكال المختلفة للتجريبية يمكن ان تتحد في مذهب واحد) هذه التجريبية مختلفة عن التجريبية التي في الكتب المدرسية . انها تسمح لنا ان نوحد ميول الفلاسفة المختلفين مثل باسكال وشيلنج وهيوم وشيلر وبوترو ورسل وبرجسون ونيتشة ورو وهويتهد وهيدجر .

مثل هذه التجريبية يمكن ان ترتبط بنقد فكرة الامكانية وبتأكيد عقيقة ما هو عارض وعارضية ما هو ضروري! ان اولية الجهة والحقيقة اللتين تجاهلها بعض فلاسفة الوجود الانساني ، ولكن كانت لم يفعل – يمكن ان تكونا رأيا من اراء هذه الفلسفة . فاذا ما قامت التجريبية في جزء منها على الملاحظة الباطنية ، فيمكن ان نحاول ان تشيد نظريات وجودية للمكان والزمان حيث يشعر فيها بالزمان كتوقع وتوقان وخوف واسى وندامة . ومن جهة اخرى تقول إن الزمان والمكان هما خيالات فحسب ، ان ما يوجد هو الاشياء من قبل ، والاشياء من بعد ، والاشياء في نفس الوقت . فمن الاشياء ، وفي الحقيقة من العالم – من الاشياء الموضوعة الآن والموضوعة من بعد والموضوعة من قبل – من هذه الاشياء تستمد فكرة الزمان وفكرة المكان.

ومن ثم توجب علينا ان نتأدى الى الواقعية .ليس هناك تأمل الا على شيء ليس تأملا ، وليس هناك ادراك الا ما ليس مدركا. قبل ان افكر هناك شيء دائما – هو ما افكر فيه .انا افكر اذن هناك شيء مفكر فيه I think therefore something is thought ، وهذا صحيح كقولنا انا افكر اذن انا موجود I think , therfore I am ، وهذا هو ما افكر فيه موجود قبل ان افكر فيه .

وزيادة على ذلك ، فان اعضاء الحواس لا تشكل فحسب عن طريق العقل ، ولكن تصاغ ايضا عن طريق الاشياء .ودعنا نقول مع افلاطون ان العين تشبه ضوء الشمس ،وهذه التجريبية ستتفق مع فكرة افلاطون من ان الضوء يشكل العين . ولكن ، ونحن نؤول افلاطون بطريقة لا افلاطونية يجب ان نضيف – كما قلنا – ان الهيولى تشكل الصورة ، قبل ان تشكل الصورة الهيولى . وهكذا ، فنحن قريبون جداً لما اسماه الكسندر بالانبثاق ، وما اسماه هويتهد بـ Concrescence

لقد تحدث نوفالس عن المثالية السحرية. ولما كان قد تبع التراث الذي نحدر من البرتوس ماجنوس والعرب منذ افلاطون ، حتى اكثر من ارسطو ، فقد وحد بعمق بين السحر والمثالية . وهذا لا يقل شرعية عن تشييد مثالية سحرية ، وقد عرف « ريد » بغموضه بهذا عندما تحدث عن سحر الادراك الحسي .

ومما لا شك فيه ان هذين الحدين ، المثالية والواقعية ، بعيدان عن الاقناع ، ويمكننا بالاحرى ان نقول – كما قال نوفالس نفسه – ان المثالية المتطرفة والواقعية المتطرفة متحدتان ، او ربما كان علينا ان نحلل انفسنا وراء وربما تحت الواقعية والمثالية ، ونعيش منكرين كل المذاهب التي هي فحسب وجهات نظر لشيء لا يمكن ان يكون وجهة نظر .

ترجمها عن الانجليزية

القاهرة **مجاهد عبد المنعم مجاهد**

الأدبُ الإباحيُّ

بقلم اسحق طوبي

«واطبق على شفتيها يقبلها قبلة نهمة حارة فتهاوت بجسمها البض من تحته.. وبدأ ينزع عنها ملابسها قطعة قطعة في وحشية.

«ولا شك ان الكثيرين يتمنون مواصلة قراءة هذا الوصف للقاء غرامي بين رجل وامرأة .. اي رجل وامرأة .. ولا مانع عندي ان يقرأ الناس عن العلاقات الجنسيـــة او ان يكتب لهم الكتاب واصفين بدقة تفاصيل ما يدور في غرفة النوم وبين طيات الفراش .. وليتمتع المحرومون بقراءة هذه المواقف ،فلعلهم يجدون فيها تفريجاً لازمة نفسية قــد تضطرهم الى الشذوذ والعقد النفسية وقد تضطرهم ايضاً الى ارتكاب الجرائم .

«ولكن – هنا بيت القصيد – يجب على الكاتب الذي يتناول المشاكل الجنسية ان يتناولها بوعي وان يفسر للقاريء معنى لقاء الرجل بالمرأة .. وما يترتب على العلاقات الغرامية من تبعات .. ومشاكل .. ومسؤوليات .. فالاكتفــاء بترديد المواقف الغرامية المكشوفة وتكرارها دون بيان اثرها النفسي والاجتماعي في الرجل والمرأة يعتبر استغــلالا منحطاً للقراء .. لا يختلف باية حال عن القواد الذي يجلب النساء المحترفات للرجال المحرومين » .

ذلك بعض ما كتبه الاديب المصري فتحي غانم عــن الادب الاباحي.. والواقع ان هذا الموضوع ابتدأ يثير اهتمام الناس .. فالادب الاباحي الذي يهتك كل ستر اصبح موضة العصر .. اخذناه عن الغرب تقليداً من الضعيف للقوي .. واعتقاداً من الضعيف ان كل ما يفعله القوي هو صحيح لا غبار عليه .

واعتقد ان لانتشار هذا النوع من الادب اكثر مــن عامل واحد . فالحربان المتتاليتان ودخول ملايين الشباب في الجندية حيث يغرف الجنود من المتع المحرمة ، وحيث تدور احاديث هذه المتع بينهم على المكشوف ،حتى اذا ما انتهت الحرب وعادوا الى بيوتهم ظل طابع تلك الاحاديث عــلى شفاههم مهما تظاهروا بالاحتشام .. ثم هذه الاباحية التي تنتشر في المدن ابان كل حرب وبعدها مباشرة حيث يصبح المعدل سبع نساء لكل رجل واحد ، كما حدث في المانيا اثر الحرب الاخيرة .. وحيث كانت تتجول الفتيات وقد اضناهن الجوع يبحثن في المطاعم عن رجل – اي رجل – يقدم للواحدة عشاء الليلة مقابل كل شيء يريد ...

ثم يأتي عامل آخر ولعله الاهم : فقد وجدت هنالك ايدٍ خفية تعمل على تهديم اخلاق الامم، وهدفها ان تسيطر هي بعد ذلك .. هذه الايدي هي ايدٍ صهيونية . ومن منا يعرف كم هم اليهود بين هؤلاء الكتاب الذين راحوا يكتبون الادب الاباحي عن قصد وتنفيذ لخطة مرسومة .

ان كتاب « بروتوكولات حكماء اسرائيــل » الذي طبع عدة مرات واختفى كل مرة من الاسواق بقدرة قادر.. الكتاب الذي اخرج للنور مقررات حكماء اسرائيل الذين كانوا يجتمعون من كل اقطار العالم منذ عام ١٨٩٨ ليضعوا مقررات ظلت خفية حتى طالتها يد ساحرة فنقلت الى العربية وتوارى الكتاب بسرعة ايضاً .. الكتاب الذي تنبأ او قدر على الاصح انقلاب روسيا القيصرية .. والحرب الثانية .. وطريقة الاستيلاء عـلى فلسطين .. مما نفذ ومـا هو في طريق التنفيذ ، الكتاب التي تقول مجلة « روز اليوسف » ان الحكومة المصرية ابتاعت النسخة الواحدة منه بـ٥٠٠ جنيه – هذا الكتاب يقول في بند من بنود خططه الجهنمية :

« يجب ان نعمل لتنهار الاخلاق في كل مكان فتسهـل سيطرتنا .. ان فرويد منا وسيظل يشرع العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس فيندفع فقط ليروي غرائزه الجنسية وتنهار اخلاقه »

لقد احصى الناس عدد الاعضاء اليهود في البرلمان الانكليزي

ومن هم تحت سيطرة اليهود، فكانت النتيجة هائلة.. فهل احصى احد عدد الكتاب اليهود في هذا النوع من الأدب ليرى النتيجة الأكثر هولاً ..؟

وبجانب هذه العوامل الثلاثة يأتي عامل رابع هو السينما.. فقد ابدعت العقول الجهنمية - ومعظمها يهودية تسيطر على هوليود - في اساليب جر الناس نحو الاباحية وعودتهم عليها خطوة خطوة .. وجعلتهم يألفون ما كانوا يشمئزون منه. فالقبلة العابرة التي كانت تحمر منها جباههم والتي كانوا يرونها فحشاً يجب ان لا تراه فتياتهم العذارى ألفوها .. ولما ألفوها راحت العقول الجهنمية تبحث عن قبلة اكثر اثارة .. ثم راحت الى غرف النوم وطيات الفراش تبحث عما تقدمه لهم مما يزيد في الاثارة .

وكان طبيعياً بعد ذلك ان يرى الكتاب الاباحيون انهم ملائكة بالنسبة للمخرجين .. فالكتاب كلمات تحاول ان ترسم صوراً والسينما صور ناطقة .. والكتاب شيء يقرأه المرء بينه وبين نفسه والسينما شيء تراه المجموعة وتتحدث عنه وتتبادل الآراء فيه .. والمسألة كلها بعد ذلك مسألة مادة وتجارة، وما دام هدف المخرجين هو المال، فلمَ لا يكون هدف الكتاب كذلك ؟.

ولقد يبرر بعضهم موقفه فيقول : انني انما اكتب للطبقة الواعية المثقفة .. كأن هذه الطبقة الواعية المثقفة لا عواطف لها تستفز.. وكأن قراء القصة هم من هذه الطبقة وحدها .. او كأن هؤلاء الكتاب نسوا ان يكتبوا على غلاف الكتاب « هذه ليست لك، انها للطبقة الواعية المثقفة وحسب » هذا وانت لو دخلت اعماق هؤلاء الكتاب لوجدتهم يتمنون ان يقرأ ما يكتبون كل مخلوق ، لان الرواج هو هدفهم الوحيد.

ونتساءل الآن: ما نفع هذا النوع من الادب وما ضرره؟

اما نفعه فلست اعتقد ان المحرومين متى تمتعوا بقراءته وجدوا فيه تفريجاً لازمة نفسية قد تخلق فيهم عقداً .. ذلك لأن الاستمتاع بالقراءة لا يروي غرائز المرء بل يزيدها ظمأ .. ثم لو صح هذا . ولو وضعناه في الكفة الواحدة من الميزان ، فاننا لا بد ان نضع في الكفة الثانية اثره في المجتمع كله .. واذكر موقفاً لي مع شابة ناضجة قرأت قصة « رسالة من امرأة مجهولة » لستيفن زفايج ورأتها على الشاشة فكان من رأيها ان هذه القصة تحللنا من قيود الزواج المدني او الديني وتجعل الحب كما يجب ان يكون هو الشرع المقدس.. وكان من رأيها ان بطلة القصة التي سلمت نفسها للرجل الذي تحبه بلا قيد او شرط ثم سلمت نفسها لآخرين كي تربي طفلها من ذلك الرجل حتى كانت نهايتها ونهاية طفلها المفجعة - هذه المرأة قد فعلت حسناً. قلت حتى ولو عاش طفلها ليحتقرها.. قالت حتى ولو عاش ليحتقرها. وهكذا فان عشرات الشباب اليوم اصبحوا يرون في رباط الزواج قيداً لا يصلح للقرن العشرين .. وبالرغم من ان زفايج جعل بطلته تدفع الثمن من دماء قلبها ، فان الشباب ، وقد طفر طفرة قوية، يرى ان كل قيد مهما كان نوعه يجب ان يحطم.. ولعل المتتبع لاخبار امريكا الاجتماعية يرى بان التحطيم قد ابتدأ هناك.. وان نتائجه قد احصت ١٤ الف ام صغيرة غير شرعية تتراوح اعمارهن بين ١٣ و ١٤ عاماً .. تحمل كل واحدة طفلها مع عارها، وتؤسس الملاجيء لهذا الجيش الخضم فلا تتسع لانه بازدياد .. وكان هذا الاحصاء في مقاطعة واحدة حول هوليود .

ونحن نعتقد ان هذا الادب سيموت، ولكن يوم يطرح في الاسواق كاسداً لا يشتريه احد .. ويوم يعود الخلق الى سموه ويشمئز من هذه الاباحية المكشوفة .. ولكن متى سيحدث هذا ..؟ ان معظم بلاد العالم تشكو الانهيار الخلقي. فعمد الجامعات في اميركا يعقدون الاجتماعات ليروا ماذا يفعلون ليردوا الشباب في جامعاتهم عن الجرائم الجنسية وتعاطي المخدرات وابتزاز اموال الفتيات بعد الفتك بهن، الى اخر ما حدا باحد هؤلاء العمد ان يقول : « اي جيش هو هذا الذي سيدافع عن اميركا، وجسمه منهار كعقله ؟» وانكلترة وفرنسا وحتى بلاد الثلوج البيضاء اصبحت تشكو اباحية هبت كالغارة الكاسحة على الاخلاق.. وكان من نتيجة هذه الشكاوى المريرة ان وجدت اقلام الرقابة على الافلام

السينمائية ومضى مقص الرقيب يقص .

ويتساءل المرء لماذا لا تكون هنالك رقابة على الافلام المبتذلة التي تصف غرف النوم وطيات الفراش ، لا لكي تحذر من العواقب والتبعات بل لتقوم بعمل القواد الذي يجلب النساء المحترفات للرجال المحرومين ..؟

قد يقول قائل « واين حرية الرأي ؟ واين .. واين ..؟» فاجيب : ان الشعوب التي تحبو على قدميها مثلنا ، انما هي بحاجة الى من يجنبها فتك الميكروبات السامة .. وان الحكومات عندما تكون في حالة حرب تضع رقابة على الصحف والاذاعات فلا ينشر او يذاع الا كل ما يرفع معنويات شعوبها .. واعتقد انه اذا كانت الدول التي تملك البحر والجو والذرة تخشى التبذل وتفكر كيف تحاربه فاولى بالدول الضعيفة مثلنا ان تفعل ذلك .

***

ولعل مما يريح النفس ان تبدأ مصر بالتوجيه الذي يغني احياناً عن الرقابة .. ففي جلسة بين اللواء عبد الحكيم عامر وصحفي كبير قال ، الرجل العسكري .. « احسست امس بضيق شديد .. فقد كانت ابنتي الصغيرة تقرأ في صحيفة .. وحاولت ان ارى ما تقرأ وجرت عيناي على السطور التي كانت عيناها تجريان عليها .. سطور مؤلمة مروعة يروي فيها القاتل كيف قال لزوجته الراقصة .. اديني بوسه .. فاذا بها ترفض وتتهمه في رجولته »

ويتم الرجل العسكري .« هل يجوز ان يكتب هذا ..؟ انني اراه عملية تدمير معنوية ليس لها حدود .. وبصراحة اكثر اي فائدة لكل ما يبذل من جهود اذا كان التدمير المعنوي يهدم ما نبني اولا باول ؟» .

ثم يضيف الرجل العسكري بمرارة :

« انني انظر الى هذه المسألة من زاوية اخرى قريبة من عملي كقائد جيش .. هل تظن ان قوة امة هي مجرد احاطة حدودها بجيش قوي يملك احدث الطائرات والدبابات والمدافع ..؟ لا اظن ..

«ان الجيش الرابض على الحدود هو سور .. مجرد سور حول ارض الوطن .. ولكن قل لي اي فائدة للسور مهما كان قوياً اذا كانت عوامل التدمير – ولو عن غير قصد – تواصل نشاطها من ورائه ؟ ان قوة النار وحدها على الحدود لا تكفي .. لا بد ان تبنى طاقة معنوية هائلة وراءها تشد ازرها وتقوي عزيمتها .. واسألك هل يمكن ان تبني طاقة معنوية في شباب يقرأ كل صباح ومساء اخبار قاتل زوجته .. وقاتلة زوجها .. والتي خانت والتي هربت ؟ »

وكانت هذه الكلمات مجرد غمزة من القائد الكبير للصحفي الكبير .. ومر اسبوعان والتقى الرجلان ثانية .. قال الصحفي ارأيت المعجزة التي حققتها؟ . ان المسؤولين في الصحف اجتمعوا فوراً بعد ان اطلعت صيحتك الصادقه ورأوا ان الواجب ولا شيء غير الواجب طبعاً .. يفرض ان يخصصوا حداً لمساحة اخبار الجرائم في صحفهم فلا تخرج عن نطاقه ولا تسرح عنه وتمرح في باقي الصفحات .. وقد كان .

***

وبعد فقد قلت مرة : « وحتى شعر الغزل حرام علينا في هذه الآونة .. حرام على العبد ان يغني وصليل القيود في رجليه .. حرام على الأقلام ان تهيىء للشباب المتع المبتذلة ليلهو بها .. والبنات عند عدوي مجندات مستعدات .. حرام ان يكتب في هذه الآونة العصيبة الا كل ما يوقظ الشعور الوطني ويضرب على وتر النصر والحرية .»

الا ان دم البطولات كامن في عروقنا .. فمن يوقظه ان لم تفعل الاقلام هذا .؟ ومتى يوقظ ان لم يكن الآن ؟

اسمى طوبي

النظريّة والتجربة

بقلم لويس دوبرولي

يبدو ان الادوار التي تلعبها التجربة والنظرية في علوم الطبيعة هي امر متفق عليه منذ زمن بعيد. فالتجربة، التي هي الاساس الرئيسي لكل تقدم في هذه العلوم والتي منها يجب ان ننطلق دائماً واليها يجب ان نعود ابداً، هي وحدها التي تستطيع ان تمنحنا معرفة الاحداث الحقيقية التي لا يمكن ان تسمو عليها اية فكرة نظرية او رأي مسبق. ويجب ان لا تقتصر التجربة على مجرد الملاحظة السلبية، ولكن عليها، كلما سنحت لها الفرصة، ان تتدخل فعلياً، كأن تغير شروط انتاج الظواهر وان تسائل الطبيعة، بطريقة دقيقة بحيث تستطيع ان ترى ما عسى ان يكون جوابها. اما النظرية فتحمل على عاتقها امر تصنيف النتائج المكتسبة وتجميعها واعطاء لوحة عقلية عنها تمكننا لا من تفسير ما هو معروف وحسب، ولكن بالاضافة الى ذلك، وبقدر المستطاع، التنبؤ بما لا يزال مجهولاً.

وعلى التجربة ان تكون دقيقة؛ ولكي تغدو مثمرة حقاً يجب ان تعبر في النهاية عن نفسها بنتائج كمية، اي عددية. ولهذا كان من الضروري ان تستخدم آلات تستطيع ان تعطي نتائج من هذا النوع وتتضمن بشكل ما تدرجات. فتقدم الفيزياء التجريبية هو متعلق اذن بتحسين الطرائق وآلات القياس، وهذا ما يجعل لعلم القياس اهمية كبرى في هذا المضمار. كما ان تقدم العلوم مرتبط عامة بتحسين علم الآلات، التي تستطيع وحدها، ان تغير بمرونة ودقة متزايدتين شروط ملاحظاتنا والطريقة التي نستطيع بها ان نستنتج ظواهر فيزيكية مرهفة اكثر فأكثر. وهنا يكمن احد الاسباب التي تفسر لماذا استطاعت الفيزياء بعد تقدمات بطيئة وصعبة ان تنمو وفق نسق متزايد متسارع. وبالفعل، كلما تقدمت الفيزياء، قدمت لنفسها، بشكل آلات تزداد دقة ورهافة، الوسائل التي تعوزها لتتقدم اكثر فأكثر. واننا لنجد هنا الشرط المألوف للتطورات ذات الطابع الأسّي exponentielle. ولكي تتمكن النظرية هي ايضاً من ان تدلي بمفاهيمها في شكل دقيق، فنستنتج منها، بطريقة بعيدة عن الخطأ، تنبؤات جديدة بأن تقارن بدقة مع نتائج التجربة، فانها بحاجة الى آلاتها، ولكن آلات تمت الى العقل خصوصاً.

انها آلات رياضية، اذا صح التعبير اتاحها لها، بالتتابع، نمو الرياضيات والهندسة، والتحليل التي ما فتئت ايضاً تتضاعف فتزداد دقة. ويجب بالتالي ان نضيف، ان النظريين، خاصة في هذه السنوات الاخيرة، استطاعوا ان يستعملوا آلات مادية كالآلات الحسابية او الشبهية anologiques التي تساعدهم في حساباتهم وتنفذ احياناً جميع هذه الحسابات بالنيابة عنهم. ولأسباب لن نعرضها هنا، لا يبدو لنا ان عمل مثل هذه الالات، مهما تيسر لها ان تصبح كاملة، لا ينبغي لها مطلقاً، لتؤمن تقدم العلم، ان تحل محل الفكر الانساني الذي يشتغل بمعطيات التجربة.

والنظرية الفيزيائية، عندما تتوصل الى تمثل رياضي منسجم مع المظاهر المعروفة، تسعى الى ان تستنتج منه تنبؤات مظاهر جديدة. واحياناً تؤكد هذه التنبؤات ابحاث تجريبية جديدة، وهكذا تخرج النظرية، وقد اخضعت للتجربة، وقد ازدادت بذلك قوة.

***

واحياناً - بل يمكن ان يقال ان هذا ينتهي دائماً بالحدوث - اما ان التجربة لا تحقق احدى تنبؤات النظرية، واما ان تعطي فجأة، ومن غير قصد غالباً، حدثاً جديداً لا يتأطر مع النظرية: وفي هذه الحال ينبغي تعديل وتحويل البناء

يُعد لويس دو بروليLouis de Broglie من اكبر العلماء المعاصرين، لا في فرنسا وحدها، بل في العالم كله. وقد رأت «الآداب» ان تترجم له هذا المقال الذي سينشر هذا الشهر كمقدمة للجزء الثاني من دائرة المعارف الفرنسية، وقد نشر في العدد ١٤٨٩ من مجلة «لينوفيل ليتيرير».

النظري الذي سبق واقيم . ولكن ما هو اساسي ، ان هـذا التحويل ،بسبب انه ينبغي ان يتيح دائماً شرح الاحداث التي لوحظت،يجب ان يشمل بشكل ما ، وغالباً على سبيـل التقريب الاولي ، النظرية السابقـة ، ومجموع المعادلات التي باتت تستند عليها ، والتي لم يتغير فيها سوى التعليل . وهكذا يمكن للنظرية الجديدة ان تلقى ، من جديد ، جميع تنبؤات النظرية السابقة الصحيحة . ولكنها اذ تنفصل عنهـا في بعض الظروف ،تستطيع معرفة الاحداث الملحوظة التي لم تستطع النظرية السابقة ان تنجح في توقعها .

بهذه الاحاطات المتتالية تتوصل الفيزياء النظرية الى ان تتقدم من غير ان تنكر اي انتصار من انتصاراتها السابقة . ونكتفي بان نذكر مثالاً من ابرز الامثلة . فلقـد توصلت نظرية « ماكسويل » في الاشعة الكهرمغنطيسية ان تلتقي مجدداً ، بعد تعديلات مختلفة ، بجميع المعادلات التي كشفتها « لفرنل » وتابعيه ،صورة ' اثير مطاط، هو دعامة للتموجات الاشعاعية . ولكنها استطاعت ، بالاضافة الى ذلك ، ان 'تدخل الاشعة كحدث خاص جداً ، في فصيلة التموجات الكهرمغنطيسية التي هي اوسع بما لا 'يحـد" ، واستطاعت ايضاً ان تؤدي الى تعليل هام للاحداث الالكترونظريـة والمغنطيسية النظرية ، لم تكن مفاهيم فرنل لتدركه .

وقبل ان ننهي هذه التأملات حول الدور المتبادل للتجربة والنظرية ، نشير الى ان نتيجة التجربة لا تتميز اطلاقاً بميزة حدث خام 'يقتصر على ملاحظته : ففي نص" هذه النتيجة قسط من التعليل ، اي تدخل مفهومات نظرية . والفيزيائي الذي يقيس تياراًبقياس امبيري Ampermètre لا يكتفي بان يقول : لقد رأيت عقرب آلتي القياس يقف عند الخط كـذا من تدرجاتها ، فان هذه الملاحظة ، بهذا الشكل ،لا اهمية لها . بل هو سيقول : « لقد قست تياراً من عشرة « امبير » ولكن ان كان تأكيده مهماً هذه المرة ، فهو يفترض مجموعـة من المفاهيم النظرية حول قوانين الكهرباء وعمل آلة القياس الخ... والحق ان هذا التدخل الذي لا غنى عنه للافكار النظريـة في نص النتائج التجريبية قد مارس تأثيراً شديداً على بعض الاذهان،حتى انهم تساءلوا عما اذا كان هناك حقـاً احداث تجريبية قائمة مستقلة عن مفاهيمها النظرية . بل ذهب بعضهم الى القول : ان العالم هو الذي يخـلق الحادث الفيزيائي ، ولا شك ان في هذا القول بعض المبالغة التي عارضهـا هنري بوانكاريه بشدة . ان للحادث الفيزيائي وجوداً مستقلاً بلا شك عن المفاهيم التي تستعمل لتعليله : بل هو يرفض احياناً ان يؤكد التعليل النظري الذي 'يراد ان يعزى له . على انه لا بد من الاحتفاظ بالتحليلات التي اعطاها في هذا الصدد ادوار لوروا E . Leroy خصوصاً وبيار دوهيم P . Duheim منذ ستين عاماً من ان فكرة الحدث التجريبي هي اعقد مما قـد 'يظن لاول وهلة . فليس هناك حدث خام مئة بالمئة . ان معطيات حواسنا لا تستطيع ان تستخدم لبناء العلم الا بعد ان نعللها تعليلاً ملائماً ، وبالضرورة تدخل في هذا التعليل بعض مفاهيم ذهننا ، اي افكار نظرية . وهذا يثبت اننا لا نستطيع ان نفصل فصلاً واضحاً التجربة والنظرية ،ولا ان نعتبر الحدث التجريبي معطى مستقلاً عن كل تعليل . ان العلاقة بين التجربة والنظرية هي ادق واعقد : فالملاحظات التجريبية لا تتخـذ قيمتها العلمية الا بعد عمل يقوم به ذهننا الذي يسم الحدث الخام بطابع نزعاتنا ومفاهيمنا .



١ ـ الفلسفة السياسية

تأليف محمد مفيد الشوباشي .

منشورات دار الكشاف ، بيروت – ١٩٤

●

هذا كتاب ذو عنوان ضخم ، تصورت حين وقع نظري عليه انني سأجد فيه عرضاً للفكر السياسي منذ اقدم العصور الى اليوم ، وفي مختلف البلدان والاقاليم والمناطق ، عند مختلف الشعوب والامم ، اذ ليس من شأن هذا العنوان الا ان يوحي بمثل ذلك التصور الذي تصورته .

بيد ان الواقع هدم تصوراتي كلها ، فقد تبين لي بعد قراءة الكتاب ، أنه محاولة قام بها المؤلف لاثبات فكرة سياسية معينة ، ودحض سائر الفكرات التي تخالفها ، متذرعاً الى ذلك بما قدم تاريخ الفلسفة ، وتاريخ الحضارة ، وتاريخ المجتمعات البشرية من وقائع ونظريات . وجاء عرضه التاريخي مضطرباً ، لا يتقيد بالترتيب الزمني ، ولا بالتفصيل المكاني ، ولا مراعياً تأثير فلسفة سابقة ، في فلسفة لاحقة ، ولا موضحاً ما اخذه عصر عن عصر ، او شعب عن شعب ، في إطار التجربة السياسية .

كان الفيلسوف البريطاني الشهير برتراند راسل قد وضع « تاريخاً للفلسفة الغربية في علاقاتها بالظروف السياسية والاجتماعية من ابكر الازمنة الى اليوم الحاضر » فجاء كتابه هذا في ٩١٦ صفحة ، واعتذر في مقدمته عن قصوره في التعرض لآراء الفلاسفة ومناقشتها باستثناء لايبنتس الذي يرى انه درسه اكثر من غيره ، أو انه كان قد سبق له ان تعمق في دراسته !

ولكن الاستاذ الشوباشي ، وعنوان كتابه أضخم من عنوان كتاب راسل ، رغم طول هذا ، وقصر ذاك ، لم يكتب مقدمة يحدثنا فيها عن أهدافه ، ووسائله ، ووجهة نظره في تأليف هذا السفر في هذا الموضوع الجليل ، ولا فكر في « الاعتذار » عن شيء !..

هاك الآن فصول هذا الكتاب التسعة ، وهي : المبادىء العامة للفلسفة، النظرية والتطبيق ، مبادىء الفلسفة المثالية ، منهج الفلسفة المثالية ، الفلسفة المادية البحتة ، اسس الفلسفة الواقعية ، منهج الفلسفة الواقعية ، التفسير الواقعي للتاريخ .

هذا هو مجمل الفصول ، ولكن كل فصل ينطوي على عدة عناوين صغيرة ، تحسب معها وانت تطالع ، ان الاستاذ الشوباشي يكاد يخلط بين الفلسفة – وهي التفكير المنظم لتحقيق عمل منتظم – والخطابة السياسية في جمهور ينقصه الوعي . تأمل « عنيويتات » الفصل الاول : ١) لنكن واقعيين ! ٢) تزييف الاستعمار للواقعية ٣) كيف نفهم الواقع . ٤) من هو المثالي ؟ ٥) الفلسفة المثالية ٦) نشأة المثالية ٧) ميادين الواقعية ٨) الضد يظهر الضد ٩) عناصر الحضارة ١٠) العنصر الثقافي ١١) العنصر المادي البحت ١٢) الطبيعة مدرستنا الاولى ١٣) بيئة الثقافة . أي ان لديك ثلاثة عشر موضوعاً في مدى عشرين صفحة ، وكل واحد منها يحتاج الى كتاب كامل ، لا يقل عدد صفحاته عن المائتين . ومع ذلك ، أنت تقرأ « فلسفة » كما يحسب الاستاذ الشوباشي !

ثم لاحظ هذه التقريرات التي يقررها ، والاستنتاجات التي يستنتجها . إقرأ ما يلي : « من المعروف ان الضد لا يفهم الا بضده ، أو لايدرك الا بضده . فالنعيم يدرك بالشقاء، والراحة بالتعب ، والنهار بالليل وهكذا.. على أساس هذه البديهية ، نستطيع ان نفهم الحياة التي لا تقوم الا على النقائض المتضاربة . وعلى هذا نجد ان القبائل البدائية لا تدرك صفات الصدق والصراحة والايثار والنجدة وسائر الشمائل لانها لا تعرف أضدادها من الرذائل كالكذب والرياء والانانية والخذلان. فشمائل اولئك البدائيين اصيلة لا يشعر أصحابها بوجودها لانهم – كما قلنا – لا يعرفون أضدادها . »

لا استطيع ان أصف هذا الكلام الفلسفي الا انه « عجيب » لا لانه خطأ ، بل لان الالفاظ التي يتكون منها تائهة عن معانيها ، متنافرة باجتماعها ، بعيدة عن بعضها البعض في تلاقيها ، كأنه لا فرق بين « الفهم » و « الادراك » ، وكأن تضادّ الليل والنهار امر مفروغ منه علمياً، وكأن الراحة والتعب شيئان كغيرهما من الاشياء ، كالكرسي ، كالمخدة ، كالطاولة، لا حالتان من حالات الشعور !

ثم اين هي القبائل البدائية التي لا تعرف الكذب والرياء والانانية والخذلان ؟ اين تعيش ؟ في اي عالم ؟ في اي كوكب من الكواكب الثابتة او السيارة ؟ ألهذه القبائل التي يحدثنا عنها الاستاذ الشوباشي لغة ؟. وهل في لغاتها ألفاظ تدل على هذه المعاني التي « لا تعرفها » ؟ واذا لم يكن لها لغة تتفاهم بها ، او تتخاطب على اقل تقدير، فا الفرق بينها وبين الحيوانات ؟ ام تراها اكثر « بدائية » من الحيوانات ؟

قد تكون قبائل الاعراب البدوية التي عاشت في صحراء النفود مثلاً ، او في الدهناء ، او في الربع الخالي ، قبل الاسلام بقرن او قرنين أوضح مثل اعطاه التاريخ على « الانسان البدائي » ونحن نجد لدى هذه القبائل كلمات تشير الى « الصدق » ومقابلها كلمات تشير الى « الكذب » كما نجد كلمة « كرم » وازاءها كلمة « لؤم » . فا معنى ذلك ؟

أما الحيوانات فانها ، في تنازعها على البقاء ، تحيا تلك المعاني حياة واقعية ، وان لم تعبر عنها بلغة يفهمها الناس كما يفهمون لغة شكسبير مثلاً !

أريد ان اقول : إن فهم الحياة ، والحياة ، قضيتان مختلفتان،واختلافها لا يعني ان لا صلة بينهما ، وان لا تأثير لاحداهما في الاخرى . الاولى اي فهم الحياة ، قضية انسانية لازمت الانسان منذ نشوئه وتكون عقله ، أية كانت درجة بدائيته ، او درجة حضارته . والثانية اي الحياة ، قضية حيوانية قائمة بذاتها يمارسها الانسان والحيوان على السواء مراساً عملياً واقعياً . الاولى مرتبطة بالتعبير ، لا فكاك لهما منه ، والثانية لا تقيم للتعبير وزناً الى جانب وجودها كوجود تحسه ، وترغب في استمرار احساسها به .

وهذا يفيد انه حيث وجد تعبير ، وجد فهم للحياة . وليست «النقائض» التي تراها نقائض ، الا تعبيرات عن احاسيس نتلقاها من الحياة . فالقول بأن البدائيين لا يعرفون صفات معينة ، لانهم لا يعرفون نقائضها ، مناف لواقع الحياة من جهة ، وعجز عن التقاط الصورة الصحيحة لذلك الواقع من جهة ثانية ، وتقصير عن اللحاق بالفكرة في التعبير عنها ، من جهة ثالثة .

والملاحظة الاخيرة – اي التقصير عن اللحاق بالفكرة ، في التعبير

عنها – تشمل كتاب « الفلسفة السياسية » من اوله الى آخره ... هـذا واضح من مقارنة عنوان الكتاب بموضوعاته ، من طريقة تبويبه ، من أسلوبه الخطابي في عرض أعقد المشاكل الفلسفية ، من اطلاقه الاحكام في امور وقضايا تحتاج الى دراسة عميقة مشبعة، واخيراً من مروره السريع بآراء الفلاسفة القدامى والمحدثين على السواء ..

غير ان الروح التي تسود هذا الكتاب ، عالية ، انسانية ، خـيرة ، تشعرك بأن المؤلف ذو ايمان حار قوي بقيمة الانسان ، وقيمة العقل ، وقيمة المعرفة ، كما تنبىء عن دعوة الى الكفاح في مقاومة الظلم الذي يحيق بالناس في بعض الاقطار والبلدان ، وتنبههم الى مواجهة الواقع ودرس عوامله ، والعمل على تغييره . فالكتاب ينتهي بهذه الكلمات : « لقـد استطاع الانسان بواسطة تقدم المعرفة ان يتغلب على استبداد الاقدار به ، وسيطرة الخرافات على ذهنه ، وتهديد الطبيعة لمقومات حياته . وهو بسبيل التمكن من غلبته على الاستعباد الطبيعي والبشري بالوانه كافة ، دون ان تكون لمصادفات القدر ، ونزوات البشر ، اية هيمنة عليه »

هذه الروح وحدها كافية لان تجعل منه كتاباً ادبياً قيماً ، ومفيداً ، وان ترفع مؤلفه الى مستوى كبار« الدعاة » للايمان بالانسان،وان كانت تنأى به عن ان يكون سفراً فلسفياً ...

٢ ـ مصادر الدراسة الادبية

تأليف يوسف اسعد داغر

الجزء الثاني – مطابع لبنان ، بيروت – ٨٦١ ص

•

الاستاذ يوسف اسعد داغر هو اللبناني الوحيد الذي توفر على دراسة علم الكتب (البيليوغرافيا) وبذل في هذا الحقل جهوداً كبيرة ، كان من ثمارها سلسلة مؤلفات في هذا الموضوع بين فرنجية وعربية ، هي افضل معوان للباحث العربي على تتبع الثقافة العربية في مصادرها القديمة والحديثة وللطالب العربي على الاهتداء الى كل ما يحتاج اليه في درسه لاعلام الادب والفكر العربيين ، في مختلف البلدان والاقطار .

يقول المؤلف في مقدمة هذا الجزء من كتابه : « اقتصرت الحلقـة الاولى من حلقات هذه السلسلة التي صدرت عام ١٩٥٠ (مطبعـة دير المخلص – صيدا) على نحو مائة رأس من رؤوس الادب وشوامخ اعلامه في العصر الجاهلي ، والعصور الاسلامية المتتالية ، ممن اصطلحت مناهج التعليم الرسمية في كل من : لبنان وسورية ومصر والعراق على اعتمادهم وفقاً لبرامج التعلم فيها من ثانوية وعالية وجامعية .

« وهذا الجزء الثاني الجديد على قسمين، يتناول قسمه الاول: « الراحلين» من مشاهير حملة الفكر العربي الحديث في نهضتنا الادبية منذ مطلعها في غرة القرن التاسع عشر حتى اواخر عام ١٩٥٥، كما سيتناول قسمه الثاني الذي نعنى بوضعه الاحياء منهم .. »

لا شك ان هذا العمل ضخم ، خطير ، ان يعجب القارىء فيه لشيء ، فيعجب لكونه تم على يد فرد من الباحثين ، وهو مما لا يوفق الى تحقيقه غير جماعات ، لا جماعة واحدة .

ذلك بان مؤلفه اتبع خطة قوامها الاستقصاء والتفصيل في كل ما يتعلق بالرجال والنساء الذين كتب عنهم ، واشتهر في الناس ذكرهم . فـاذا تحدث عن « مي زياده » مثـلا كان منهجه ان يذكر : ١ – من هي ؟ ٢ – مؤلفاتها المطبوعة . ٣ – مؤلفاتها المخطوطة . ٤ – كتب خاصة بها. ٥ – كتب تناولتها بالبحث ٦ – مقالات المجلات العربية . وهكذا .. في شأن كل مـن تعرض له من الادباء والمفكرين والباحثين والعلماء والشعراء .

ثم لم يكتف بذلك ، في كتابه هذا ، فبعد ان ملأ ٧٧٠ صفحة بترجمة الاعلام وذكر مصادر الدراسات عنهم انتقل الى الاستشراق والمستشرقين، وتحدث عن حركات الاستشراق في مطلعها ، والمدارس الاستشراقية مفصلا اتجاهات كل مدرسة منها وخصائصها ، واضعاً الخطوط التي تميزت بها كل من المدرسة الالمانية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاميركية في الاستشراق، دون ان ينسى حديث مؤتمرات المستشرقين على اختلاف ديارهم ، وتنوع ميولهم واختصاصاتهم ، وتحدث اخيراً عن « أعلام المستشرقين » ومصادر البحث عنهم .

كان من الطبيعي ، إزاء هذه الضخامة في خطة الكتاب ومنهجه في البحث، ان يغفل المؤلف كثيراً من الاعلام والنابهين ، وان يسهو عن كثير من المصادر ، وان يضيق استيعابه – وهو فرد – عن الاطلاع على اشياء كثيرة ، فهو لم يذكر مثلا العدد الخاص الذي أصدرته مجلة « الرسـالة اللبنانية » عن جبران ، ولا ذكر ما نشرته« مجلة الآداب » عن علي محمود طه، وامثال ذلك كثير، لا سبيل الى عده وحصره ، مما حمله على الاعتذار اكثر من مرة عن اغفال من اغفل ، والسهو عما سها ، إن في مقدمـة الكتاب ، وإن في آخره ، حيث اشار الى تضخم حجم الكتاب ، واورد لائحة باسماء الاعلام الذين لم يستطع الكتابة عنهم ، والتعرض لدراستهم .

يلوح من خلال ذلك كله ان المؤلف اعتمد المبدأ القائل : « مـا لا يدرك كله ، لا يترك جله » واتخذه قاعدة في فهرسة الثقافة العربية التي لم تولها المؤسسات الثقافية في بلاد العرب العناية التي تستحقها ، وحاول استناداً الى تلك القاعدة ، ان يقوم بما تقوم به عادة الدول والحكومات .

هي وجهة نظر .. والقول الفصل ان الاستـاذ داغر ادي ، على قدر المستطاع ، خدمة جليلة للثقافة العربية الحديثة ، وان كانت لا تفي بالمرام .

٣ ـ قصائد مختارة

ترجمة بدر شاكر السياب

مطبعة بغداد – ١٠٣ ص

•

الاستاذ بدر شاكر السياب ، شاعر عراقي موهوب ، وهو من الشباب الذين يحاولون تجديد الشعر العربي ، ونقله من الآفاق والموضوعات التي عاش فيها من قبل ، الى آفاق العصر الحديث وموضوعاته . وهو في هذا الكتاب ، يجمع باقة من القصائد لمجموعة من الشعراء لا تربطهم لغة ولا بلد ولا عصر ولا اتجاه ، وعددهم عشرون شاعراً هم : إليوت ، مونتال ، لوركا ، ناظم حكمت ، طاغور ، سيتول ، نيرودا ، سكليانوس ، سبندر ، كامبر ، مارين ، لويس ، رلكي ، باوند ، جيوفانيتي ، لامير ، بويفيه، كرمل ، رامبو ، فليتشر .

يقول بدر في آخر كتابه: «ترجمت هذه القصائد كلها، عن اللغة الانكليزية. ولا تخفى على القاريء الصعوبة التي يصادفها المترجم، وهو ينقل الى لغته قصيدة مترجمة، بدورها، إلى لغة غير لغتها الاصلية. ومما زاد الامر صعوبة ان اغلب تلك الترجمات كانت ترجمات شعرية»

لي اعتراض على هذه الطريقة في تناول الشعر، والتحدث الى القراء، معاً، وهو ان شعور الاديب بصعوبة في عمل يعمله، لا يزيل الصعوبة التي تعترض القاريء، وإن اوضحه لها، او اعتذر عنها.

هناك طريقة واحدة، ولا طريقة غيرها هي ان يعمد المترجم الى ذكر كل ما يتعلق بحياة الشاعر، واجوائه، وآثاره، وآراء النقاد فيه، وميزاته التي تفرد بها، وتأثيره في حيوات الناس من حوله، حتى اذا وفق استطاع ان ينقل قصائده او بعضها مقرونة بالشروح والتعليقات والايضاحات اللازمة، شرط ان تكون الترجمة رأساً من اللغة التي وضعت بها القصائد.

اما أن نترجم المترجم، ومن الشعر ايضاً، ففي اعتقادي انه امر خارج عن طاقة الواقع الشعري، ولا يتيح لاحد التقاطه، بعد ذلك، والافادة منه. وقديماً ادرك ادباؤنا هذه الناحية، واتبعوا ما أدركوا. فالجاحظ هو الذي قال: «الشعر لا يترجم، واذا ترجم، سقط موضع التعجب منه». ماذا يقول هذا الاستاذ اذا اطلع على ترجمة لترجمة ترجمة الشعر ؟!

اقول ذلك بعد ان قارنت قصيدة أرتور رامبو - وانا اعرف الفرنسية - المنشورة في هذا الكتاب، وقد نقلها صاحبنا بدر عن الانكليزية، فاذا البون شاسع، إن في الجو، وإن في المعاني، وان في الايحاءات، وان في موسيقى الفكر والعاطفة !!

اما في قصيدة «أم ترثي طفلها» للشاعرة الانكليزية ايديث سيتول، فقد وفق بدر الى اعطاء شيء ثمين، الى خلق جو، الى تحريك القاريء العربي. وظني ان ذلك لسببين: الموضوع نفسه، ومعرفة المترجم للغة التي نظم بها الموضوع!

قد يكون بدر معذوراً في محاولته نقل نماذج من الشعر العالمي، فهو لا يجد بين ادبائنا من يهتم بالآداب العالمية، وبالشعر خاصة، ثم لا يجد ان دارسي اللغات الاجنبية من ابناء العروبة، يهتمون بنقل الآثار الشعرية عند الالمان والروس والاسبان وامريكا اللاتينية واليونان المحدثين.

هذا حقل جديد، يجب ان يهتم به الآخرون. فهل اراد بدر شاكر السياب ان ينبه قراء العربية الى واجباتهم ؟! هذا ما يغلب على ظني!

عبد اللطيف شراره



العروبة أولاً

تأليف الاستاذ ساطع الحصري

دار العلم للملايين، بيروت - ١٨٩ ص

•

العروبة كلمة عذبة مستحبة، درجت على الاقلام في السنوات العشر الاخيرة، وتداولتها الالسنة حتى استساغها من لم يكن يألفها وصارت من الكلمات الشائعة المغرية كالديمقراطية والتقدمية والتعاونية، فاتخذها بعض الناس عنوانا ورمزاً لرسالة او سياسة يؤلفون باسمها جماعات او يعقدون حلقات، وهي اليوم من القاب بعض الشعراء والمطربين.

ومنذ دب التطور السياسي والفكري في البلاد العربية بعد فجيعة فلسطين اخذت هذه الكلمة الفخمة تزداد شيوعاً وتداولاً، فرددتها المجالس والصحف، وقد تسربت الى بعض المؤلفات الحديثة، وقل ان تخلو اليوم صحيفة يومية او اسبوعية عن ترديدها وجعلها موضوعاً للقضايا القومية والاخبار السياسية.

حقاً ان كلمة العروبة التي بقيت في بعض البلاد دون بعضها الآخر مطوية منسية، او مهملة مجهولة، قد كتب لها اليوم ان تبعث وتذاع، وان تروج على اقلام النقاد والباحثين، لكن دون دراسة علمية او تمحيص موضوعي، يتناول نشأة العروبة وتطورها واثر روابطها وتاريخ حقائقها، باداء منهجي وتوجيهي، يفيد المتعلمين والمتنورين، ويرسم الخطط لبناة الجيل في تثقيف الطلاب والطالبات ويمهد للحياة الجديدة على ضوء هذا المنار. ولئن لم تؤلف الكتب العلمية والفكرية التي تحيط بحياة العروبة من فاتحتها وعهد انبثاقها الى ايامنا الراهنة، مرحلة بعد مرحلة، وفي كل بلد ينطق بالضاد، وفي كل مهجر لها فيه شعاع وبرهان، فان ثمة بحوثاً ومقالات تضمنت هذه الفكرة والصورة، واحتوت زوايا من هذا الموضوع وما يتعلق بالشعوب التي تستجيب لفحواه، فلما ظهر كتاب «العروبة اولا!» للبحاثة المفكر الاستاذ ساطع الحصري حسبت هذا الكتاب دراسة علمية وتاريخية ونفسية او مراساً للبحث الجدي من ناحية واحدة، تقرر حقيقة جديدة، وتمحص ما لابسها من تمويه واهمال.

قلت بيني وبين نفسي هذا مؤلف وقور دائب من دعاة العروبة الحافلين بامورها وذكرها، لابد ان يتناول الموضوع الخطير بما عهد فيه من دقة في البحث واناة في الحكم والتحليل. وشدما كان اسفي حين رأيت الكتاب جمعاً لمقالات علق في بعضها المؤلف على مطارحة جماعة من بعض المعنيين بها، من اصحابها انفسهم، واراء قديمة اختزنها ليعود اليها ويربط بينها وبين المطارحة فتكون موضوعاً واحداً لفكرة واحدة تشغل البال في الشرق والغرب. ولولا ان في نقدها مجالا لنفض ما في نفسه نحو هؤلاء الباحثين المحدثين لما عني بها، وجعلها موضوعاً لكتابه، فهل اتى «صاحب العروبة اولا» بجديد في الرأي والتقرير حتى كلف نفسه هذا العناء او خفف عنها البلاء ؟

ان ما جاء في مطلع كتابه من تعريف بالعروبة يعرفه الامي الواعي فضلا عن المتعلم والمثقف، وقد حسب المؤلف ان ترديد هذا الكلام البديهي هو اعلان عن حقائق خافية او غامضة يجب ان يعرفها القاريء

العربي اليوم ، او ان في تكرارها وتقريرها ايقاظاً للشعور بالقومية العربية وبث الايمان بالوحدة المنشودة .

ومن اجل هذا بنى المؤلف كتابه واعده ، لكن على اية قواعد ؟ انه يسرد وقائع تاريخية واحداثاً سياسية بدأت في سورية منذ جلا الترك عنها ، ثم يذكر ما اتصل بسورية المحتلة من ثورة ونضال وتفكك وتقسيم ، فيرى ان « حركات التوحد والتوحيد » التي حدثت بين الاقطار العربية في الماضي القريب لم تنحصر فيما وقع بسورية ، بل حدث ما يماثلها في شبه الجزيرة العربية[1] فاستعرض المؤلف الاحداث التي وقعت في بلاد المملكة العربية السعودية حين كانت منقسمة الى وحدات سياسية قد استقل بعض منها عن آخر ، وانفرد بالحكم ، حتى انبثقت الفكرة العربية وهبت الثورة الكبرى في ظروف خطيرة .

وبعد ان تتبع المؤلف الاحداث كما ترويها كتب التاريخ ويعرفها الاحياء ممن عاشوا فيها وشاركوا ، انهى الموضوع باحكام مقررة بعد ان ترك فيها طوابعه الخاصة ونقداته اللاذعة التي نالت من عربي كبير مضى الى ربه شهيداً ، ثم قفز قلم المؤلف الى عنوان سماه « مزالق التشبيهات » وفي هذا الموضوع التهكمي ارتد المؤلف الى ما قبل ثلاثين عاماً خلت ، كانت فيها الشعوب العربية في بدء نضالها وقد نفضها الاستعمار الجديد ومزقتها سياسته الغاشمة ، فقال سعد زغلول زعيم مصر في ذلك الحين رأياً في الوحدة العربية دل على استخفافه بما يمثلها ويدل عليها ، اذ كانت البلاد التي خلصت من الحكم التركي ويتنازعها نفوذ الغاصبين من الحلفاء موضع

---

[1] ص ٣٦

تسويف وكفاح . لكن الزعيم المصري الخالد رآها اصفاراً في حسابه السياسي ، وجوابه لمجاهد حاوره في هذا الشأن ، فاتخذ المؤلف من هذا الرأي القديم العابر موضوعاً للكلام على «الوحدة والاتحاد» ومجالا للتعليق على تشبيه البلاد العربية بالاصفار . وكأنه امسك بطرف الخيط في تأويل ما جاء في خبر قديم ليملق بيانه وايمانه بتشبيه آخر للامين العام السابق في الجامعة العربية ، اذ كان يشبه « عزام باشا » الامانة العامة للدول العربية بالمرآة .. فأخذ المؤلف يتساءل عن نوع هذه المرآة التي صنعها المتكلم في ذلك الحين باسم الجامعة العربية ، وقد سفه سياسته وعده المسؤول عن خيبة الجامعة وهزيتها ، ولم تخف على القارىء ضغينة المؤلف على الامين السابق فيما عرض به وفند من اعماله ، اذ لم ينقدها نقداً موضوعياً مبنياً على الحجة والحادثة بل اتخذ من صاحبها موضوعا للتهكم والاستخفاف والقاء التبعات .

وجريرة عزام في نظر المؤلف انه انصرف الى السياسة وحدها والى معالجتها بالخطابة والاحاديث المرتجلة لا« بالوثائق والمعلومات»ثم يترك هذا الموضوع ليذكر السؤال الذي طلع به نابغة مصر فتحي رضوان على قومه في عهد الثورة والوزارة قائلا : « من انا .. ومن انت ؟ »

وقد تفرعت من سؤال الوزير الموجه حلقات ولفتات ، درسها ومحصها وبين فيها بالتفصيل مكان مصر وعلاقتها بالعرب والاسلام ، وموقعها من افريقيا والسودان ، واتصالها بالغرب منذ سبعين عاما ، فترك هذا السؤال الخطير دوياً في محافل الفكر والثقافة بمصر حتى سارعت « دار الهلال » الى دعوة طائفة من اعلام الرأي والوطنية ليتدارسوا السؤال ويتحاوروا فيه على مسمع من الجمهور . وكنت اذ ذاك معنية به ، واقفة على موضوعه وهدفه ، فتتبعته ووعيته للموازنة والاستنباط في تطور الفكر والحاجة والرابطة في كل بلد عربي .

كان الاستاذ فتحي رضوان يدير البحث والنقاش ، وكانت المسألة موضوعا شائقا شائكا استطاع المتحاورون ان يخوضوا فيه ويخرجوا منه بلباقة وجرأة واخلاص للحقيقة كما تبينوها وطلبوها وفاقا للظروف السياسية والشؤون القومية ، وقد تجلى في ذلك الحوار الرائع ايمان المصريين بما فيه مصلحة بلادهم وعروبتهم ، لكن مؤلف«العروبة اولا» علق على اقوال المدعوين للكلام ومنهم الاساتذة احمد زكي وحسين كامل سليم وعبد الرحمن عزام وفكري اباظة ووليم سليم حنا بما لم يعجبه من تعليل وتأويل ، ولم يترك العنوان او السؤال دون تقويم وتقرير ، فابدى حذقاً نحويا ولغويا في التفريق بين ام وهل في المسألة ،وان الاولى تدخل منطقياً بين امرين لا يمكن ان يجتمعا .

وعلى الرغم مما ورد في كلام المسؤولين من نقاط لم ترق المؤلف فانه طالب بدراستها ، وفصل بعضها عن بعض آخر لتكون « وثائق ومعلومات » وهنا عاد المؤلف الى النغمة القديمة التي نشزت في مصر منذ ربع قرن متباهية بالفرعونية ، او داعية الى الارتباط بحضارتها وفنها ، فسفهها صاحب « العروبة اولا » وفرق بينها وبين العروبة في سطور معدودة كأن ثمة داعياً وضرورة للمقارنة بين المدلول والمفهوم لكل من الكلمتين : الفرعونية والعروبة ، وقد انتهى الناس من البحث فيه الى اتفاق عليه ، ومن هذا الموضوع المكرور ، مضى المؤلف الى صفحات سياسية في مذكرة للسوري الجليل الدكتور ناظم القدسي ، وفي مقالة قديمة للصحافي المصري الاستاذ مصطفى امين ، خلص منها المؤلف الى

مسألة الوحدة والقومية فعد المقالة وثيقة تبين اتجاها من الاتجاهات التي كانت سائدة في صحف مصر قبل الثورة ثم تحولت عنها نحو العروبة ، لكنه ضاق بالقائلين : مصر اولا فعلق على هذا القول بما يخيل فيه الى قاريء الكتاب ان مصر لم تعرف العروبة الا في الزمن القريب ، ولو انصف المؤلف او وقف على حياتها لذكر الدعاة الى العروبة من المصريين في ادبهم وثقافتهم ، وفي بحوثهم وصحفهم ممن آمنوا بالوحدة العربية وعملوا على ايقاظ الشعور بالقومية العربية دون ضجة ولا تكلف ، فان الذين دعوا منذ ربع قرن الى الفرعونية في مصر والى الفينيقية بلبنان كانوا قلة ونشازاً في الرأي والتفكير ثم عدلوا عما هتفوا به او عداوه وشتان بين القول : مصر اولا لأمور تقتضيها المصلحة القومية والظروف الخاصة ، وبين عروبة متأصلة او خاملة قد انبعثت وشمت من جديد للسير على منارها الى وحدة عربية فيها عزة الشعوب وكرامة الامة التي تنطق بالضاد وتتحرر من كل ما يعوق تماسكها واستقلالها .

وهل ينسى المؤلف شيخ العروبة بمصر احمد زكي الذي كان من اوائل الداعين الى بعث الذخائر العربية الدفينة ؟ ولو عرف المؤلف المصريين كما عرفتهم على حقيقتهم لادرك منهم عرباً اقحاحا وشبابا سرى في عروقهم هوى العروبة واعلاما للفكر والثقافة احيوا ادب العرب وجددوا فيه وعلوه ، ومنهم العزاميون الذين نبغ فيهم السفير عبد الوهاب وهل اتاه حديث الفتية من شبان مصر الذين درسوا في الغرب ؟ اذ كان فيهم فئة تفانت في خدمة العروبة وهي تتلقى ثقافة غربية في بلادها فجبهوا المستعمرين بمطالب البلاد التي تناضل للخلاص منهم ، وكان يمثل هذه الفئة الحرة الاستاذ عمر الدسوقي وانداده ممن نشروا في مجلة الرسالة ، مقالات ثائرة بليغة عبرت عن عروبتهم الاصيلة ودعوتهم الى اتخاذها هدفا ومناراً .

وقد فات مؤلف « العروبة اولا » ان يذكر المقال الرائع الذي كتبه الاستاذ مكرم عبيد عام ١٩٣٩ ، واذاعته مجلة « الهلال » فقد جاء فيه بالحجة على ان مصر عربية منذ عهد الفراعين : « وان الشرق العربي في حاجة الى الوحدة والتضامن امام التيار الغربي الجارف ، وابناء العروبة في حاجة الى ان يؤمنوا بعروبتهم وبما فيها من عناصر قوية استطاعت ان تبني حضارة زاهرة وان تخضع البلاد الاجنبية لها حقبة طويلة من الزمان »[١]

« نحن عرب من هذه الجهة ، ومن ناحية الحضارة وامتداد الاصول الى الاصل السامي الذي هاجر الى بلادنا من الجزيرة العربية ، فينبغي ان نعمل متضامنين ونسمى الى المجد والحرية متعاونين »

فهل بعد هذا القول السديد لقطب مصري رشيد ما يحفز مؤلف « العروبة اولا » الى التهكم باعراض المفكرين وذوي الرأي من خير رابطة جعلت بلادهم مهوى افئده العرب وملجأ الاحرار والباحثين امثاله ؟

اما كتاب « العروبة اولا » فقد جانبه السداد والحياد ، وشاع في سطوره التشفي والضغن على اناس لا يعبؤون برد زعمه ووهمه ، وكان آخر تعليق منه هامز على المقال القيم للاستاذ الجليل شفيق غربال في مجلة « الهلال » وموضوعه « الجامعة الاسلامية واتحاد العرب » على ان الرجوع الى عرض الاراء التي احتوته والحقائق التي غالط فيها مؤلف العروبة يتطلب مقالا خاصا اعده للنشر قريبا .

ولو انصرف المؤلف الباحث كدأبه الى الدراسة العلمية وتنسيق « الوثائق والمعلومات » بالاحصاء والاستقصاء في اناته المعهوده وتحقيقه الدقيق لضمن للمكتبة العربية ، والقاريء العربي مؤلفات نحن بأشد الحاجة اليها .

دمشق — وداد سكاكيني

١ . عروبة مصر للاستاذ مكرم عبيد .



« لبنان في عهد فخر الدين المعني الثاني »

تأليف عادل اسماعيل

«تاريخ لبنان منذ القرن السابع عشر حتى يومنا هذا » كتاب جديد باللغة الفرنسية ، يقع في ستة اجزاء ، ظهر منها حتى الان الجزء الاول وموضوعه « لبنان في عهد فخر الدين المعني الثاني » (١٥٩٠ - ١٦٣٦) يقدم فيه مؤلفه دراسة قيمة لحالات لبنان الثلاث : السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، شارحاً ماكان للامير المعني العظيم من الاثر البين في جمع شتات البلاد ، وبعثها مستقلة ، ورفع مستوى الحياة فيها . وهو موضوع هذه الدراسة .

وليس الكتاب جديداً في موضوعه فحسب ، بل انه لفتح جديد في التأليف واسلوب البحث ايضاً ، اذ كنا يعلم كم تعرض تاريخ لبنان في القرنين

الاخيرين ، الى التشويه والافتراء والافتئات حتى كادت بعض الحقائق عنه تطمس ! وقد بقي الحال كذلك حتى الامس القريب ، عندما طالعنـا كتاب « ولادة استقلال » للشيخ منير تقي الدين ، مدير عـام وزارة الدفاع الوطني ، فرأينا فيه كيف ان التاريخ الصحيح لا يقوم إلا عـلى الحقائق ، ولا ينهض الا على الوقائع ، وها نحن اولا، نقف اليـوم على سفر جديد ، يكشف فيه مؤلفه النقاب عن اعظم شخصية عربيه خالصة ، عرفها لبنان ، بل اننا لا نعدو الصواب اذا قررنا ان الامير فخر الدين المعني الثاني لاعظم حاكم وطني انجبته الديار الشامية ، على تربـة لبنان المباركة . تلك هي الحقيقة التاريخيـة عن مؤسس لبنان الحديث وباعث نهضة فيه تزخر بالقوة والعزة والكرامة ، ومع ذلك فما فتىء بعضنا يضن عليه برقمة صغيرة من المعدن يكتبون عليها اسمه ، لترفع على احد شوارع بيروت عاصمته ، ومحط مشروعاته وتحصيناته .

واعتقد ان ميزات الكتاب تتلخص فيما يلي :

١ – سمو هدف المؤلف من وضعه الكتاب بغيـة انصاف « لبنان » الذي قد طالما شوه بعضهم تاريخه .

٢ – ما تحلى به من صبر وجلد في سبيل تحقيقاته الدقيقة .

٣ – ما فاق به بعض سابقيه من المؤرخين المعاصرين والقدامى بفضل اطلاعه على سجلات واوراق فرنسية بالاضافة الى ما اطلع عليه غيره من اوراق وسجلات ايطالية .

٤ – ما لمسه صاحب التصدير عنده من يقظة وجدانية ونزعة استقلالية وجرأة ادبية لا يتورع معها من نقد اي شخص او مؤسسة مهما كانت قيمتها العلمية او مكانتها الاجتماعية .

٥ – ما تميزت به لغة الكتاب من صحة الديباجة واناقة التعبير ومرونة الاسلوب .

٦ – ما زخرت به صفحاته من طرافة في المعلومات العامة ، والتعليقات الناضجة .

ولكن هذا لا يمنع ان اخالف المؤلف في امور هذه بعضها :

اولاً : ما جاء له من قول في المقدمـة ، عن لبنان في اقدم عصوره التاريخية وهو : « كانت مسالكه محصنـة (كذا) وكانت تغطي ذراه المعابد (?) والمزارات (!) كما كانت شعابه يتخذها سكان المدن (!!) ملاجىء (كذا) ايام الغارات التي كانت تشن عليه من الشمال اوالجنوب» ولدى رجوعنا الى ص.ص. ٢٤ – ٥٠ من المجلد ٣٠ لمجلة سيريا Syria لعام ١٩٥٣ لمطالعة ما اعتمد عليه مؤرخنـا بصدد هذه المزاعم ، وهو ما وضعه المسيو هنري سيرغ Syrig مدير المعهد الفرنسي للماديات في بيروت من دراسة قيمة لبضعة تماثيل صغيرة من نحاس عثر بعضهم عليها ، لا في « جبل لبنان » كما يطلق المؤلف القول ، بل في « لبنـان الجنوبي » ويرجع تاريخها الى النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد ، وجدنا ان المسيو سيرغ نفسه يختم بحثه بقوله « ان احد هذه التماثيل الصغيره قد وجد في قرية (سرجبعل) Sirgbal الواقعة على مسافة خمسة كيلومترات شرق الناقورة على ارتفاع (٤٠٠) متر عن سطح البحر تقريباً .. هـذا وقد وجد من (التماثيل) ثلاثة في قريـة كفر شوبا Kafer Chouba في قضاء حاصبيا ، عند قدم جبل الشيخ على بعد ثمانية كيلومترات جنوب حاصبيا على ارتفاع (٨٠٠) متر عن سطح البحر .. وعثر على خمسة اخرى على مسافة اربعة كيلومترات جنوب جزين على ارتفاع (١٢٠٠) متر عن سطح البحر ونستخلص من درسنا لهذه التماثيل ان اصحابها من غير الفينيقيين . ولعلهم يمتون بصلة الى الشعوب الايجية او الاناضولية او الحيثية .. كـما ان التماثيل من حيث الصنعة انما تدل على ان صانعيها كانوا يعيشون بمعزل عن غيرهم » .

« والخلاصة : انه اذا صحت (كذا) استنتاجاتنا تكون هـذه التماثيل من صنع شعب كان يسكن لبنان الجنوبي (كـذا) في النصف الاول من الالف الثاني السابق للميلاد » انتهى .

وهنا لا بد من ان نسأل قائلين : « وهل قام المؤلف بالتحقيقات التي تناها المسيو سيرغ وكيف سوغ لنفسه مثل هذا التعميم الجارف ليقول : « جبل لبنان » بينما صاحبه يقول : بل كان صانعوها يسكنون في جزيرة صغيرة (كذا) من لبنان الجنوبي بين الحدود الفلسطينية وجبـل الشيخ وهل هذا القول يعني « جبل لبنان » ?

ثانياً – ما اراد المؤلف ان يقنعنا به من زخرف الكلام ، في قوله ص ١٦ من مقدمته « ولسوف ندرس تاريخنا متجنبين التأثر بالقوميـة الجامحة او بالاوساط الدينية اللبنانية من وطنية واجنبية (كذا) كالتي كان لها سابقاً (?!) اثر فعال في ذلك . بل سوف نعتمد النقد التاريخي وحده » الا ليت صاحبنا استطاع حقاً ان يثبت عند حد ما وعد بـه .. والان فلنعد اليه لنسمعه يقول في ص ١٧ « وبالرغم من الحماس الشديد الذي يظهره مؤرخو (فخر الدين الثاني) لما ابدعه في نواحي الحيـاة الادارية والاقتصادية والاجتماعية ، فانه لا يسعنا ان نضغط في صدرنـا عاطفة قلق كلما واجهتنا سياسته الخارجية . اذ نقف عندها وقد ارتسمت امام اعيننا علامة استفهام فنسأل انفسنا قائلين : عجباً فهل رغب فخر الدين حقاً بالاستقلال عن « الباب العالي » استقلالاً تاماً ناجزاً ام انه لم يطمع

كتب وردت الى المجلة
(وسينقد بعضها في اعدادنا القادمة)

* ميسلون الخالدة
بقلم ميشيل الحاج
مسرحية – منشورات دار الرواد ، دمشق – ٥٠ ص

* حورية المصرية
بقلم عبد القادر التلمساني
قصة سينمائية – دار الفكر ، القاهرة – ٩٣ ص

* سوانح — بقلم توفيق حسن الشرتوني
خواطر – مطابع سميا ، بيروت – ١٦٠ ص

* جيتنجالي — لرابندرانات طاغور
تعريب الدكتور بديع حقي – مطابع الآداب ، بيروت – ٨٠ ص

* رندى — بقلم رامز حيدر
شعر زجلي – مطابع خياطة ، طرابلس – ٦٤ ص

* ذكرى الزعيم الخنيزي — بقلم عبد الله الشيخ علي الخنيزي
دراسة – المطبعة العلمية ، النجف – ١٦٤ ص

* كنت معهم في السجن — بقلم جعفر الخليلي
دراسة – مطبعة المعارف بغداد – ٢٤٤ ص

* جارتي الحسناء — لرابندرانات طاغور
ترجمة يعقوب حوراني – المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر – ١١٨ ص

* التربية الاجتماعية للاطفال — تأليف اليس ويتزمان
ترجمة الدكتور فؤاد البهي السيد – مطبعة مصر – ١٠٢ ص

* المعة لؤلؤة — بقلم مهدي جاسم
مقالات ادبية – مطبعة فارس ، طهران – ٦١ ص

* امرؤ القيس — بقلم محمد العروسي المطوي
دراسة – طبع الشركة التونسية – ٩٦ ص

* الصين الشعبية — بقلم محمد عوده
دراسة – دار النديم – القاهرة – ١٩١ ص

* رجال وحديد — بقلم لطفي الخولي
مجموعة قصص – دار النديم ، القاهرة – ١١٥ ص

* في رواق زينون — بقلم هنري ابو فاضل
دراسة – دار المكشوف ، بيروت – ٦٠ ص

* فلسفة لايبنتز — بقلم الدكتور جورج طعمه
دراسة – دار الثقافة ، بيروت – ١٧٤ ص

* كلمة سلام — بقلم صلاح جاهين
قصائد شعبية – دار الفكر ، القاهرة – ٥٤ ص

* ارجوحة القمر — للمرحوم صلاح لبكي
ديوان شعر (الطبعة الثانية) – دار ريحاني ، بيروت – ٩٢ ص

* خلي السيف يقول — بقلم عيسى الناعوري
مجموعة قصص – مكتبة الاندلس ، القدس – ٨٤ ص

* اناشيدي — بقلم عيسى الناعوري
ديوان شعر – منشورات الرائد العربي ، حماه – ١٠٢ ص

* الاساس الاقتصادي للحضارة الاميركية بقلم شبارد كلاو
ترجمة احمد حلمي حجاج – مكتبة النهضة المصرية – ٢٠٠ ص

* سبيلك الى الصحة — بقلم روزويل جالجر
ترجمة الدكتور سعيد عبده – مكتبة النهضة المصرية – ٩٢ ص

* يوم اللقاء — بقلم ميشال اسعد يونس
رواية – دار المكشوف ، بيروت – ٩٦ ص

* ديوان التني — بقلم يوسف مصطفى التني
ديوان شعر – دار الكتاب العربي بمصر – ١٣٨ ص

* ميادين علم النفس — بقلم ج . ب. جيلفورد
ترجمة الدكتور يوسف مراد – دار المعارف بمصر – ٥١٠ ص

* في الادب والحياة — بقلم فاضل خلف
دراسات – مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة – ١٢٨ ص

* عيد الرياض — بقلم بولس سلامه
ملحمة شعرية – المطبعة البولسية ، حريصا – ٥٩٨ ص

* خطرات — بقلم ارسلان رعد
دار الفنون في طرابلس – ٣٨ ص

* رد على ميخائيل نعيمه في « مرداد » بقلم الاب يوحنا الخوري
المطبعة المخلصية ، صيدا – ٢١٤ ص

* رباعيات الرياشي — بقلم قبلان الرياشي
شعر – منشورات مجلة الورود – ١٣٧ ص

* صوت الغائب — بقلم خليل رامز سركيس
دراسة – منشورات الندوة اللبنانية ، بيروت – ٤٥ ص

باكثر من استقلال داخلي ، يبقى فيه تحت سيطرة السلطان ؟ – هذا ، ليس له عندنا جواب ! ومع ذلك فقد ظهر في اللحظة الحاسمة من حياته انه كان يرغب في الحل الاول لقضية لبنان – ولكن هل كان لديه الوسائل لذلك ؟ وهل عرف كيف يختارها ؟ – اما نحن فلا نعتقد انه قد فعل» انتهى كلام المؤلف .

وهذا في رأينا اغرب ما يطلع به مؤرخنا الشاب اذ لم نجد احداً من مؤرخي بطلنا العظيم فخر الدين الثاني يقف هذا الموقف المشوب بالشك والتردد في تفهم اهدافه الواضحة كل الوضوح . اما نحن فلا يخامرنا اقل ريب في ان الامير اللبناني قد عمل بعد ان رسم خطة محكمة الوضع ، للاستقلال التام الناجز . اما انه اخفق في مسعاه فلذلك اسباب يجب البحث عنها فيما احاط به من ظروف مفاجئة لم يكن له عليها من سلطان .

هذا بعض ما اخذناه على المؤلف ونحن لا يسعنا ، اذ نقدم هذه الباكورة الطيبة ، لنتاج خصب يتحفنا به الاستاذ عادل اسماعيل الا ان نهنئه على جهوده المشكورة في سبيل لبنان وتاريخه ، ونحمد اليه طرافته ونثني على علمه وسعة اطلاعه .

وكم نتمنى ان تتمكن الكثرة من العرب من مطالعة الكتاب باللغة العربية ايضاً لتتم الفائدة منه .

زكي النقاش
مدير كلية المقاصد الاسلامية
بيروت



كلا لن ابيع عمري ، ولن يصل بي الغباء الى هذا الحد !!

فالحياة على الرغم مما قد يبدو فيها من تناقض هي بلا شك أعلى من كل ما أقبضه ثمناً لها، وهي باختصار الحياة الوحيدة التي أعرفها واملكها حتى الآن !!

هذه حقيقة عرفتها وآمنت بها منذ ادركت ان لي حياة .

ووجودي هنا لا يعني الا امراً واحـداً . هو انني قبلت ان أبيعها لصاحب العمل بسعر الشهر ، وهذا يعني بدوره انني لن أفيد شيئاً ، لانه سيسرقني حياتي ، وسيمتص دمي ليعيش بها حياة على حياة ، ولن يترك لي مقابل كل ذلك الا ما يكاد يكفي لشراء كفن جميل ، ولن يتعذر علي من الآن ان اجرى عملية حسابية بسيطة لاعرف كم يساوي عمري؟!! أجل كم اساوي أنا ؟!!

وهل سوى مبلغ محدود معدود هو أجر سنة مضروباً في بضع سنوات؟!!

فيا لتعاستي ان كان هذا فقط هو كل ثمني، ويا لسوء حظي ونكد طالعي ان تمت الصفقة !!

على انني اصبحت في الايام الاخيرة اجيد الثرثرة اكثر من اي شيء آخر !

فأنا الى هذا المصير سائر لا محاله . ومهما قلت فقد بعت امسي ويومي ، وسوف أبيع مثلهما غداً وبعد غد !!

والا فماذا يعمل المضطر ؟ وماذا عندي لابيعه غير عمري؟

لا شيء . لا شيء . ولهذا سأكون هنا دائماً ، وسأفقد تدريجياً حرارة حماسي وتحمسي لآرائي . وسيقل اهتمامي بحياتي وحريتي لاني سأصبح شيئاً لا إنساناً ، وليس لترس يدور في آلة حرية او حياة !! ها هي الاجهزة تشير الى ان كل شيء في المصنع يبدو طبيعياً للغاية .

وها هي تجربتي في العمل تكاد تقترب من نهايتها، وعما قليل سأنطلق من هنا وقد ازحت عن صدري عبئاً ثقيلا . ولكني عائد في الصباح لاحمل على صدري من جديد « صخرة سيزيف » . وليس في هذا ما يدعو الى امل او تفاؤل فهل سأذعن لمصيري ؟؟

كلا ان هذا لن يكون مهما كان محتوماً . بل سأناضل معه وأحاول مهما بدت محاولاتي يائسة غير مجدية ، ولن أدع فرصة الحياة تمضي هكذا في بساطة كما يفعل أغلب الناس وكما فعل عم جمعه !!

فقد قالوا انه جاء صبياً الى المصنع ، ولكن عرفته بعد ان جاوز سبعين عاماً وبعد ان بذل عمره سنة إثر سنة كانت كلها سنوات زاخرة بالعمل المتصل فماذا أخذ ؟

إن مأساته يعرفها الجميع ، وليس لغيرها ان يحدد ذلك !

كان الرجل قد اتى على العقد السابع من عمره ، ومع ذلك كنت اراه وأسمعه فأحس انه من معدن أصيل. حتى لقد كان يخيل الي ان دماء العشرين هي التي تتدفق حارة قوية في عروقـه . فقد أخفق الزمن بكل سطوته وجبروته في ان يغير منه شيئاً او يترك به اثراً . اللهم الا مظهراً واحداً ، وقد كان يمكن ان يتغلب عليه لو تيسر له المال : تلك هي اسنانه الـتي سقطت عن آخرها وتركت فمه أشبه بقطعة من الليل. فالطاقم الصناعي يساوي مالاً لم يجتمع يوماً في حوزة عم جمعه ، ولم يكن له القدرة على امتلاكه دفعة واحدة .

ولقد حاول مراراً ان يدخر بعض المال من اجره على امـل ان يشتريه ذات يوم فيساعده على طحن الطعام . ولكنه كان يعود فيحتاج الى المال ليشتري به الطعام ذاته !! ومن المحقق انه استطاع ان يقهر الزمن بما اوتي من القدرة على الاستخفاف بكل شيء والسخرية من كل شيء . على انني كنت ألمح وراء سخريته الكثير من الالم والمرارة !! كان يعيش حياته كغريب مسافر لن يلبث حتى يغادر الدنيا وان كان لا يعرف موعد القطار . فذاته لا تهمه الا بقدر ما تهم هؤلاء الناس الذين لا يهتمون به .

وكنت ارى عم جمعه كل يوم تقريباً واسمع له واعجب لفلسفته ورأيه في الحياة دون ان تصادف عيني شبه بسمة على شفتيه . حتى بدا لي انـه لا يعرف كيف يضحك!! ومع ذلك لم اكن أراه الا وأضحك من الاعماق!! ولم يكن مظهره فقط هو كل ما يثير الضحك : فالى جانب بنطلونه الذي لا يخلو من رتق هنا او هناك ، وطربوشه الغائر في اكثر من مكان ، وعصاه المجعدة كنت اجد خفة روحه ، وسرعة بديهته، وسلاطة لسانه،حتى لم يكن من الصعب عليه ان يضحك الجماد .

ولقد كان يتولى مهمة الترفيه عنا طوال الطريق الذي يستغرق بسيارة الشركة من القاهرة الى المصنع حوالي الساعة ، وهو وقت طويل لم اكن اتخيل بأن في امكاني ان أقطعه كل يوم ذاهباً آيباً دون ان يكون بيننا عم جمعه يشغلنا عن طوله بمزاحه، ويخفف من وطأته بنكاته الطريفة التي لا تفرغ ولا تنتهي ، والتي كانت تجعل من السيارة مسرحاً « للريحاني » ومن الطريق شيئاً قصيراً نود جميعاً ان يطول ويمتد !!

وقد حدث كثيراً انني أسفت كلما جاء بيتي ووجب علي ان أغادر السيارة قبل ان ينتهي ما بدأه عم جمعه مع أحد الزملاء !! اذ كان من عادته ان يختار له فريسة من بيننا كل يوم فيتخذ منها هدفاً لمزاحه طوال الطريق فلا يلبث حتى يحمل الفريسة على الضحك من نفسها ولا يتركها آخر الامر الا في حالة لا تحسد عليها !!

وأحسست انني أحب هذا الرجل الذي يرفه عنا دون مقـابل . ولم تكن سيارات الشركة لتنجو من لسانه ! « فالكارو » في نظره احسن حالا منها . ولو كان الامر بيده لباعها عن آخرها ، واستبدل بها حميراً يوفر بها على الشركة المال الكثير الذي تدفعه عبثاً في صيانتها.وهوفضلا عن ذلك سيضمن لنا ان نصل دائماً في الميعاد المقرر دون ان ينزل احدنا من فوق حماره فيدفعه من الخلف قائلا : « زقة للنبي » !! وعم جمعة عـلى صواب فقد أذاقتنا هذه السيارات الكثير من اليأس والضيق . حتى لقد باتت بنا ليالي في منتصف الطريق !!

وقد حدث ذات ليلة ان كنا عائدين الى القاهرة فأصاب السيارة عطب كالعادة اضطرنا إلى أن ننتظر ريثما يقوم الميكانيكي بالكشف عليها وعمل اللازم ، وقد كان معنا صدفة في تلك الليلة وعاد بعد ان فحصها وظن انه قد أصلح ما أفسده الدهر فطلب الينا أن ندفعها من الخلف . ولكن كان يبدو أن السيارة غير راضية تماماً عن القيام لان محاولاتنا الكثيرة مع

المكانيكي باءت كلها بالاخفاق . ومضى وقت طويل قبل أن نرى من بعيد نوراً مقبلا ، فلما اقترب سمعنا صوت راديو يقترب معه تبينا أخيراً أنهما لسيارة غاية في الاناقة والرشاقة !!

وهنا كان من المحال أن يصمت عم جمعه، فأطلق العنان لسخريته . وجعل يقارن أولا بين السيارتين معدداً المزايا التي تنفرد بها سيارتنا ثم قال في تهكم مرير : « أصول يركبوا لعربيتنا راديو » ، وأردف على الاثر :

« الحقيقة دي مش عايزة يتركب لها راديو ، دي عايزة يتركب لها عربية » !!

وانفجرنا ضاحكين وقد كدنا أن ننسى مأساتنا التي نمثلها كل ليلة تقريباً في عرض الطريق. ولقد كنا نحس في ذلك الوقت بتعب وإرهاق شديدين هما كل ما أمكننا أن نعود به من المصنع . وقام عم جمعه بدوره خير قيام فأنسانا كل شيء حتى أننا ربما تعرضنا للمبيت جالسين بدون غطاء !! واستطاع الميكانيكي بعد محاولاته العديدة أن يصلحها فقط بالقدر الذي يمكنها من العودة . ولكنه أكتشف أن الكهرباء فيها ضعيفة قد لا تفي بذلك، فقرر الاسطى حسين ان يقودها بدون إضاءة مما جعل أغلب العمال يصرخون ويحتجون . فالليلة كانت حالكة وقرار الاسطى حسين فيه الانتحار لنا جميعاً لان الذي سيتولى مهمة القيادة فعلا هو السيد عزرائيل !! صحيح ان أشجار الكافوز التي تنتظم الطريق على الجانبين تحدد معالمه ، ولكنها مقامرة بحياتنا على اي حال لن تخلو من الخطوره!!

ومع ذلك فقد استطاع عم جمعه ان يشغلنا كعادته عما يتهددنا من خطر وأثبت انه اقوى تأثيراً علينا من الموت .

وكان من قوله : « عايز النور ليه انت وهو ، إنتوا هتقروا ؟ »

ومنذ يومين فقط كنت أراقب سير العمل في حجرة المراقبة ، ولما تأكدت من أن كل شيء يسير سيره الطبيعي ، رحت أذرع الحجرة جيئة وذهاباً ثم وقفت آخر الامر مسندا ظهري إلى الباب محيلا بصري في انحاء المصنع ، وما هو الا ان استقر على عم جمعه . كان قد اعتلى ماسورة ضخمة على ارتفاع يزيد قليلا عن العشرة أمتار وكان من المرجح انه يعمل على لحامها .

وأثار المشهد في نفسي اعجابي بالرجل وإشفاقي عليه في آن معاً ! فمهما قلت انه لا يزال شاباً فهو شيخ على اي حال ، ولا يمكن لي ان اتغاضى في سهولة عن سبعين عاماً .

وجعلت في نفسي ألوم كل من كان سبباً في السماح له باعتلاء الماسوره ، وعدت من جديد أذرع الحجره بخطوات عصبية ، ثم وقفت امام أجهزه الحراره وكأنما اصبح من المتعذر علي أن أستقر في مكان ، فاستأنفت الحركة وإحساسي بالقلق ونفوري من آلية العمل يزدادان ويتفاقان .

ومرة اخرى أسندت ظهري الى الباب فتحرك الى الداخل واحدث صريراً كالانين تماماً كما لو كنت ألقيت اليه بعنائي !!

ولاحت مني نظره الى الماسورة . كانت خالية تماماً !!

وفي اسرع من ارتداد الطرف جعلت بكل قواي أذود عن راسي احتمالاً مخيفاً ، وأرجح ان الرجل غادرها مختارا بعد أن فرغ من عمله . ولكن الوقت لم يكن يتسع لاحتمال او ترجيح ! فقد رأيت على الارض أسفل الماسوره ما كنت أفرق منه! رأيت عددا كبيرا من العمال قد اجتمعوا



في شبه دائرة حول شيء .

والى هذا الحد، ومع اني كنت اعرف حقيقة هذا الشيء إلا انني كنت لا أزال احاول الفرار والهروب من الحقيقة !

وهرعت الى هناك . كان عم جمعه قد سقط على الارض والدم ينزف بغزاره من أنفه وفمه ! وجمدت في مكاني لا ادري كم مضى من الوقت قبل أن أعود الى حجره المراقبة بعد ان حملوا عم جمعه .. كل ما أدريه اننا عدنا في المساء على غير عادتنا .

كان كل واحد منا يحس بأن هناك ما ينقصه ، واخذ الحزن والوجوم في السيارة مكان الضحك والمزاح ، وكنا ننظر الى بعضنا جميعاً وكأننا نهم ان نسأل : أين عم جمعه ؟ رغم اننا نعلم جميعاً أين هو!!

وانتظرنا ان يأتي فيأخذ مكانه بيننا قبل ان تغادر السياره المصنع ولكن دون جدوى فانها غادرته ولم يأت !

وطال بنا الطريق على غير العاده حتى خيل الي اننا لن نصل ، وبين لحظة وأخرى رحت انظر الى المقعد الذي اعتاد ان يجلس عليه حتى خيل الي ان رغبتي الشديده في وجوده تكفي لكي يكون موجوداً بيننا .

ولكن الحقيقة دائماً بنت الالم وتوأم المراره .

فانه لم يكن بيننا حقاً سوى عامل يقطن قريباً من بيته ، وكان يحمل معه اشياء ليست غريبة علينا : الطربوش الغائر في اكثر من مكان، والعصا المجعده ، ومنديل ينعقد على بعض الخبز !!

القاهرة — ثروت سرور

عودة إلى
ابسن والمسرح
بقلم خالد القشطيني

اشار الاستاذ شرارة بان مقالي عن ابسن قد عانى اقتضاباً لا يتناسب مع تبشيري بالابسنية. واني اذ اوافقه تماماً على ذلك، ادرك بأن اية مقالة واية مجلة غير كافية للتعريف باي كاتب. ولهـذا جملت مقالي مجرد بطاقة تذكير. الطريقة الوحيدة هي ترجمة آثاره، واية محاولة سابقة ستجعلني كمثل الكردي الذي يغني بالعربية امام جمهور من الهنود. والواقع اني كنت قد شرعت بترجمة « بيت اللعبة » للفرقة الشعبيـة ببغداد، ولكن مشروعي توفي كمداً على الفرقة التى انتابها موت الفجاءة.

ومع ذلك ها انا عـائد لتيسير الموضوع [1]. ولما لم يكن امامنا شيء من مؤلفات ابسن اجدني مضطراً الى تقديم نموذج منهـا. « البطة الوحشية » وإن لم تكن مثالاً لمثل ابسن الاجتماعيـة، فهي مثال وذروة لاسلوبه في الكتابة. واقدمها لسبب آخر هو مشاهدتي لها حديثاً جداً على المسرح مما يجعل حكمي عليها ليس ككتاب فقط بل وكمسرح.

« البطة الوحشية » تقدم لنـا ذئبين رأسماليين يشتركان بتزوير ينتهي بأحدهما « اكدال » الى السجن، وبالثاني « فرل » الى الثروة والجاه فينعم بحياة من اللهو تثمر عن حمل خادمته « جنا » ثم وفاة زوجته اسى وغيرة. لكنه لا ينسى شريكه « اكدال » فيستمر بالتصدق عليه بعد مبارحته السجن وبالصرف على ابنه « يلماد » لتعليمه مهنة الفوتوغراف، ثم تزويجه من ... من « جنا » نفسها. طبعاً لا حرصاً على سعادته بـل ستراً لفضيحة الحمل. وفعلاً تلد جنا مولودتها « هدفج » التي يأخذها يلماد على انها ابنته بينما يستمر فرل بالصرف على العائلة سراً.

حدث كل ذلك قبل (١٥) سنة. ولكننا ندركه كله عن طريق الحوار الذي يدور في الفصل الاول. هذا النوع من التكنيك بدعـة ابسن الجديدة : القاء الضوء على ماضي الشخصيات وتحديق النظر بعيداً الى الوراء حيث البذرة الاولى للمأساة، وهذا مايكن مما يعني الدراماتيين قبلا. والواقع ان هذا النوع من المنظور perspective، نتيجة لتفكير ابسن الواقعي والعلمي، يتجلى اكثر من « اشباح » حيث تقف الحركة تماماً حتى الفصل الاخير لتسمح لنا بدراسة الماضي وفحص النقاط المختلفة. انـه تكنيك يذكرنا باوديب الملك لسوفوكل في الماضي « وبهنة المسز ورن » لبرنارد شو في الحاضر. اذا كانت « اشباح » تذكرنا بالملك اوديـب فالبطة الوحشية توازي « انتكوني » حيث لا يبدأ سوفوكل في نهاية المأساة تماماً بل في وسطها.

ونعود الى القصة فنتعرف الى « كركرز » الذي ارسله ابوه « فرل » للدراسة في الخارج بعيداً عن كل تلك الفضائح وراء الستار. ولكننا نراه عائداً بطلب من والده ليلقى نوعاً من الموافقة على زواج الاب مـن خادمته الثانية باستلامه ادارة الشركة. يكتشف الابن هذه المناورة ويكتشف القصة القديمة وكيف ان يلماد زميله في الدراسة قد تزوج من خادمتهم القديمة ورزق منها هدفج التي لم تكن في الحقيقة طفلتـه. يصمم كركرز على محاربة والده الرذيل واحاطة يلماد بالفضيحة كاملة. كركرز مثالي لا يؤمن بالمهادنة مع الواقع، كيف لا وقـد كان يطوف دور العمال حاملا منشوراته باسم « متطلبات المثال الاسمى ».

وهكذا لا يثنيه رادع فيطلع يلمار على الحقيقة. والنتيجة واضحة: انقلاب العائلة من ذلك النعيم الذي نرى صوراً خلابة منه الى جحيم ملتهـب. يطالب يلماد زوجته بحساب المبالغ التي تصدق بها فرل على العائلة. ثم يبدأ بالتحقيق عن نسب ابنته ولكن الجواب يأتيه سريعا، فقد قرر الاطباء ان فرل مقبل على العمى وكانـوا من قبل قد نصحوا هدفج بـترك المدرسة لانها معرضة حتما لعمى وراثي. لقد تبدد الشك وتجلى اليقيـن. فكان ان تنكر لابنته وجعلها حطاما من الدموع وخرج هائما على وجهه. وتأتي البطة الوحشية هنا، فقد كانت هناك غرفة للطيور يرتع فيها الجدالعجوز « اكدال » بنوع من الوهم النفسي اذ يدخلها كل صباح متصيداً ببندقيته معيداً الى نفسه ذكريات مجده. وكانت هناك بطة وحشية ترعرعت هدفج على حبها بصورة خاصة. وهنا يأتي كركرز ويطلب منها ان تقتل اعز شيء تملكه، البطة، لتثبت لوالدها مقدار حبها.

وفي الصباح عندما تصل المأساة ذروتها يتقاذف الابوان انواعا مـن الكلمات الجارحة على حساب هدفج الصغيرة وبمسمع منها وهي تلوذ بنفسها من جحر الى جحر، بينا يرتفع صوت كركرز مطالبا بالتضحـية ... بالمغفرة .. بالمثل الاسمى .. الخ حتى يدوي صوت المسدس في بيت الطيور فيتمتم الجد العجوز: « الله! حتى هدفج اخذت تتصيد! »

ولكن هدفج لم تذهب للصيد. ويهرع الجميع اليها ليخرجوا لا بجثة البطة وانما بهدفج كتلة هامدة.

هذه ليست رواية ابسن، وانما هي فكرتها. ولعل اول ما سيلاحظ القاريء فيها خلوها من اي جديد يبرر الضجة التي أثيرها. صحيح انه حتى الجانب الرمزي منها، البطة، موضوع مألوف. وقل مثل ذلك عن بقية تأليفه. ولكن هاك مـا

[1] ننصح القاريء بالاطلاع على مقالنا في العدد الثاني ١٩٥٦.

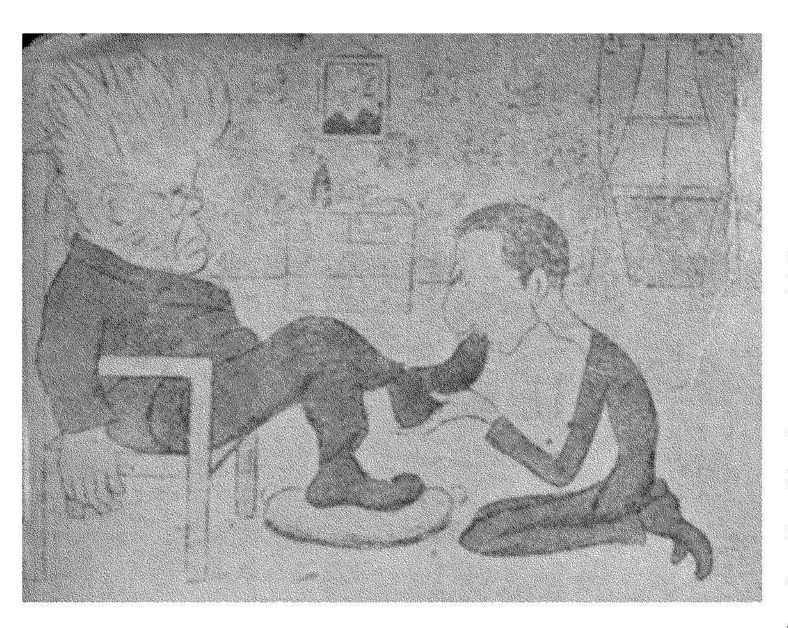
قالته الديلي تلغراف في افتتاحيتها : « بالوعة مفتوحة ، تقيح كربه غير مضمد ، عمل مشين اقترف علناً،دار موبوءة بجميع ابوابها ونوافذها مفتوحة . » وفي زاوية النقد قالت « كتلة من السفالة والذاتية والسخافة وقلة الادب . » اما صحيفة الستاندارد لسان حال المحافظين آنئذ في انكلترا فقد طالبت السلطات بالتدخل لمقاضاة ادارة المسرح ، الذي قدم مسرحية « اشباح » ، بقانون مكافحة البيوت الداعرة ! ولكن عجلة التاريخ تسير وقد سارت هنا شوطاً كبيراً بحيث لم نعد نرى النقطة التي ابتدأنا منها : الابسنية. ولا مجال هنا لعد عشرات الامثلة التي اشاهدها او اقرأها كل يوم في آثار المسرح الحديث والتي تبلغ احياناً حد السرقة الادبية . انها ليست مبالغة ان نقول ان اي مسرحي حديث هو غصن من ابسن. فهذه المسرحيات البيئية والرمزية والنفسية التي تملأ كل مكان الآن لم تكن ممكنة قبله. انها كالظلال الخضراء في رسم الوجوه، لم تعد تثير انتباهنا الآن، ولكنها قبل سيزان كانت شراً من اللحن في اللغة العربية .

بعد أن اصبح المسرح الحديث هو مسرح ابسن ، اصبحنا امام مجموعات مسرحية ثلاث هي الادب المسرحي الكلاسيكي (اليونان) والاليزابيثي (عهد شكسبير) والحديث (عهد ابسن) . وبنظرة عاجلة نستطيع ان نتلمس الصفات التي تميز كلًا منها بوضوح . ومن ثم تتجسم امامنا « البطة الوحشية » كفرع تام مستقل يعطيها اهميتها التاريخية .

هذا النوع من الموضوع في « البطة الوحشية » منعدم تماماً في المسرح اليوناني والاليزابيثي بالرغم من بعض آثار المدرسة البيئية في عهد شكسبير على يد كتاب مثل بن جونسن. « النغل » عند شكسبير مجرم لا حد لاجرامه يتآمر على حياة والده في « الملك لير » ، او ، كما في « تراجيديا الثأر » لترنر، على مضاجعة زوجة ابيه . اما عند اليونان فدمار شامل في « انتكوني » ، ولكن ابسن يدرك من هو المجرم حقاً ، فتلقى هدفج منه كل العناية والحنان واصدق الفضيلة والتضحية . وهو طوال ذلك يصب عليها اضواء دقيقة من الدراسة النفسية والاجتماعية :

هدفج تبكي لمبارحة والدها العائلة: انه يتركنا،انه يتركنا يا أماه . لن يعود ابداً الينا مرة اخرى .

جنا (الام) : لا تبكي يا هدفج ، من المؤكد ان يعود



وليم ادجر - من مشاهير النقاد الانكليز المعاصرين - يقدم ولاء الطاعة الى ابسن

بريشة ماكس بيربم

•

والدك ثانية .

هدفج : كلا ، كلا ، فلن يعود بعد اليوم ... آه ! سيقتلني هذا ! ما الذي اقترفته ؟ أماه ، يجب ان تأتيني به ثانية ... ولكن لماذا لا يريدني ابي الآن ، يجب ان تخبروني ماذا يعني ذلك ؟

نظرة بسيطة على سلوك ادموند في الملك لير (I. II.) توضح الفارق في المعالجة وفي وجهة النظر .

وبعد ، فلنأخذ انتحار هدفج هنا ونقارنه بانتحار اوديب كمثال المعالجة اليونانية ، وبانتحار عطيل كمثال لشكسبير ، ونلاحظ ماذا طرأ على التطور التراجيدي .

اوديب محكوم عليه بالاعدام غياباً قبل ولادته . هكذا قضت الآلهة ولا مرد لحكمها :

No power in wealth or war
Or tough sea blackened ships
Can prevail againest destiny.

حياة البطل التراجيدي عند اليونان سفر مرسوم لا ارادة للبطل فيه . التراجيديا تأتي من الخارج، ومن خارج حتى هذا العالم .. من عالم الميتافزيق .

أما في عطيل فقد اختفت الآلهة لا وراء الكواليس فقط بل وخارج المسرح. حتى الصليب الذي يحمله عطيل على صدره لم يغير من طبيعته كبربري قدر شعرة . اذن فمن الذي سيحكم على عطيل ؟ انه هو نفسه . اصبحت التراجيديا داخل الشخص وليس خارجاً عنه ، داخل هملت ، داخل بروتس ، داخل

رجارد الثاني. ان شكسبير اول من حمل راية الفرد البرجوازي على المسرح وانتشل الانسان من اذرعة الاولومب ومن أعين ابينا الذي في السماء . وهكذا احتج كاسيوس :

«The fault...is not in our stars,but in ourselves»

وعلى هذا الاساس ، يحمل عطيل جرثومة فنائه في قوله :

« Perdition catch my soul, but I do love thee and when I love thee not, chaos is come again. »

وهذا فعلاً هو الـ chaos ، هو الاضطراب الشامل ، الذي انتهى اليه المشهد الاخير . قل انه اختلال التوازي الشخصي ، اضطراب الكم والكيف، الذي ذهب اليه الاستاذ تومسون في كتابه البليغ « الماركسية والشعر »

نعيد النظر الى انتحار هدفج فنجد انعدام هذا النوع من الخلل في شخصها وانعدام يد القدر تلك في مصيرها . انها بجلاء الضحية الباردة لمجتمع متفسخ ونظام عائلي قائم على الكذب من ناحية ومثالية عمياء لا تعي حقيقة الواقع ولا الوسيلة الصائبة في اصلاحه من ناحية اخرى . ان المسألة اصبحت ليست مأساة فرد بل مشكلة مجتمع . ولهذا السبب ينكر الكثيرون على الادب الحديث فن التراجيديا . الواضح اننا اذا التزمنا بالخوف الارسطوطاليسي فليس هناك الآن تراجيديا . ولكننا نعيد السؤال القديم ، فنتساءل ايمكننا ان نسلب القوالب الفنية حقها في التطور المساير للتطور التاريخي للانسان ؟

مرة ثانية الى عطيل (اعتذر على تشبثي بشكسبير لان هذا يغنينا عن غيره ، فلم يلحق احد بغبار مركبته من حيث فهم وتحليل الانسان حتى العصر الحديث .) فنأخذ اياكو . انه شخص ، بالرغم من جانبه المادي ، مولع بمحق سعادة الآخرين . او كما وصفه هازلت : يرى الكذبة التي تقتل احداً خيراً من أي جناس او طباق . قل انها غريزة الايذاء، تعويض عن النقص ، غريزة جنسية منقلبة .. الخ . انه باي حال في نطاق علم النفس. اما كركرز رائد المثالية في البطة الوحشية (ارجو ان نلاحظ ان هذه المقارنات دائماً مع الفارق) فانه وان ادى بالعائلة الى مأساة مشابهة، الا انه لا يمت بصلة مطلقاً الى اياكو او اي شخصية شكسبيرية . انه مثقف حر في بلد متأخر يطوف دور العمال « بمتطلبات المثال الاسمى » وهو من أب رأسمالي وام شفيت بتفسخ زوجها . انه واحد من مئات في بلادنا يغدقون على المال انواع النصائح المعسولة دون ان يعرفوا شيئاً عنهم . ومع ذلك فما اظن ، لسوء الحظ ، ان احداً فكر بارسالهم الى طبيب نفسي . انها مسألة في نطاق علم الاجتماع والاقتصاد . ليست هذه المسألة فقط بل كل ما في المسرحية ، فام هدفج وقعت في الخطيئة لانها كانت خادمة معدمة في بيت ثري . وهدفج انتحرت لانها ادركت حقيقتها ومصيرها كبنت سفاح امام التقاليد، وبالاضافة فقد شعرت ان عودة السلام الى العائلة اصبح غير ممكن مع وجودها . ولهذا فاني خلافاً لما ذهب اليه الكثير لا أرى في موتها اي اسراف درامائي لا مبرر له او علاقة . ان حياتها اصبحت مستحيلة ازاء هذه الظروف .

قد اكون اوحيت الى القاريء بمقارنتي اعلاه ان ابسن قد طرد السايكولوجيا من كتابته ليحمل بدلها رسالته الاجتماعية . ليس ما هو ابعد من ذلك عن الحقيقة . انه اول من وضع اسس التحليل النفسي في المسرح الحديث ليتطور بعده فيصبح مسخاً على يد هذه المدرسة . والحقيقة ان عبقريته لا تتجلى كما تتجلى هنا . فابسن وحده عرف اين يقف والى

اي حد يمكن ان تلعب العوامل النفسية في اشخاصه، ومدى ارتكاز كل ذلك على اساس من مجتمع ونظام قائمين . وهو غزير بالرموز : البطة الوحشية تغور الى الاعماق عندما يصيبها اذى وتصك منقارها على الحشائش حتى تموت ولكن الكلب الامين يغطس وراءها فينتشلها بانيابه ويعيدها الى الحياة ... او هدا كابلر تلقي بمخطوطة عشيقها، التي كتبها مع واحدة غيرها بعد ان تركها وتناسى حبها، الى النار صارخة «انه ابنه، سأحرق ابنه.» ان «بيير كنت» خير نموذج لمن شاء الاطلاع على تكنيكه الرمزي . ولكن، ومع ذلك، كان يسخر ممن يحاول تفسير رموزه ووضع مرادفات لها . ليس هناك شيء من نوع كيميائيات توفيق الحكيم والأستاذ القط، ماذا يقصد بشهرزاد وماذا يريد شهريار .

رموز ابسن هي إما بسيطة من النوع الذي يحدث لاي منا في حياتنا اليومية، كما في «ايلف الصغير» عندما يغرق هذا الصبي الاعرج وترتفع الضجة على الشاطيء وتهرع امه مستفسرة فيأتيها الجواب بجملة واحدة : «لقد وجدوا العكازة طافية.» ما ابسطها من جملة . ولكني اتحدى اي أحد بما كاتها . او هي مركبة كما في بير كنت وهنا تصبح مجرد اجواء شعرية سابحة وهي ايضاً مما يحدث لأي منا . اذن فليس لديه شيء من الرموز المفروضة على الحياة والمفروضة على الجمهور شاءوا ام ابوا . فيختلق لنا الكاتب افكاراً غير واقعة ويعطيها شخصيات غير واقعة ثم يحرك هذه الشخصيات كالدمى في مشاهد غير واقعه ثم، وهو الامر، يظهر زيد وعمرو من النقاد ليلعب بها لعبة الدومينو ثم يثبت لنا اننا لا نفهم .

ثمت ناحية اخرى جديرة بالاشارة . هي هذه القوقعة الفارغة : العائلة : نجدها في البطة الوحشية ونجدها في معظم رواياته . حياة عائلية سعيدة، رضى وتفاهم، حب واخلاص، يبالغ ابسن في اكسائها ابهى الحلل حتى لا نملك، نحن العزاب القدماء، الا ان نفكر بالزواج ولو بالمراسلة . ولكن ما هي الا دقائق حتى يضيء ابسن مصابيحه ثم يسلطها على الماضي البعيد . ثم «بوم» كالقنبلة تنفجر العائلة، انواع الروائح الكريهة : فضائح، كذب، خداع .. يتبدد الدخان فلا نجد امامنا غير قوقعة فارغة. والطريف ان ذلك دائماً يحدث بعيداً عن الانظار . لا احد يعرف . الجميع يسدلون الستار على الفضائح بطريقة بارعة .

هذا الاثر البيتي ينشر خيوطه حتى في مسرحياته ذات الطابع السياسي كعدو الشعب . «عدو الشعب» تمثل لنا طبيبا يكتشف ان مشروع المياه الذي فتحته البلدية غير صحي . وبالرغم من توسل العمدة وتلميحه بالرشوة للطبيب يصر هذا على اعلانه بالخبر العام. فيتقدم واثقاً الى الصحافة الديمقراطية المعارضة باكتشافه . يهلل له هؤلاء ولكن الخبر لا ينشر . كلا فقد احتفظوا به كرصيد لمساومة الحكومة وهو فعلاً ما يتم مع العمدة . يجري الطبيب بقصته من صحيفة الى صحيفة فلا يجد اذناً تسمع . ولكنه يصر فيحيط الجمهور باجتماع عام ينتهي بقذفه بالحجارة والبيض . يقرر الهجرة الى امريكا لولا ان يجد الحقيقة اخيراً ! الصراع طويل ولكن باي حال يجب خوضه داخل الوطن . هذا الطابع السياسي المحض لم يمنع تلك «النقنقة» بينه وبين زوجته التي آثرت له المساومة مع الحكومة . الواقع انها دائماً تجعلنا نتساءل عن حياة ابسن العائلية والشخصية . [1]

قلنا ان البطة الوحشية لا تمثل ذروة ابسن من حيث مثله الاجتماعية . حدث ان انصاره من الشباب الذين لقبوا انفسهم بالابسنيين قد اوغلوا في تمزيق العرف والعائلة بتطرف شاذ . فكان ان وقف موقفاً لوثرياً وكتب هذه المسرحية كجواب انطوى على كثير من التهكم الذاتي . فكركرز هو بعبارة اخرى ابسن وانصاره . انها ارتداد عن تمسكه بأعماق التراب، بالواقع المر . والظاهر ان ابسن وقد عركته الخطوب واثخنته جراحاً قبض، كأي كاتب في آخر تجاربه، على واقع هو اعمق غوراً واصلب حجراً من هذا الواقع الذي نعرفه، على واقع الوهم . ونحن، اردناه أم كرهناه، نتقنع به كلما شقت علينا مرارة الحياة حتى ليصبح هو الحياة نفسها . فيلمار كان يعيش على حلم اختراع فوتوغرافي يخلد اسمه، والجد العجوز يتصيد في غرفة لا تتجاوز بضعة امتار ليقنع نفسه بانه ما زال على مجده يصطاد الدببة في الغابات، والاستاذ العليل يسكر كل يوم ليقول عنه الناس بانه شيطان مارد . ولكن عندما تتمزق هذه الاقنعة تصل المأساة علقم مرارتها . اسمع هذه المرارة الساخرة من يلمار : «ماذا اخترع ؟ هل ترك المخترعون شيئاً ليخترعه احد ؟»

مما اتذكر عن مسرحيات ابسن ما قاله زميل لي وقد اسدل الستار الاخير على «بيت اللعبة» قبل ثلاث سنوات. قال اشعر وكأني اريد ان اسرع الى البيت لاثبت من حاجياتي . قالها مازحاً ولكنه اصاب اسس الروح الابسنية : انهدام هياكل، تشتت احلام، انقلاب مفاهيم . لا عجب ان تثور الاوساط الرجعية لتستعد لضربة قاصمة فتربد الديلي تلغراف ويرعد اهل النقد . ولكن الشيء الذي اثار استياء النقاد بصورة خاصة هو الصور المرضية التي تكررت في تآليفه . ففي البطة الوحشية، كما رأينا، العمى الوراثي وفي «اشباح» السفلس الوراثي ايضاً . حقاً انها صورة مقززة . ولكن الظاهر انها مخيلة شاعر تعبر بمفاهيمها الرمزية عن ظروف محيطة في مجتمع مريض ... والمرض موروث ايضاً، أليس كذلك ؟

كنا قد اشرنا قبلاً الى مقالنا السابق في «الآداب» الى بعض مستحدثات هذا الكاتب من حيث التكنيك والاسلوب . وهي على اقتضابها كافية لاعطاء فكرة لاهل الحرفة . اما غير هؤلاء فما اظنهم سيدركونها بالقليل او بالكثير . ولكننا نشير الى المقدمات الضافية التي صدر بها الناقد الكبير وليم ارجر ترجماته الانكليزية لآثار ابسن ومختلف ما كتبه هو بصورة خاصة او غيره من عموم النقاد المحدثين فيما يتعلق بالنظريات الحديثة للتكنيك المسرحي . ففي كل ذلك غنى لمن شاء التوسع .

وبعد فلعلنا نكون قد واصلنا البحث بما ينيره وان يكون الموضوع قد اصاب مكاناً من الجمهور فأدرك المترجم ان امامه عشرات من الكتب عليه ترجمتها وعرف القاريء ان هناك مئات من الكتب عليه قراءتها .

لندن **خالد القشطيني**

---

[1] ننصح القراء بالاطلاع على محاضرات برنارد شو على الجمعية الفابية والتي ضمها كتابه The Quintessence of Ibsenism حيث اسهب شو في تفصيل دور ابسن الاجتماعي ومكانة المرأة منه ومدى علاقتها بعالمنا الحديث.



قال شهريار :

– ارأيت يا شهرزاد الى عذارى المدينة وقد أفردن لك بالفضل ، اذ كنت الامل الذي يرتقبنه منقذاً لحياتهن من فتك سيفي ؟

قالت شهرزاد :

– او تحسبهن كن يعلقن علي املاً عندما قدمني ابي اليك زوجة ..؟

قال شهريار :

– لقد عشت سنوات طويلة والخوف يقتـل كلاً منهن ، ويؤرق أحلامها،ترقب تلك الليلة المنكودة التي تزف فيها الي ، ولقد كان يراودهن جميعاً امل في مخلص يضع حداً لهذا الارهاب الذي يعشن فيه،و كأنما استجابت السماء لهن فارسلتك ..

فقاطعته شهرزاد وهي تضحك ساخرة :

– أتؤمن يا مولاي بخرافة الفرد المخلص ..؟ انها خدعة كبرى تراود النفوس الضعيفة كلما حزبها امر وانبهمت في وجهها المسالك ، أو لم تسمع قصة العذراء (ماهاتاب) ؟

فعبس شهريار قائلاً :

– كأنك تريدين إزعاجي بفكرة من افكارك الغريبة !.. وما قصة العذراء (ماهاتاب) ..؟

فاضطجعت شهرزاد في مقعدها ، واكتسى وجهها بابتسامتها الغامضة ، وانشأت تقول :

١

« كان كل شيء في الصحراء يتأهب للنوم ، فالشمس تتسلل الى مخدعها في الغرب حيث يسدل الشفق أستارا وردية ، والكثبان تتثاءب من بعيد حول القافلة التي اناخت بجوار النبع قبل ان يدهمها الظلام ، وتصهال الخيل يتجاوب خافتاً بين لحظة واخرى مع صياح الرجال وهم يتنادون حول الخيام . ثم القى المغرب الكئيب ظلاله الرمادية على الكون ، وساد الصمت الا من همس خافت يتلصص من خيمة النساء اللائي اجتمعن حول (ماهـاتاب) الحسناء التي رافق (ماهاتان) القافلة من اجل عينيها الناعستين .

كان (ماهاتان) قاطع طريق يتعرض للقوافل المسافرة بين سمرقند والهند ، وكانت له عصبة من رجال عشرة ، كلهم شباب لا يملك من دنياه الا رأسه وسيفه وجواده ، وكانت لهم غزوات موفقة على القوافل يخرجون منها بغنائم ثمينة يبيعونها في اسواق سمرقند وينفقون ثمنها في لهوهم العابث قبل ان يعودوا الى معتصمهم في جبال (لاي شي) . وكان (ماهاتان) قائداً لهذه العصبة لانه اكثر افرادها شجاعة وذكاء لبقا ، كما كان وسيماً أنيقاً يملأ العين بهاء وورونقاً ، فيخدع تجار سمرقند عندما يعرض عليهم غنائمه كتاجر جواب آفاق .

ولم يكن (ماهاتان) قد عرف الحب .. حتى نزل مع عصبتـه الى سمرقند ، ورأى قـافلة تتجهز للرحيل ، فتسلل اليها يتفحص بضائعها التي ستكون هدفاً لهجمته القادمة ، ولكنه رأى ان اثمن ما في القافلة هـي (ماهاتاب) السمراء ذات العينين الناعستين والشعر الاسود الذي ينسكب على ظهرها حتى يمس كعبيها .

وهكذا عرف (ماهاتان) الحب للمرة الاولى ، وعندمـا احتواه النوم في الخان ليلا بين عصبته ، جاءه في المنام شيخ مهيب كث اللحية يتفجر من عينيه واصابعه وانفه نور ساطع يبهر النظر .. وقال له :

– اما آن لك يا (ماهاتان) ان ترجع عن ضلال الشباب وغية ..؟!

فأحس (ماهاتان) بكلمات الشيخ تنفذ الى شغاف قلبه وترسل الدمع الى عينيه ، فجثا امامه وقبل قدمه ، فمسح الشيخ على رأسه وقال :

– التوبة يا (ماهاتان) تجبّ ما سبقها من خطيئـة .. واسوف اغفر لك كل ما اقترفت من آثام اذا اقسمت لي ان تكون شريفاً ..

وصمت الشيخ برهة وهو يحدق في (ماهاتان) ثم قال :

– انك تحب (ماهاتاب) .. اليس كذلك ..؟ اتراها ستحبك وانت قاطع طريق ..؟ وهل ترضى انت ان تجعلها تشاركك حياة الكهوف وتتعرض معك للأخطار القاتلة التي تصادفك كل يوم ..؟!

فهمس (ماهاتان) ودموعه تبلل قدمي الشيخ :

– اتحبني (ماهاتاب) ايها الشيخ الجليل ..؟

– لقد احبتك منذ رأتك تطوف اليوم حول خبائها .. وهي تريدك .. ولكنها لن تقبلك وانت قاطع طريق ..! فليس امامك اذن الا سبيل واحد .. التوبة ..!

– انها سترحل اليوم مع قافلتها .. ولن اراها بعد ذلك الا.. الا اذا اختطفتها ..

– لماذا لا تنضم الى القافلة ..؟! ان معك بعض المال .. فلم لا تحترف التجارة ..؟ سافر معها الى بلادها..وهناك تستطيع ان تبدأ حياتك الجديده في ظل حبها الوارف ..!

ثم وضع الشيخ يده على رأس (ماهاتان) وقال :

– قم (يا ماهاتان).. فانا اباركك .. وسأنتزع الشر المظلم من قلبك وافعمه خيراً وضياءً ..

فهب (ماهاتان) من جثوته وقد احس بانه اصبح رجلا غير الرجل ، وتطلع الى الشيخ الذي يتفجر من عينيه وانفه واصابعه نور ساطع ثم سـألـه :

– من انت ايها الشيخ الجليل الذي بارك روحي ؟

– الم تعرفني بعد يا (ماهاتان)..؟ انا (اهورا) اله الخير..لقد طالما اوضعت في ظلام اله الشر .. ولكنني جئتك الليلة لاسكب عليك من نوري واتخذك جندياً من جنودي .

ثم استيقظ (ماهاتان) من نومه على شخير عصبته ، وكان غبش الفجر قد تسلل من الكوة ، فتطلع الى وجوه رفاقه حوله فرأى يد اله الشر تكسو سماتهم شقاء وظلاماً ، فتسلل من بينهم وحمل نقوده وسيفه ، ثم امتطى جواده وانطلق يستقبل اشعة الشمس الاولى تتجاوب مع اشعةالنور الذي انبثق في قلبه .

وبعد يومين خرجت القافلة من سمرقند قاصدة الهند وقد انضم اليها (ماهاتان) تاجر السجاد يقود امامه جوادين موقرين ببضائعه . »

***

وصمتت شهرزاد لتلتقط انفاسها فقال شهريار :

– قاطع طريق يتوب ، وغادة فاتنة ، واله الخير والنور ..!.. كل شيء جيل الى هنا .. ثم ماذا ..؟

فعادت شهرزاد تقول :

٢

« ومضت ايام لم يقدر (لماهاتان) خلالها ان يرى (ماهاتاب) ، ولكنه عرف الكثير عنها ، فهي ابنة شيخ القافلة التي تضم عشرين مـن اخوتها ، وأبوها احد اقطاب قبيلتها التي تقيم في قرية نائية في بلاد الهند ، وكانت تعيش مع قبيلتها في عزلة ، ولعلها لم تتعد نطاق الجبال التي تحيط بقريتها قبل ان تخرج مع هذه القافلة التي رحلت الى سمرقند لتحمل منهـا ما تحتاجه طوال العام .

وكان الامر خليقاً ان يبعث الملل الى نفس (ماهاتان) لولا تلـك الليلة التي حطت فيها القافلة رحالها حول النبع ، فما كاد الغروب الكئيـب يلف الكون بظلاله الرمادية حتى اجتمع الرجال في متسع من الارض خلف الخيام ، وجلسوا في حلقة كبيرة ، فظن (ماهان) انهم سيقيمون سمراً ، فانسل من خيمته الى حيث اجتمعوا وارسل طرفه باحثـا عن (ماهاتاب) فلم يجدها ،بل لم ير امرأة واحدة من النساء اللاتي تضمهن القافلة ، فوقف حائرا دهشا .. أيقام سمر بلا نساء ..؟ وتطلع الى الرجال في تحلقهم فازداد عجبا وحيرة ، اذ لم يكن في جلستهم ما يوحي بأنهـم سيسمرون ويلهون ، فقد علت وجوههم مسحة من الحزن والكآبـة ، وتشابكت ايديهم على صدورهم في ضعف وخور ، واطرقوا الى الارض في اسى ، ولم يكن هناك ما يدل على انهم احياء الا تلك الهمهمـة المبهمة التي تصدر عنهم ولا يعني لها معنى .

واحس (ماهاتان) بيد تجذبه من ذراعه .. واذا بشيخ القافلة يسير به بعيداً عن الرجال ثم يقف ليقول له في همس :

– ايها الغريب .. لا مكان لك بيننا ..!

– الا تشركون رفيق سفر في سمر ؟!

– ما هذا بسمر ايها الغريب . انه بكاء القمر .!

واشتدت دهشة (ماهاتان) وهم بالسؤال ، ولكن نظرة كئيبة في عين الشيخ ردته عن ذلك ، ثم عاد الشيخ الى رجاله يتصدر حلقتهم ، وسار (ماهاتان) الى النبع حيث جلس يفكر في (ماهاتاب) ، وفي الهـه (اهورا) الذي جاءه في النوم ، وفي عصبته التي هجرها في الخان .. ثم احس بأقدام تخطر بجانبه .. فالتفت ورآها .. كانت (ماهاتاب) فوثب قائماً وقال :

– سلاما فتنة الليل ..!

فتلفتت حولها في تردد ثم قالت :

سلاما ايها الغريب .. لماذا لم تنضم الى الرجال في بكاء القمر ..؟

– وهل يبكي القمر حقا يا حسناء ..؟!

– ليس هو من يبكي .. وانما نحن الذين نبكيه .. !

– ولماذا ..؟.. أمات . ؟!

– انه يحتضر الآن .. سيظهر رفيعاً ناحلا وقد تقوس ظهره مـن الضعف .. ولن يستطيع ان يتجول في السماء الا ساعة .. ولكننا نبكي ونستعطف الاله (مونا) فيستجيب لنا ويعيد الى القمر الحياة .. !

– الهك اسمه (مونا) ؟

– نعم .. ألا تعرفه ..؟ انه اله كبير .. كبير جداً .!. ان ساقـه اطول واضخم مني !

– ساقه ..؟! واين رأيتها .. ؟

– هناك .. في سفح الجبل امام المعبد .. كثيراً ما كنت اذهب اليـه واجلس فوق قدمه مستندة الى ساقه ..!

فضحك (ماهاتان) وقال :

– مـا اسعد هذا الاله ! ألم يلق في اذنيك أشعاراً وانت جالسة على ساقه ؟!

فقالت (ماهاتاب) في سذاجة :

– يلقي اشعاراً ..؟ انه لا يتحدث الينا .. ولكن (كومو) هو الذي يفهم وحده ما يريد .. إن (كومو) هو الكاهن الاعظم ..!

فدنا منها (ماهاتان) وامسك بيدها بين كفيه وقال :

– اذن .. سوف تستعطفون (مونا) الآن ليعيد الى القمر الحياة ؟ الا ترين ان الدنيا لا تخسر كثيرا اذا مات القمر ..؟ اليس سناك ابهى من سناه ..؟

فاطرقت (ماهاتاب) ثم همست :

– اتحبني ايها الغريب ..؟

– انا ما رافقت القافلة الا من اجلك .. لقد رأيتك في السوق فتبعتك الى هنا .. وسأتبعك اينما تذهبين ..

– وانا ايضا رأيتك في السوق .. ورأيتك وانت ترافق القافلة .. الم تخطبني من ابي بعد ..؟

فخفق قلب (ماهاتان) فرحا وقال :

– سأفعل ذلك الليلة .. بل الآن ..

– لا .. انتظر الى الصباح حتى ينتهي بكاء القمر .. سيقول لك اني مقدسة .. واني ابنة الاله (مونا) .. وليس له ان يزوجني .. فقل له

انك ستشتريني من الكاهن الاعظم (كومو) ..

فصاح (ماهاتان) في دهشة :

– ابنة الاله (مونا) ..؟.. من ..؟.. أنت ..؟!

وهمت (ماهاتاب) ان تجيب . ولكن طبولا دوت مختلطة بصراخ وجال .. فجذبت يدها وهي تقول :

– لقد بدأ البكاء .. وينبغي ان اعود ..

وفي الصباح .. عندما تقدم (ماهاتان) الى شيخ القافلة يخطب منه ابنته صمت هذا قليلا ، ثم قال وهو يتخلل لحيته باصابعه :

– حسناً ايها الغريب .. اذن فانت تريد (ماهاتاب) ؟

– نعم .. ولهذا جئت معكم .!. ولدي ذهب كثير اشتريها به من الكاهن الاعظم (كومو)

فشردت نظرات الشيخ الى الافق البعيد ثم قال :

– ليس الذهب كل شيء ايها الغريب .. فلدى (كومو) من الذهب اكثر مما يستطيع خيالك ان يتصور .. ولكنك لا تعرف شيئا عن بنات الاله (مونا) .. انهن مقدسات يولدن وفيهن علامات يضعها الاله ليدل الكاهن الاعظم على انهن بناته .. فيتولى الكهنة رعايتهن حتى ينمون وينضجن .. فيرسلون للاله كل عام واحدة منهن ..

– يرسلون اليه واحدة .؟ وكيف ..؟

– يدخلونها النار المقدسة ..!

فصرخ (ماهتان) جزعا :

– يحرقونها ..؟

– ليس هذا احراقاً ايها الغريب .. انه عودة الاله الاب ..

– وسيفعلون ذلك بماهاتاب .؟!

– الا اذا رضي الاله «مونا» بزواجكما .. وعندئذ لا تدخل النار المقدسة الا اذا ماتت .. او مت انت .

وعندما التقى (ماهاتان) ليلا (بماهاتاب) ضمها الى صدره .. ورفع عينيه الى السماء وابتهل قائلا :

– اي (أهورا) .. يا الهي الطيب الوديع .. تولنا بحمايتك .. فانت الذي ارسلت بي خلف ماهاتاب .. فلا تتخل عني ..

فظهرت له هالة من نور يلوح وسطها شيخ مهيب كث اللحية .. يتفجر النور من عينيه وانفه واصابعه .. وقال (لماهاتان) في صوت هادىء عميق :

– انا لا اتخلى عن جندي من جنود يا (ماهاتان) .. سأكون معك في كل ما يعرض لك .. ولكن اياك ان تغفل عني.

فاختنق صوت (ماهاتان) بالبكاء وهو يقول:

– لن اغفل عنك لحظة واحدة .. انك استقررت في قلبي منذ جئتني في الخان ليلا ..

واختفت هالة النور .. ورفعت (ماهاتاب) رأسها عن كتف (ماهاتان) وسألته في حدة :

– انا جئتك في الخان ليلا .؟

ولم يجب (ماهاتان) وانما ضمها الى صدره في قوة ... والتقت شفاهها في قبلة حالمة..»

***

وابتسم شهريار وقال :

– لقد بدأت تسخرين ..!

فقالت شهرزاد :

– ما انا بساخرة ...! انما اقص عليك ما حدث ... انها الحياة ...!

فقال شهريار منكرا :

– الحياة ...!! ان الحياة خلال عينيك غريبة شاذة ...!

– ولكنها صادقة عميقة ...!

– اذن ... امضي في قصتك ...

فعادت شهرزاد الى ضجعتها ومضت تقول :

٣

« ما كادت القافلة تصل القرية حتى سعى (ماهاتان) الى معبد الاله (مونا) لمقابلة الكاهن الاعظم (كومو) حاملا معه كيساً يحوي كل ما بقي لديه من ذهب . وكان الوقت مساء ، والقمر يتوسط السماء ، ولاح له المعبد من بعيد يحتضنه الجبل وتتوهج أمامه نيران يتعالى لهيبها حتى يسامي قمم الجبال العالية ويعقد فوقها سحباً كثيفة من الدخان الاسود . وحملت الريح الى انف (ماهاتان) بعضاً من هذا الدخان فاربد اذ اشتم فيها رائحة لحم يحترق ، وتذكر ان مصير (ماهاتاب) يتوقف على مقابلة الكاهن الاعظم هذه الليلة ، فتقلصت اصابعه على كيس الذهب الذي يحمله وحث الخطو نحو المعبد .

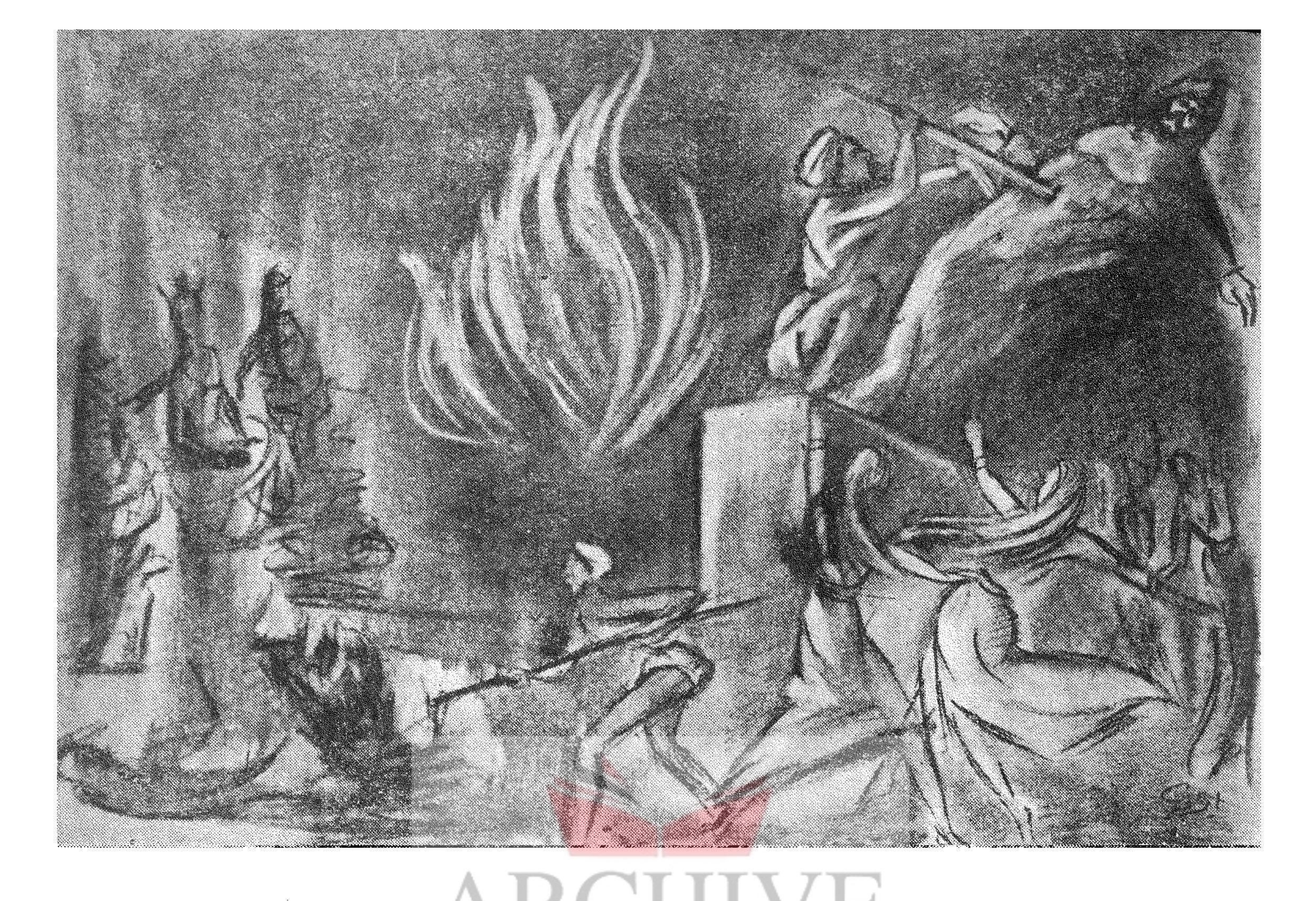
وعندما اقترب : لاح له الاله (مونا) صنما ضخماً سامقاً .. أفطس الانف غليظ الشفتين غائر الخدين ... عيناه فجوتان سوداوان ، اين هذا الاله من الهه (أهورا) الذي يتفجر النور من عينيه وانفه واصابعه ..! انه لم ير اله الشر والظلام قط .. ولكنه واثق انه لا يختلف في سماته عن هذا الاله المخيف (مونا) ..!!

وتناهت الى مسمعيه همهمة هوجاء وصراخ مفزع بعثا في جسده رعدة جارفة ، وكانا يزدادان قوة وحدة كلما اقترب .. ولمح اشباحاً مدثرة بالسواد تحيط بالنيران امام الصنم وتتواثب في جنون وتصدر تلك الهمهمة الهوجاء ، وبين لحظة واخرى يصرخ بعضها هذا الصراخ المفزع . واحس (ماهاتان) بانقباض واكتئاب ، وهم بالعودة ، ولكنه تذكر (ماهاتاب) فانطلق نحو باب المعبد ماراً في طريقه بهذه الاشباح التي تتواثب حول النيران .

وسقط عليه ظل اسود فرفع رأسه مذعورا ، واذا بالصنم (مونا) يتسامق بينه وبين النيران ، ويغطي ظله بقعة كبيرة من الارض عليه ان يقطعها . فتوقف وقد احس بانه عاجز عن ان يمر بظل (مونا) .. ان هذه الظلمة تزحم عليه انفاسه وتخنق صدره .. ولكنه تذكر (ماهاتاب) فشعر بالحنق على نفسه للضعف والخور اللذين تملكاه .. فشدد من عزمه واقتحم تلك البقعة السوداء التي يلقيها ظل (مونا) على الارض .. وشعر بثقل في اطرافه ، وخيل اليه ان هذا الظلام يزحف على قلبه ويشل خفقانه ، فانطلق في جنون يجري بأسرع ما تستطيع قدماه . حتى وصل الى باب المعبد لاهثاً مبهورا يتفصد جبينه عرقاً . ولمح بالباب شبحاً مدثراً بالسواد فتقدم اليه قائلا :

– اريد ان اقابل (كومو) .. الكاهن الاعظم ..

ولم يتكلم الشبح ، وانما سار امامه خلال ردهات واسعة انتشرت في ارجائها اعمدة من الحجر الصلد ، وعلقت في جوانبها مشاعل مؤججة ، ورأى ماهاتان في نهايتها مذبحا من الصخر الاسود اقعى امامه شيخ نحيل اصلع الرأس وقد تسربل بالسواد ايضاً ، وكانت الردهة خالية ، فادرك (ماهاتان) ان تلك الاشباح المجنونة التي رآها تتواثب حول النيران انما هي اشباح الكهنة . فاقترب من (كومو) محييا ، فنظر له هذا بعينين عشواوين وقد



له يدأ معروقة يقبلها ثم قال :

- ايها الشاب .. ماذا معك من هدايا ..؟

فجثا امامه (ماهاتان) وقال في صوت مرتعد :

- ايها الكاهن المبجل .. لقد جئتك من اجل (ماهاتاب) ..!

- ماها .. من ؟

- ماهاتاب .. ابنة الاله (مونا) .. !

- وماذا تريد منها ..؟

- اني احبها ايها المقدس .. رأيتها مع ابيها في سمرقند فأدركت انها غاية املي واقصى مطامعي ، جئت خلفها تاركاً اهلي وتجارتي .. من اجلها قطعت القفار ، وتسلقت الجبال وخضت الانهار ، ولو كان بيني وبينها سور الصين العظيم لنقضته حجراً حجراً لاصل اليها ، ولو وضعوا دونها ميزان كسرى لاقتحمتها من اجل ..

فصرخ فيه كومو مقاطعاً :

- وماذا تريد مني ..؟ لا تسرف في الكلام ..

- اريدها هي ايها الكاهن المقدس .. أريد ان تسأل الاله مونا ان يمنحني إياها .. ادعه ان ..

فقاطعه كومو :

- أمعك ذهب ..؟ اريد ذهباً ..! ذهباً ..!

فأفرغ (ماهاتان) الكيس الذي معه تحت قدمي كومو وهو يقول :

- ها هو الذهب ايها المقدس ..! كل مـا املك .. محصول عمري .. خذه فداء ماهاتاب ..!!

ونظر الكاهن بعينيه المشواوين تحت قدميه .. ثم ضحك ضحكة دوت في ارجاء المعبد .. فعجب ماهاتان .. وجمع الذهب من تحت قدمي « كومو » وقدمه اليه قائلاً :

- أليس هذا ما طلبت ..! انه الذهب ..!

فأخذ « كومو » الذهب في يده المعروقة ، ثم تركه ينساب من بين اصابعه ويهوي الى الارض وضحكته تجلجل في ارجاء المعبد .. ثم قال :

- اتسمي هذا ذهباً ايها الشاب ..؟!!

- اقسم انه ذهب .. ذهب نقي ..

فعاد كومو يضحك وهو يقول :

- انا اعلم انه ذهب نقي .. ولكن .. لو جئتني بعشرة اضعاف هذا القدر لما قبلته منك ثمناً لاحدى بنات « مونا » .. تعال .. انظر ..

ولم ير ماهاتان كيف دفع حجراً فانشق الجدار عن فجوة كبيرة مظلمة، ووقف كومو امامها ورفع مشعلاً في يده وقال لماهاتان :

- انظر ايها الشاب .. هذا هو الذهب ..

ونظر « ماهاتان » .. فارتد بصره امام ذلك البريق الذي ينبعث من السرداب الكبير .. ووجف قلبه وجف لعابه .. اذ لم يسبق له ان رأى مثل تلك الكنوز مجتمعة في مكان واحد . وهم ان يعيد النظر .. ولكن كومو رد الجدار مكانه في سرعة وسار عائداً الى مكانه امام المذبح .. ومر في طريقه بالذهب المبعثر على الارض فركله بعيداً وهو يضحك ويقول :

- أهذا ذهب ..؟! أهذا ذهب ايها الشاب ..؟!

- وغمر اليأس قلب « ماهاتان » ، ووقف حائراً مضطرباً تتراقص امام عينيه اضواء المشاعل المعلقة في ارجاء المعبد ، وتئز في اذنيه همهمة

الكهنة امام الصنم في الخارج كأنها طنين الذباب . أهكذا ينتهي كل شيء ..؟ أهذه خاتمة المطاف .. اتحرق ماهاتاب ويفقدها الى الابد ..؟! ينبغي ان يفعل شيئاً ..!!

واقترب من كومو قائلا :

– ان معي سجاداً ثميناً من سمرقند .. فهل استطيع ..

فصرخ كومو في صبر نافد :

– ذهب ..! ذهب ..! اريد ذهباً ..!

ثم اشار بيده الى باب المعبد وصاح به :

– والآن .. اخرج ايها الشاب ..!

وقضى ماهاتان ليلة مؤرقة .. زاره فيها هم ثقيل وفكر طويل ..

لقد جاءه « اهورا » في المنام فتاب على يديه وهجر عصبته .. ولولا ذلك لما تعذر عليه ان يحصل على ما يريد كومو من ذهب .. انها غارة او غارتان على القوافل .. ثم زيارة لاسواق سمرقند .. فيعود وقد نـــاء كاهله بما يحمل من الذهب .. ولكن اين هو من سمرقند ..؟ بل اين هو من عصبته الآن ، لو كانوا معه هنا لما احتاج الى هذا العناء .. بل لمــا احتاج الى شراء (ماهاتاب) من كومو .. فان من السهل عليــه اذا كانت معه عصبة ان يختطفها ويفر بعيداً .. بل لن يختطفها وحدها .. وانما يختطف معها كنوز كومو ايضاً .. ان في هذه الكنوز ذهباً يجعله اغنى اغنياء الدنيا .. بالله .. كم يشتهي هذا الذهب ! ولكنه وحيد منفــرد لا يستطيع شيئاً .. وليس امامه وسيلة للحصول على هذا الذهب ..

الا تبأله والذهب .! انه جاء من اجل (ماهاتاب) فلماذا يصرف جهده الى ذهب كومو ..؟ ينبغي له ان يشتري (ماهاتاب) ، ولتحقيق هذه الغاية ينبغي ان يحصل على مزيد من الذهب يقدمه لكومو ما دام عاجزاً عن اختطافها بالقوة .. فاذا لو خرج الى طريق القوافل وعـــاد الى السطو عليها .. ولن يعجزه ان يجمع حوله بعض الاعوان من صعاليك القرى المجاورة ..

ورفع عينيه الى السماء وابتهل الى (أهورا) ان يعينه ، ثم استسلم لنوم عميق .

ومع الفجر الندي .. ذهب (ماهاتان) لوداع « ماهاتاب » واخبرها انه سيتغيب ، اياما ليجمع الذهب .. فودعته « ماهاتاب » وابوها واخوتها حتى خرج من القرية على جواده وهو يحمل سيفه .. وانطلق بين الجبال ساعياً الى طريق القوافل .

٤

« وانقضى عام قبل ان يعود « ماهاتان » الى القرية مثقلا بالذهب ، جياشاً بالفرحة والامل ، بعد ان وثق بأن « ماهاتاب » اصبحــت له . وعندما دخل القرية راعته تلك الحركة الدائبة التي شاعت بين افــراد القبيلة ، وذلك الاضطراب الذي شمل مظاهر الحياة فيها ، كان الشبــاب يجمعون الاعشاب المقدسة من سفوح الجبال ،وعجائز القبيلة جالسات امام اكواخهن يخطن ملابس زاهية براقة ، فسال اول عابر سبيل :

– يا اخي .. ماذا يجري هنا .. ؟

فقال الفتى وهو يسرع مبتعداً :

– انه عيد الاله (مونا) .. ستعود اليه غداً احدى بناته ..!

وقفز قلب « ماهاتان » جزعاً .. فربما كانت « ماهاتاب » هي ضحية الغد .. واسرع يقتحم بجواده طرقات القرية قاصداً المعبد ، ودخل على (كومو) في اضطراب ، والقى امامه بخريطة الذهب وهو يقول :

– هذا ثمنها ..

فتطلع اليه كومو محاولا ان يتذكره .. ثم سأله :

– ثمن من ايها الشاب ؟..

– ثمن ماهاتاب .!.ألم نتفق على ان آتيك بعشرة اضعاف الذهب ..؟ هاك اكثر مما طلبت ..

فانحنى « كومو » الى الخريطة يفحصها ..ثم نادى احد اعوانه وامره بحملها الى السرداب ، وظل ماهاتان يرقب الكاهن حتى انضم الجدار على الذهب .. ثم قال :

– ساذهب لاحضار « ماهاتاب » الآن ..

فسأله كومو في هدوء :

– ولماذا ؟

– لتزوجنا كما اتفقنا .. الم تأخذ الذهب ..؟

– لقد تأخرت كثيراً ايها الشاب .. ان (ماهاتاب) ستعود الى ابيها الاله غداً ..

واحس (ماهاتان) بالمعبد يتزلزل من حوله .. وبالمشاعل تتراقص امام عينيه .. ووجه كومو النحيل يضحك في سخرية .. وصوته الخبيث يصك اذنيه قائلا :

– لقد تأخرت .. نعم .. انت الذي نقضت اتفاقنا بتأخرك ..

وعندئذ لم يطق(ماهاتان)ان يسمح لهذا الشيطان بالمضي في ضحكاته.. فوثب عليه يريد ان يخنقه .. ولكن الكهنة اسرعوا اليه فحالوا بينه وما يريد .. وتراجع كومو الى الخلف وهو يصيح بهم :

– ألقوا بهذا الاحمق الى الخارج ..!

٥

كانت (ماهاتاب) تبكي ، وجثا (ماهاتان) على ركبتيه بجــانبها وكان يبكي ايضاً ، كانت اذناه تشكان فيما سمع ، ولكن ما رآه الآن قد قضى على كل شك في نفسه ، فهذه (ماهاتاب) امامه في ثياب الحريق وقد ضمخت بعطر مقدس وألبست تاجاً من الزهر ، اذن ستحترق غداً ..!..

هاتان العينان اللتان تجمعت فيهما آماله ستذوبان بين الجمر المتقد ..! وهذا الثغر الذي كان يعده بالثقة والامل سوف يتحول الى فحم اسود ..! وهذا الشعر الحالك كالليل سوف يمتد اليه اللهيب فيحيله رماداً لا حياة فيه ..! ولاجل من كل هذا ..؟! لاجل هذا الشيخ الاحمق المشعوذ (كومو) .. وتلك الحفنة من الدجالين الذين يحيطون بالاله (مونا) كهنة وسدنة ..!!

ورفع (ماهاتان) رأسه الى السماء وابتهل الى الاله (اهورا) :

– يا الهي الخيّر .. لا تتركني الآن فانا احتاج اليك .. لقد نكثت بعهدي معك .. ولكن ذلك كان في سبيلها .. فاغفر لعبد خاطىء .. اي اهورا .. اين انت ..؟ كن بجانبي ..!!

وخيل اليه ان هالة من نور تنبعث من بقعة في الجدار،ولمح شبح اهورا بلحيته الكثة وبنوره الذي يشع من عينيه وأنفه وأصابعه ، فخفق قلبه فرحاً .. وابتسم اهورا وقال له :

– يا ماهاتان .. لقد عصيتني .. فينبغي الا تعود لمثلها .. قلت لــك لا تغفل عني فلا اغفل عنك .. ولكنك غفلت.. فماذا حدث؟ ستساق ماهاتاب الى المحرقة ..!!

فتضرع ماهاتان اليه :

– انقذها يا الهي ... فانت الآن عوني الوحيد .. لقد فعلت مــا فعلت من اجلهـــا .. فكن معي .. اقهر الشر الذي يريد ان يحول

بيني وبينها ..

– وهل اقهره وحدي يا ماهاتان ..؟ ألست جندياً من جنودي ..؟ لقد منحتـــك بركتي واضأت عقلك ليعينك .. فالجأ اليه ليدلك على السبيل الذي تتخلص به من كومو ..!.. اذا خلصت من كومو تخلص من الشر كله ..

واختفت هالة النور .. وظلت هذه العبارة تتردد في اذنيه :

– اذا خلصت من كومو تخلص من الشر كله ..! اذا خلصت من كومو ...

لقد انضحت امامه السبل واستبان الطريق ..

وعادت ماهاتاب تبكي .. ولكن ماهاتان لم يبك معها .. وانما امسك بيدها بين يديه وضغط على اصابعها في عزم وقال :

– (ماهاتاب) .. لا تبكي .. صوني دموعك فلن تسيل بعد الآن.. لن تذهبي الى المحرقة غداً ..!

– لا امل ..!.. لا امل ..!.. سأحرق غداً .. فوداعاً يا ماهاتان..!

– لن تحرقي .. واقسم على ذلك ..!

٦

« مال القمر نحو الافق .. فلم تبق منه الا اشعة مخنوقة لا تكاد تضيء امام الابصار شيئاً من الظلام الحالك الذي شمل الكون في منتصف الليل ، واخذت النجوم ترتعش في السماء شاحبة كأنما تريد ان تنغمر في بحر الظلام الذي تسبح فيه، ولم يكن يبدد هذا الظلام الا اشعة صفراء تنبعث من كوة في اعلى جدار المعبد .

وانسل ماهاتان من باب المعبد تقوده رائحة البخور التي تنبعث مـــن الردهة.. وهمهمة الكهنة وهم يحتفلون بليلة عيد القربان . وانتهى(ماهاتاب) الى الردهة الكبرى حيث وقف رتل من الكهنة خلف (كومو) .. كانوا أشباحاً تسربلت بالبخور الذي ينبعث من مبخرة كبيرة امام المذبح. واسرع ماهاتان يختفي خلف المذبح وقد استل خنجره . ثم انتظر ساعة آملا ان ينفض الكهنة ويبقى كومو وحده . ولكن الفجر اوشك ان يبزغ ولم تحن له الفرصة بعد .. وانما هي تراتيل لا تنقطع .. وسحب من البخور لا تفتأ تنعقد في الجو . ونفد صبر ماهاتان . ماذا يكون الامر لو مضى الكهنة في صلواتهم هذه حتى تشرق الشمس ويبدأ الحفـــل ..؟! لا .. لن يحدث هذا ..! ولو اقتضى الامر ان يقتل الكاهن الاعظم وهو وسط كهنته..! لن يبالي بالنتائج.. فليقتلوه .. ولكن بعد ان يقتل كومو ويخلص ماهاتاب ..!!

وحبس ماهاتان انفاسه عندمـــا رأى كومو يقترب من مكمنه . واشتد اقتراب كومو حتى اصبح بينهما خطوة واحدة ، فارتفعت يـــد ماهاتان في سرعة .. وهوت بالخنجر الـــلامع الى ظهر كومو في طعنة موفقة من يد مدربة .. واطلق كومو صرخة مذعورة .. ثم تهاوى تحت قدمي ماهاتان .

واراد ماهاتان ان يطلق ساقيه للريح .. ولكن صرخة كومو اثارت انتباه الكهنة .. فرآهم يتقدمون نحوه وقد سدوا أمامه طريق الباب .. فاخذ يتلفت حوله باحثاً عن طريق آخر للفرار ، ولكن بصره ارتـــد امام الجـــدران الصماء التي تحيط به ، ثم استقر عند الباب الذي وقف الكهنة دونه .

اذن .. فقد انتهى كل شيء ..! سيقتله هؤلاء الشيوخ المشعوذون ..! انه لا يأسف كثيراً .. فحسبه انه انتقم لاحراق ماهاتاب في الغد.. والتصق بالجدران مستسلماً لنهايته المحتومة .

وعندئذ حدث شيء غريب .. فقد خر الكهنة ساجدين امـــامه ، وبهت ماهاتان، وصاح احدهم بأصوات مبهمة غامضة لم يفهم منها شيئاً.. وردد الآخرون هذه الاصوات . ثم تقدم احدهم متئداً متمهلا .. وامسك بيد ماهاتان يقبلها وقال :

– يا سيدي .. لقد انتظرناك أجيالاً طويلة .. ونحمد الآلهة ان ظهرت في زماننا ..

وحدق فيه ماهاتان دهشاً وقال :

– ماذا تعني ايها الشيخ ..؟

– انت سيد الكهنة الذي حدثتنا عنه الكتب ..!

– من ..؟ انا ..؟ ما انا الا قاطع طريق ..!!

– انت قاطع طريق ..؟!! اذن فانت تماماً من حدثونا عنه .. لقد قالوا لنا انه سيأتي من بلاد غريبة .. وسيكون شقياً ثم يتوب ..!!

– ومن ادراك انه انا ..؟

– قالت كتبنا ان علامتك ان تقتل الكاهن الاعظم خلف المذبح عند اختفاء القمر ..

ثم امسك بيد ماهاتان وقاده الى الجدار الذي يختفي خلفه الذهب ... ودفع حجراً فتحرك الجدار ، ورفع المشعل الذي يحمله في يـــده فوق رأسه .. ونظر ماهاتان داخل الغرفة .. فارتد بصره امام البريـــق المتلالىء الذي ينبعث من اركانها..وجف قلبه وجف لعابه..وقال الكاهن:

– هذه كنوزك ايها المقدس ..!!

اهذه الكنوز اصبحت له حقاً ؟. اهذه الاموال التي لم يسبق ان اجتمع مثلها في مكان واحد ، قد اصبحت ملكاً خالصاً له ؟! انه اذن اغنى رجل في الدنيا ..! وقال الكاهن :

– في حفل الغد .. ستعلن للناس ظهورك . وتباركهم .. وتتلقى هداياهم . ثم تقود الرجال في رقصة القربان .!

وأعادت هذه العبارة ماهاتان الى وعيه .. وتذكر ان هذا القربان هو ماهاتاب .. ولقد قتل الكاهن الاعظم لانقاذها .. وها هو الان قد اصبح الكاهن الاعظم .. وباشارة من يده تنجو من المحرقة . فالتفت الى الكاهن وقال :

– ما دمت انا الكاهن السيد .. فاوامري مطاعة .. اليس كذلك ؟

فاحنى الكاهن رأسه مؤيداً .. ومضى ماهاتان يقول :

– ومن حقي ان الغي حفل القربان ؟.

فهز الكاهن رأسه نافياً وقال :

– وكيف يتم اذن تنصيبك سيداً اعظم ؟. لن يكون ذلك الا في حفل القربان ..!

وفكر ماهاتان قليلاً .. ثم قال :

– وهل احراق فتاة امر ضروري لاقامة الحفل ؟.

– انها القربان المقدس .. لن يكون الحفل مقدساً الا بذلك . !

وعاد ماهاتان يفكر .. ان حصوله على الذهب يتوقف على احراق فتاة .. ولكن ليس من المحتم ان تكون ماهاتاب .. فلتحرق فتاة اخرى اذن .. والتفت للكاهن وقال :

– اذن .. هاتوا فتاة اخرى غير ماهاتاب ..!

– ولكن ذلك محال .. ليس هناك من الوقت ما ..

فقاطعه ماهاتان في حزم :

– لن تحرق ماهاتاب .. هذا امر الاله ..

ولم يتكلم الكاهن .. وانما تقدم يقود ماهاتان الى حجرة الذهب .

٧

« واشرق الصباح على ماهاتاب . كانت المحرقة هي الحلم الذي لم يفارق جفنيها خلال الليل .. لقد اخبرها ماهاتان انه سيذهب لقتل كومو ووعدها بالا تحرق .!. ولكن ها قد اشرقت الشمس ، ولما يحدث ما يبشر بتغيير .. فما زال الاعداد لاقامة الحفل يشغل اهل القرية .. ولم تسمع ضجيجا يشير الى ان كومو قد قتل ، بل انها لترى افراد القبيلة يسيرون نحو المعبد حاملين الاعشاب للمحرقة .!. اترى فشل ماهاتان ؟. أتراه قتل ..؟ انها لا تهاب المحرقة الآن .. بل انها لترحب بها .. فهو طريقها الوحيد الى الالتقاء بماهاتان بعد الموت .!.

واستسلمت ماهاتاب لمصيرها .. فلم تستشعر خوفاً واسى عندما سمعت ضجيج الطبول وصراخ الراقصين حول النار امام المعبد ، وعندما اقبل الموكب يقودها الى المحرقة لمح الكهنة على شفتيها بسمة .. فباركوها وهم يحسبونها فرحة بعودتها لابيها الاله مونا .

وبدأ الراقصون رقصتهم حول النار .. وارتفع قرع الطبول وصراخ الرجال ، ثم سكن كل شيء عندما ظهر صفان طويلان من الكهنة حول باب المعبد في يدهم المباخر ، ثم ظهر شبح مدثر ملثم شق الصفوف وهو يحمل عصا الكاهن الاعظم . وبدأت صلاة طويلة ، ولكن ماهاتاب لم تأبه لها ، فقد كانت تفكر في ماهاتان .. انه مات .. وستلتقي به بعد قليل .. ستتعانق روحاهما بعيداً عن شرور البشر وآثامهم .. ستخلصان الى الابد من مؤامرات الكاهن الاعظم كومو .. ذلك الشبح المدثر الملثم الذي يقف على رأس الكهنة ..

وانتهت الصلاة .. ورفع الكاهن يده .. فتقدم رجاله واججوها .. والقوا البخور في المباخر الضخمة .. فادركت ماهاتاب ان النهاية قد حلت .. واغمضت عينيها .. واستسلمت للكاهن الذي قيد يديها ثم قادها الى المحرقة . وعادت الطبول تدوى . والبخور ينطلق .. وارتفعت صلاة القربان من فم الكهنة ، ثم رفع الكاهن الاعظم يده ، فامتدت اربعة اذرع تجذب ماهاتاب الى المحرقة ..

ووقفت ماهاتاب على حافة النيران تستقبل مصيرها ، لم يكن امامها من الحياة الا لحظات قليلة فينبغي ان تودعها .. انها غير آسفة عليها حقاً ، فحياة خالية من ماهاتان لا يبكي عليها ، ولكن يجب ان تلقى على الدنيا نظرتها الاخيرة ،ولقدادارت رأسها الى الخلف تنظر الى الناس . هؤلاء اخوتها يشتركون في الرقص .. وها هو ابوها ينظر اليها من بعيد .. انها لتلمح في عينيه دمعة تريد ان تنحدر ، وهذا صف الكهنة الذين ارسلوها الى النيران .. وهذا كومو الذي اراد ماهاتان قتله فقتله هو ..

ورفع الكاهن الاعظم اللثام عن وجهه قليلا .. ولمحت ماهاتاب ملامح تعرفها جيداً .. ملامح كانت تبكي معها في الليل .. ولكنها رأتها الان جامدة متحجرة .. ولم تصدق عينيها ، ولكن اللثام ارتفع تماماً فلم يحمل لديها شكاً ولا ريبة ، فهوت الى النيران وهي تصرخ :

– ماهاتان ..!

ولكن صرختها ضاعت وسط ضجيج الطبول وصراخ الرجال .. »

***

وصمتت شهرزاد .. فرفع شهريار اليها عينين اضناهما الاسى وسأل :

– ثم ماذا ..؟

فابتسمت شهرزاد وقالت :

– لا شيء .. انتهت القصة ..!

فوقف شهريار مغضباً وهو يقول :

– انتهت ..؟ انها اذن قصة سخيفة.. ماذا حدث لماهاتان بعد ذلك ؟

فقالت شهرزاد وقد خالط صوتها قوة :

– حدث له ما ينبغي ان يحدث ، فقد اصبح صنماً ، وظل يقوم بما كان يقوم به كومو .. في كل يوم يحمل اليه ذهب .. وفي كل عام تتلقف النار عذراء .. حتى ..

فانتبه شهريار وسأل :

– حتى .. ؟!

– حتى جاء يوم رفضت فيه احدى العذارى ان تساق الى المحرقة .. فثارت في الكهنة .. وثارت معها فتيات القرية ،وايدهن الرجال في ذلك.. ثم قام الجميع الى (مونا) فحطموه .. والى ماهاتان وكهنته فعلقوهم في المشانق ..

ومضت الحياة في طريقها السوي ..!

القاهرة

عبد الرحمن فهمي
من الجمعية الادبية المصرية

مُناقشَات

الشعر الجاهلي في النقد

بقلم خالد طليمات

تترتب على الناقد الادبي مسؤولية كبرى ، تجاه ذاته والمجتمع حين يقوم الاثر الادبي . فهو يقوم بذلك مظاهر مجتمعه وملابساته وتناقضاته فيكون بذلك مرشدا ، مسؤولا .

والذي يعرفه الجميع ان الثقافة العالية الراقية شيء ضروري للناقد ، كي يستطيع ان يصدر حكمه بأمانة ودقة وصواب ، ولهذا نأخذ على الناقد ان يدرس موضوعاً ما ، دون ان يحيط بجوانبه كلها ، بخفاياه العميقة . فالغالب على حكمه – الذي يتمخض عن هذه الدراسة – ان يخرج مبتوراً لاهثاً ، ينقصه التماسك والمعقولية . من هنا ، يتخذ هذا الحكم مظهرا موضوعياً في نفس الناقد هو المسؤولية امام ذاته والمجتمع . ولعل الناقد يكون مخطئاً بحق ذاته والمجتمع حين يهزأ بهذه المسؤولية كلها او بعضها[1] ، فيهدم الاثار الادبية دون ادراك تفصيلي لهذه الاثار ، ويكون بهذه الصورة غير جدير بأن نسميه ناقداً .

والغالب على الناقد في هذا العصر – وناقد هذا الشعر العربي القديم خاصة – انه انسان القى عنه منذ امد ، لعله قريب جداً ، عفويته الانسانية وتقيده التقليدي بمفاهيم لا يدري حظها من الخطأ أو الصواب فوجد نفسه امام مفاهيم وافكار وقيم جديدة براقة زاهية ، وفي حالة من الوعي المضطرب يحاول ان يتلمس الافكار والقيم التي تدعم وجوده ، وتنفي عنها بعض ذاته التقليدية او جميع هذه الذات . وقد ينجح الانسان في تمثل هذه الافكار والقيم ، بعد معاناة واستقصاء ، وجعلها خميرة وجوده ، وافكاره التي تعبر عن هذا الوجود .

فالناقد ينهل من هذه القيم والافكار او الثقافة في آخر الامر . فاذا التفت الى واقعه الماضي او الحاضر ، والقى عليه نظرة سويعة ، هاله التناقض المريع بين اعتقاده العقلي – وواقعه الحي – وحين يحاول ان يفرض اعتقاداته على هذا الواقع – دون ان يدرسه دراسة كافية – تبرز المأساة بشكل احكام مبتورة خاطئة .

والنقاد يعرضون في هذه الايام لهذا الشعر العربي القديم ، يدرسونه ويقومونه ، ويضعونه موضعه من سلم التصنيف الفني . واذا لاحظنا ان اغلب هؤلاء النقاد قد مروا بالفترة التي عرضت لها ، عرفنا ، بعفوية وسهولة قيمة الاحكام التي يصدرونها ، وسنرى صحة هذه الحقيقة في اعتراضنا على الاستاذ عبد المحسن طه بدر .

لعلي بادىء الامر اشك في ان يكون الناقد قد درس الشعر العربي كما تكون الدراسة الاستقرائية المستقصية . وقد التزمت هذا الشك بشكل مضطرب حين قرأت مقاله الاول (الشعر العربي والتجربة الانسانية) ولكنني اقطع بذلك حين اراه يقول في مقاله (الادب والتجربة) ان الشعر العربي يصدع الرأس ، والشعر الذي يكون تأثيره هكذا في المعقول لا يمكن ان يدرس ويستقصى ، بدقة وتفكير .

ولعلي مؤمن بأن الناقد مثقف ثقافة غربية عظيمة ، وهو لذلك مؤمن بقيم الادب الغربي ومفاهيمه ، وهو لذلك يحاول ان يفرض هذه القيم على هذا الادب العربي ، دون ان يدرس هذا الادب دراسة وافية ، ومن هنا تنبع المأساة التي تتمثل في احكام خاطئة مبتورة تخلع عن الادب العربي القديم صفته الانسانية ، وتبرز في هيكل كلامي ... صاخب ... يصدع الرؤوس .

وانا لا ارى في اعتناقنا الآن ، للمفاهيم الادبية الحديثة امرا نكراً ، ولا ادعو مطلقاً الى نبذها بدعوى انها تنفتح عن مأساة . ولكنني انكر ان تفرض هذه المفاهيم والمقاييس النقدية على ذلك الادب او ذلك الشعر القديم .

الحياة هي التي تصنع الادب ، وكل ادب يخضع جذريا على الاقل لشروط حياتية معينة . فالأدب يستمد فعاليته الاولى من الحياة ويتمثلها ثم يفرزها بعد ذلك فعاليات مختلفة لها قيمة خاصة ، ولون خاص . ولكنها كلها تمتد من الفعالية الاجتماعية ، ولذلك يختلف الادب العربي عن الادب الفرنسي دائماً ، ولهذا السبب عينه تختلف مظاهر الادب في العصور العربية نفسها ، لان تغير الظروف الحياتية يستلزم بالضرورة تغيرالمفاهيم الادبية .

وهذا يعني ، طبعاً ان القيم الفكرية التي تسود عصرنا لا يمكن ان تفرض على عصور اخرى . لانها مختلفة كل الاختلاف او بعض الاختلاف . ان الشروط الحياتية التي خلقت هذه القيم الفكرية ، هي غير الشروط الحياتية التي خلقت هذه القيم الفكرية ، هي غير الشروط الحياتية التي صنعت قيما فكرية اخرى . واذن فليس من الحق في شيء ان انقد ذلك الادب القديم الذي صنعته فعالية ما ، بقيم العصر التي صنعتها فعالية الحياة الحاضرة .

والنقاد مغرمون جداً ، وكلفون جداً بأن يفرضوا على ذلك الشعر هذه القيم الحديثة . وهم يأتون بأولئك الشعراء الى هذا العصر الحديث ليحاسبوهم حساباً عسيرا ، عن خروجهم المشين عن الالتزام ، او عن تغافلهم الصريح عن واجب الشاعر .. او غير ذلك من الامور ، وليناقشوه في جد وصرامة في التزامه لمنهج يتنافى مع قيمهم الحديثة ، ومع حق الانسانية عليه .

وحين ندرك هذه الحقيقة – فعالية الادب من فعالية الحياة – نعلم بوضوح تام ان النقد انما ينبع من هذه الموضوعة ، وان المنهج النقدي ينبغي ان يخرج من هذا المبدأ . فالادب الجاهلي مثلا ينقد ، ويقيم بتجاوبه مع القيم والمفاهيم التي كانت سائدة في العصر الجاهلي نفسه ، وليس في هذا العصر . وتقدر قيمة الادب إذن حسب تجاوبه الايجابي او السلبي مع هذه القيم والمفاهيم . وانا اقول ذلك لانني اعلم ان ادبنا في مرحلته الحاضرة ، يمثل اتجاهاتنا الحياتية وقيمنا الفكرية ، وان هذا الادب يتجاوب مع هذه الاتجاهات وهذه القيم بشكل ايجابي او سلبي . واذن ينبغي ان انقده بهذه القيم نفسها ، وليس بتلك القيم الجاهلية او العباسية . ان الادب الفرنسي بلغ مرحلة من الوعي لم يبلغها الادب العربي فهو مختلف عن ادبنا كل الاختلاف ، واذن فقد اختلفت قيمة عن قيمنا ، ولا ينبغي ان ينقد هذا الادب بتلك الموضوعات الفرنسية ، او بغيرها من الموضوعات .

[1] راجع مقالي «الشعر العربي والتجربة الانسانية» «الادب والتجربة» لعبد المحسن طه بدر .

ويحدثنا الاستاذ بدر انه اعجب بهذه البطولة الانسانية المصورة في المواطن توم بين لهوارد فاست ، اعجب بهذه الخطوط الروائية العميقة المتزنة التي تصور مرحلة من مراحل الحياة الاميركية: فيها انسانية غير زائفة تمس شغاف القلوب ، ثم يلتفت الاستاذ، الى ادبنا المعاصر ، فلا يرى شيئاً او لا يكاد يرى شيئاً من هذا التصوير الحي لبطولة الانسان . وهنا يقسع الاستاذ نفسه – كما ارى – بتجريده الادب عن الشروط الحياتية ووضعه معزولا عن الواقع موضع بحث ونقد : واذا اعتبرنا هذه الشروط عرفنا ان الادب الاميركي بلغ مرحلة واعية لم يبلغها الادب العربي بعد ، لا لتقصير ذاتي . فالدلائل الواقعية تكاد تقودنا الى عكس هذا ، بل لان ظروفاً خاصة قد فرضت عليه هذا التخلف او هذا التقدم البطيء .

واذا قررنا ان الادب هو الحياة خرجنا بموضوعة اخرى هي ان النقد لا ينبغي ان يتناول الادب منفصلا عن الحياة وانما ينبغي ان ينقد الاثنان ككل ، كوحدة ، وانا اذن حين انقد الادب الجاهلي لا بد لي من ان ادرك بوضوح وعمق صلته المباشرة او غير المباشرة مع الحياة الجاهلية ، وان انقده كامتداد ضحل او عميق لهذه الحياة .

يظهر بوضوح من الكلام السابق اننا لا نوافق الكاتب الكريم على طريقته في النقد ، لان تقييم الشعر يجب ان ينبع من الظروف التي تحيط به او من القيم التي تجاوب معها ، ولا بد لي لكي انقد احكام الناقد في الشعر الجاهلي ، من ان ارسم خطوطاً واضحة للعصر الجاهلي – بمظاهره جميعها. ولكنني ارى ان المجال لا يتسع لمثل هذا الامر. واذن فلنستعض عن ذلك بأن نلاحظ اشياء قليلة ، منها ان الشعب في ذلك العصر منطو على ذاته ، محصور في نطاق ضيق ، محروم من الاتصال بالامم الاخرى ، ففعاليته تقتصر على النمو الذاتي ، غير متجاوبة مع الفعاليات الاخرى للامم الاخرى. وقد كانت ثقافة الشعب نتيجة ذلك ضيقة محدودة بهذا العامل وبعوامل اخرى تنبع من طبيعة الحياة الجاهلية نفسها، حياة الخشونة والجفاف ، وحياة الصحراء في آخر الامر .

ولا بد لي حين انقد هذا الشعر الجاهلي من ان الاحظ كل هذه العوامل التي احاطت به لكي اقدر مدى تجاوبه مع الحياة : وان أعرف بوضوح تام نفسية الشعب كله ، ونفسية الشاعر ايضاً . ولا بد من ملاحظة أمرين .

(١) ان الشعر الجاهلي لم يصلنا كاملاً ، بل ذهب منه شيء كثير .

(٢) ان الشعر الجاهلي تعرض لكثير من الدس والتشويه والنحل كما يعرف الجميع . ويخيل الي ان الناقد الكريم لم يبال مطلقاً بهذه العوامل الطبيعية في هذا الشعر ، وبالعوامل التاريخية في الشعر ذاته .

يأخذ الاستاذ بدر على الشاعر الجاهلي انه لم يتحرر تحرراً ذاتياً يستطيع معه التعبير عن مظاهر الصراع ... ونقد هذه المظاهر ، هذا التحرر الذي يسمح له بادراك الجوانب الخفية العميقة من الحياة . « فقد كان الشاعر الجاهلي منفعلا اكثر منه فاعلا » وكانت المثل الاجتماعية تقف حائلا بين الفرد وبين اكتشافه ذاته واكتشاف ذاتية الاحياء » وهذا ما حمل الشاعر على ان يتحدث عن الاشخاص الذين يمثلون قيماً اجتماعية ، قبل ان يتحدث عن الاشخاص الذين يمثلون قيماً انسانية .

والذي يفند هذه الاحكام ملاحظاتنا السابقة عن طبيعة العصر الجاهلي والعوامل التي كونت هذه الطبيعة ، ونقول – لكي نزيد الامر وضوحاً – ان الناقد الكريم ينسى ان الشاعر الجاهلي لا يتميز ثقافياً عن غيره من الناس ، الا بأنه حفظ من الشعر الموروث قدراً لم يحظ به الآخرون .

والناقد ينسى ان نفسية الشاعر الجاهلي لا تختلف عن نفسية الاخرين ، واذن فلم تكن قيمه الحياتية كلها تختلف عن قيمهم . والناقد يأخذ على الشاعر الجاهلي انه لم يتحرر ذاتياً ، ونحن نسأله بدورنا ، ما معنى التحرر الذاتي ! وكيف يكون ؟

الذي اعرفه ان التحرر يعني تكوين نفسية جديدة ، ذات مظاهر خاصة تتميز بها عن الآخرين . وبهذا يتاح لها ان تدرك الجوانب العميقة من الحياة ، وان تنقد مظاهرها . وتتكون هذه النفسية بتأثير عوامل تاتي اليها من خارج المحيط الاجتماعي للنفس . لنأخذ الفرد العربي المتحرر مثلا ، انه لا يتحرر بتأثير عوامل تأتي من مجتمعه بل بتأثير عوامل تنصب عليه من الخارج ، هي هذه القيم التي يكتشفها الفرد او تكشف له في ذات الآخرين . واذن فكيف يمكن للشاعر الجاهلي ان يتحرر هذا التحرر الذاتي وكيف يمكن له ان يعرف القيم الاخرى في امم مختلفة عن امته .

واذا كانت التجربة تعني إدراك الحياة ادراكاً حراً من تأثير المسلمات الاجتماعية ثم التعبير عن العمل من خارجه وبصورة مستقلة عنه وتكوين صورة انسانية متكاملة ، فانا اؤكد للناقد الكريم ان الشعر الجاهلي – في حدود العوامل التي ذكرناها – كان نتيجة تجربة ذاتية . والا فهل كانت عناوين للتجارب التي يعانيها الشاعر كهذه العناوين التي نقرأها في الصحف اليوم .. لقد عاش الشاعر الجاهلي في عصر الناقة والصحراء ، ولم يعش في عصر الطيارة والذرة وفي عصر الفلسفة الوجودية او المفاهيم الاشتراكية الشيوعية وغير هذه الامور . وانا اؤكد للاستاذ ان وصف الاطلال والناقة في الشعر الجاهلي ليس الا تجربة ذاتية يعبر عنها الشاعر كما تسمح له ثقافته ، وكما تسمح له ثقافة الآخرين . واؤكد له ان لامية الشنفرى ، ليست إعلاناً ولا بوق دعاية ، بل هي صورة انسانية متكاملة لرجل عاش في عصر رهيب جاف خشن ، فيها تعبير رائع عن عصر غريب ، وفيها نقد لهذا العصر ، كما ينبغي ان يكون التعبير والنقد من رجل هو اول الشعراء تقريباً .

ان شعر عنترة المعبر عن تجاربه الذاتية في المعارك والقتال ، هذا الشعر بتجاوبه الرائع مع نفسية الشاعر ونفسية المجموع ، خير من كثير من الشعر الذي نقرأه في هذه الايام ، الذي يعبر عن تجارب ضبابية . ولعله لا يعبر عن تجارب على الاطلاق . ان اي قصيدة في فلسطين مهما بلغت من القوة لا تصور لنا غير جزء ضئيل من الفاجعة لانه لا يتجاوب بشكل ايجابي مع النفس الجماعية ، وهذا الشعر الحالم الذي يصور بطولة مثالية خارقة بطولة شعبنا ، وقوته الخارقة ، هذا الشعر الذي لا يعبر عن تجربة لهو الشعر الذي يصدع الرأس والذوق .

الشاعر الجاهلي حتى في شعره القبلي يعبر عن تجربة ذاتية . وانا لا انكر مطلقاً انه كان لسان القبيلة ، وهو لسانها لانه مرتبط ذاتياً بالقبيلة كلها ، ان الشعور المشترك سابق على الشعور الفردي، ويظن ذلك بوضوح تام في مثل هذا النمط من الحياة . فالشاعر مرتبط بالشعور العام وهو حين يعبر عن التجربة التي تمر بها القبيلة ، انما يعبر عن تجربته الذاتية ايضاً ، لان التجربتين امر واحد، بل هو يعبر عن ذاته ووجهة نظره قبل ان يعبر عن ذات القبيلة ووجهة نظرها ، لان الشاعر يستقل في آخر الامر بلون ذاتي خاص يميزه عن القبيلة او عن الشعور المشترك، ولكن هذا اللون، او هذه الميزة ، شيء فرعي ، وليس جذرياً عميقاً .

ولهذه الاعتبارات عينها كان الشاعر الجاهلي منفعلاً اكثر منه فاعلا ، لا

لانه متأثر ، او مضطر بحكم مسلمات اجتماعية ، وكان منفعلا لان الشعور الفردي الناجم عن الشعور المشترك لا يمكن ان يثور عليه ، وان يؤثر به الا اذا اكتسب فعاليات خاصة تأتيه من خارج الشعور المشترك، تكسبه ميزات ذاتية، وهذا شيء لم يتيسر للشاعر الجاهلي.

واذن فالشاعر الجاهلي لم يكن لسان قبيلته فقط ، بل كان قبل كل شيء لسان ذاته ايضاً ، كان يعبر عن تجربته الخاصة ، المرتبطة جذرياً بالتجربة العامة مما يخيل الينا ان شعره صدى الشعور القبلي وليس ناجاً عن الشعور الذاتي وهذا خطأ بين .

واذا خففنا قليلا من غلوائنا في تحديد مفهوم التأثير والفعل ، ادركنا رغم كل العوامل السابقة ، ان الشاعر الجاهلي كان فاعلا ايضاً ، وان كنا نقرر انه بحكم هذه العوامل ، منفعل اكثر منه فاعلا ، ودليلنا على فعاليته وتأثيره ، هذا الاهتمام الكبير الذي يبديه الشعب الجاهلي نحو الشعر ونحو الشاعر بالذات ، واذا تصورنا هذا الاهتمام الشديد بصورة واضحة ، ادركنا مدى فعالية الشاعر في شعبه وتأثيره فيه . ونحن نقرأ - على سبيل المثال - شاعراً اكتسب فردية خاصة . وتميز بعض الشيء عن الشعورالعام، وذلك بنتيجة نمو ذاتي دافق وتأثير خارجي بسيط . هذا الشاعر هو زهير ، الذي عبر عن تجربته الذاتية التي مر بها وهي الحرب ، لقد تميزت نفسية زهير عن النفسية العامة التي عاصرته في تلك التجربة . ولا شك انه اثر بقومه تأثيراً كبيراً بقصائده التي تصف الحرب اي تعبر عن تجربة زهير .

والوصف الحسي لم يكن الا نتيجة تجربة ذاتية يعانيها الشاعر ، ونحن ننكر عليه هذا الوصف الغريب للمرأة والذي لا نعرفه في هذه الايام ، بل لعلنا نعرفه ، ولكن نظرة الشاعر الجاهلي الى المرأة لم تكن غريبة لديه قط ولا منكرة بل كان يراها طبيعية جداً ، ولعل اختلاف نظرة شعراء الجاهلية الى المرأة تدلنا على ان الشاعر الجاهلي كان يعبر عن تجربته الذاتية الخاصة . ولم يكن هذا الوصف الحي نتيجة للتقيد بمسلمة اجتماعية كما يقول الاستاذ : فحين نقرأ شعراً في احترام المرأة ، ثم نقرأ شعراً في الوصف الحسي ، فهذا دليل على ان هذا الشعر نتيجة تجربة ... وتجربة عارمة بالشعور ... واذا كان هذا الوصف الحسي يثير استنكارنا في هذه الايام لاعتبارات حضارية ، فان هذا الامر بالنسبة للشاعر الجاهلي طبيعي جداً ، نظرته الى المرأة لم تكن لتختلف عن نظرته الى الناقة . كانت جسداً فقط وليست روحا ، هكذا كان يراها وهكذا كان يعبر عنها ، واذا اردنا منه نحن الآن الثورة على هذا الوضع ، فهذا شيء لم يكن بامكانه ، لانه لم يعرف شيئا عن حقوق المرأة والانسانية والمساواة .

***

وبعد ، فانا ارى أني لم أقل كل ما اريد ، فلا يزال هناك مراحل طويلة وكثيفة من الشعر العربي ، لم اعرض لها ، ولكني أطلت على نفسي، وعلى القراء . وأترك هذه المهمة لوقت آخر ولكتاب آخرين ، ولن انسى بعد ذلك ان اسجل اعجابي ببحث الاستاذ(عبد المحسن طه بدر) وتقديري لجهوده ، واذا كان في نظري لا يخلو من خطأ، فاني من ناحية ثانية اعتقد ان الخطأ دائماً طريق الصواب .

حمص **خالد طليات**

الى الاستاذين العيسمي وبدر

بقلم عبد اللطيف شوارة

لم اكن اقصد « اللوم » ولا خطر ببالي شيء من هذا ، حين توجهت للاستاذ شبلي العيسمي بسؤالي عما دعاه الى الكتابة في موضوع الوحدة ، او الاتحاد العربي ، وهو يقرر سلفاً ان بحثه لا يزال يفتقر إلى جانب من الدقة والتركيز ! وانما كنت اتساءل ، في شيء من الحيرة ، وانا اخاطبه ، عن سر موقفه ، وهو الذي ادرك ما فيه من اضطراب ، قبل اي ناقد وأي قاريء ، إذ قلت : « إنه سبقنا جميعاً الى تقديم الرأي الصائب فيه ».

انا الآن اعتقد ان اخلاص الاستاذ العيسمي لفكرته ، هو الذي حمله على تجاوز معرفته ، وخاض في حديث الوحدة والاتحاد ، رغم ما فيه من دقة واشواك .

بيد اني اؤمن ان الاخلاص وحده ، وإن كان مبرراً عظيماً لكل عامل ، او مفكر ، لا يكفي على عظمته وسموه، لوضع امثال هذهالقضايا في موضعها الصحيح ، وتناولها بتوفيق ونجاح .

واذا كان لي ان اجيب الاستاذ العيسمي إلى « طلبه » بالمزيد من الكتابة حول الموضوع ، فعذري اليه عنالسكوت ، هو إعتقادي ان قضية الوحدة العربية ، او الاتحاد العربي « مشكلة سياسية » في الدرجة الاولى ، ولا سبيل الى الخوض فيها نظرياً ، وإنما يمكن « العمل » من أجلها ، على مستوى عال ، وفي محيط الحياة الدولية ، اكثر مما يصح بحثها كمشكلة فلسفية او ادبية او علمية .

ثم إن العمل السياسي في هذا الموضوع منوط بالتربية ، والتوجيه ، والتنظيم ، وتنسيق الجهود الداخلية في إطار كل دولة عربية ، اكثر مما هو منوط بالخطابات والمقالات والقصائد الرنانة وهذا ما يفصح عنه بشكل آخر كلام الاستاذ العيسمي نفسه حيث يقول :« إن الحاجة ماسة الى جيل عربي ، جديد ، منظم ، يتوفر فيه الوعي والايمان والشعور بالمسؤولية ، جيل يثق بنفسه ، ويؤمن بقدرة امته على التحرر ... »

يجب اولاً ان تسد هذه « الحاجة الماسة » ، ان يوجد هذا « الجيل العربي الجديد الواعي المؤمن » ليصبح التفكير في اشكال الوحدة المنشودة او الاتحاد الذي تطمئن اليه شعوب الدول العربية، وتسير نحوه حكوماتها بخطى صحيحة ، مستقيمة ، ثابتة . ومتى وجد اهتدى الى اشياء لا نستطيع ان نرسم لها الآن شكلا ولاحدا. اما واوضاعنا السياسية العامة كما يعرف الاستاذ العيسمي ، فالبحث في هذا الموضوع ، سابق لاوانه ، والعمل من اجله - كما حددته منذ هنيهة - اجدى وافضل .

ألا يوافقني الاستاذ على ذلك ؟ ألا يجد انني متفق معه في جوهر الموضوع ؟

وانتقل إلى محاورة الاستاذ عبد المحسن طه بدر حول مقالته « الشعر والتجربة الانسانية » . فاراه « مغاضباً » يحز في نفسه ان يجدني اقدم « نقداً يعتمد على القراءة السريعة الخاطفة » واني « لا افهم ما يقصده بالتجربة الانسانية » !

لا أدري كيف اقنعه اني قرأت مقالته بروية وامعان وتنبه - لا للمراء ! - قرأتها بجد قبل ان أنقدها ، فقد وجهت « الآداب » قراءها

نحوها ، وتحدثت عما فيها بكثير من الدقة وحين طلبت إلي نقد الابحاث ، كان في ذهن صديقنا الدكتور إدريس تلك المقالة بصورة خاصة.واما انني لم أفهم ما يقصده بالتجربة الانسانية ، فهذا ما قد يتضح عكسه حين الفت نظره الى النقاط التالية :

١ – يفترض الاستاذ بدر افتراضاً جبرياً انه « لا بد لذلك (لقيمة الشاعر) من وعي حقيقي حر يساعد الشاعر على اكتشاف ذاته وذوات الآخرين من حوله » ويتبع هذا الكلام بقوله ، بلا فاصل : « وإصرارنا على ان يكون هذا الوعي حقيقياً وحراً ، يرجع الى اننا لا نريد ان تتسلط على الشاعر فكرة او قيمة خاصة .. »

أنا اسأل لماذا « لا بد » ؟ ولماذا « الاصرار » ؟ وما علاقة « نريد » بالتجربة الحرة ؟ ولماذا ، وبأي منطق تجريبي نطالب الشاعر الجاهلي ان لا تتسلط عليه فكرة او قيمة خاصة ؟

هل يجوز ان نطالب الشاعر النروجي « إبسن » – وهو سيد الداعين الى الفردية ، والذاتية ، والتحررية في العصر الحديث – ان لا تتسلط

عليه فكرة او قيمة تطمس جانباً من جوانب الحياة من حوله ؟ وإذا حدث وتسلطت عليه فكرة « كل شيء او لا شيء! » التي ظهرت في مأساته الشهيرة « براند » مثلاً ، فما دخلنا نحن في « التجربة » التي ساقته الى مثل هذه الفكرة ؟ وكيف نصر على ان يكون وعي إبسن – دعك من امريء القيس ، وطرفة بن العبد ! – حقيقياً وحراً ، بينا كان وعيه نتيجة ضغط اجتماعي عاناه في بلاده ، وحمله على نفي نفسه الى ايطاليا ؟

هذه اسئلة تحتاج الى اجوبة اذا كان الاساس الذي بني عليه مقال الاستاذ بدر سليماً ، وقد قررت – واصر – انه غير سليم !

٢ – يقول الاستاذ بدر : « .. فمن ناحية قام ابو نواس وعصبته من المجان بمحاولة لتغيير المضمون الشعري ، وتحويل الشعر الى التعبير عن حياتهم الخاصة » .

أما أن أبا نواس « حاول تغيير المضمون الشعري » عن سابق وعي واصرار ، كما حاول اسطفان ملارمه المحاولة نفسها ، فهذا ما لا يقول به غير الاستاذ بدر ، فأبو نواس عندما جدد في الشعر ، لم يكن في الواقع هو المجدد ، وإنما كان كل شيء في حياة الشاعر قد تجـدد : من طراز المعيشة ، الى مظاهر الحضارة ، الى وسائل الثقافة ، إلى طرائق التعبير ، وكل ما في الامر ان ابا نواس « استجاب » لتلك التجديدات ، وكانت شخصيته نفسها تعبيراً عنها ، وشكلاً من أشكالها . ولم يفكر ابو نواس لحظة من اللحظات أن « يتفلسف » وأن يوجد مدرسة شعرية كما فعـل فيكتور هوغو عندما وضع قواعد الرومانطيقية الادبية في مقدمة مسرحيته « كرومويل » ، وكما يحاول الاستاطيقيون – وهم فلاسفة لا شعراء – اليوم أن يفعلوا !

٣ – يأخذ الاستاذ بدر على الشعر العربي « اتجاهه نحو المسلمات » . ويرجع هذا المأخذ إلى أن الكاتب (أي الاستاذ بدر) ألغى في بحثه ومن ذهنه « أثر العصر » في تكوين الافكار العامة ، ولو فطن إلى أن لكل عصر جوّه الفكري ، لوجد من الطبيعي نشوء تلك التيارات إن في النقد ، وإن في البحث ، وإن في الصنيع الفني ، وإن في الاتجاهات الذوقية والجمالية ، ورأى انها تتغير بين عصر وعصر .

٤ – الخلاف بيني وبين الاستاذ بدر في النظر لهذه القضية هو بالضبط انه يحاكم الشعراء الاقدمين والتجارب التي مروا بها وعبروا عنها ، وفق أصول مستحدثة ، وقواعد ذاتية ، بحيث يفصل الشـاعر عن عصره ، وبيئته ، وظروفه ، فصلاً مصطنعاً خالصاً في اصطناعه ، ويطلب اليه بعد ذلك ان يكون كما يريد له من تطور ، وصراع ، وتنبه للصراع ! وانا أواجه الواقع من زاويته ، دون أن أضيف عليه شيئاً ، أو أطلب اليه ما ليس فيه ، وما لا يمكن أن يعطيه .

٥ – هذا لا يعني أنني راض عن الشعر العربي كله ، قديمه وحديثه ، وأنني أجده مؤتلفا مع ما تقتضيه القيم التي أؤمن بها وأدعو اليها . ولكني لا أطلب في الوقت نفسه إلى زهـير بن أبي سلمى أن يكون فاليري ، ولا إلى الخنساء أن تكون السيدة غبريلا ميسترال ، او الآنسة نازك الملائكة !!

٦ – لا يمكن أن أجد في أبي نواس وعصبته « محاولة لتحويـل الشعر إلى التعبير عن حياتهم الخاصة » ولدي ديوان « الحماسة » و« المفضليات » وسائر الشعراء الغزليين من ابن أبي ربيعة ، الى العرجي ، الى ذي الرمة ، إلى جميل بثينة ، إلى كثير عزة ، إلى قيس ليلى ، إلى وضاح اليمن .. عن أي شيء كان يتحدث هؤلاء الشعراء – وكلهم سبق ابا نواس – إن لم

يكن عن حيواتهم الخاصة ؟!

هذه النقاط الست تريك ان « التقييم » الذي وضعه الاستاذ بدر للشعر العربي يخالف منطق الواقع من جهة ، ويلغي أثر العصر من جهة ثانية ، ويفرض « معايير » من عنده لا يصح فرضها على الشاعر قديماً كان أم حديثاً ...

وأنهي هذه المحاورة اخيراً بالاشارة إلى « خطأ جسيم » وقع فيه الاستاذ بدر ، ولم أتمكن من أن أشير اليه في نقدي له ، لضيق المجال ، وهو هذه النظريات التي نسجها حول كلمة « قبلة »في بيت الدكتور ناجي :

آه ياقبلة احلامي إذا شكت الاقدام اشواك الطريق .

فهو يحسبها « قُبلة » (بالضم) وهي في حقيقتها « قِبلة » بكسر القاف ، فاذا تأملت المعنى الآن انهار كل ما بناه الاستاذ بدر حول هذه القضية واصبح هباء منثوراً .. وصح بيت ناجي !

وتلك هي بالضبط غلطته الكبرى في كل ما كتب عن تقييم الشعر العربي .. انها غلطة في « الحركة » ضاع بها عليه المعنى والقياس والمعيار .. وله تحيتي من غير أسف !

عبد اللطيف شراره

تحيه ونقد ...

بقلم مطاع صفدي

« لا بد ان السيدة عائدة تحاول نقداً جدياً » هذا ما قالته لي زوجتي. وقد شعرت انها تثيرني ، وهي التي طالما ابدت لي حنقها على بعض الذين سبق ان نقدوا لي قصصي في « الآداب » وكان نقدهم يصدر اغلب الاحيان عن عدم اختصاص وبالتالي عن عدم شعور بالمسؤولية تجاه الاثر الادبي الخالص المعجون بدم كاتبه ، اللهم إلا صديقي الدكتور ادريس الذي نقد قصتي (معبد بوذا) نقداً وصفته له انه (علمي) ولكنه لم يرد ان يشارك في تجربة القصة وجدتها .

وها هي زوجته اليوم تعود لمواجهة قصة جديدة لي ، ولكن عن طريق مخالف لطريق زوجها الدكتور .. فهي ولا شك حاولت ان تتذوق القصة وان تشارك فيها ، وان تحدس بتجربتها التي خلقتها . وسواء شعرت بنفسها انها مقحمة في هذا الميدان ، او انها ستتعرض لحقد حاقد او انها اطرى من ان تجرح او تُجرح، فان زوجتي ، وانا معها ، نوجه لها تحية شكر واحترام ، ونود لو ان تعارفاً وجهياً قريباً يجمع بيننا بعد هذا التعارف المبارز الجميل .

لقد اعترفت زوجتي ان السيدة عائدة ليست غريبة اولا عن الميدان الذي قذفها اليه زوجها الاديب ، وانها تحس بشيء كثير من الصدق والصراحة فيما كتبته عني وعن قصتي تلك . حتى ان اعترافها ذاك جعلها تنسى اخيراً انها زوجتي فوقفت مع السيدة عائدة ، ووافقتها على عدة نقاط جاءت في النقد . ولا ادري هل حلو الحديث الذي وجهته لي السيدة عائدة في مطلع النقد هو الذي جعلها تكتسب الى صفها زوجتي ، ام هو التحزب الانثوي الفطري ، ام هو الاعجاب برشاقة عائدة الكتابية ؟!

على كل حال لم تعد زوجتي الى جانبي ، وهذا انتصار آخر للسيدة عائدة . قالت زوجتي ان امر الغموض والالتباس في القصة شيء واضح ولكن (الالتباس) وليس الغموض هو الواقع في مسألة استدعاء الراقصة الفرنسية . والغموض هو الذي يجعل القاريء يتعب في قراءتي ، ليس في هذه القصة وحدها بل في كل ما اكتب تقريباً ، ما نشر منه وما لم ينشر .

ولعل زوجتي ربيمة ، قد افرحها انها وجدت من يشاركها موقفها القاسي من مشكلة الغموض في كتابتي . ولربما كانت اخف قوة لو لم تشاركها اديبة كالسيدة عائدة .

غير اني قد اوفق الى كسب السيدة عائدة الى صفي ، كما استطعت ذلك اخيراً بالنسبة لربيمة ، بعد ان ابديت لها حجتي فيما يتعلق بالغموض.

واقول الآن انني لا اعترف بكلمة (غموض) كصفة لكتابتي واستعيض عنها بكلمة (صعوبة) ، وهذا مرده الى طريقتي الخاصة التي اعالج فيها موضوعات كتابتي . ويمكنني الآن ان اوجز هذه الطريقة – وان كان ذلك يحتاج الى مقال – ايجازاً يحدد الخطوط الكبرى فقط دون الدخول في التفاصيل .

والواقع انني اكتب من داخل ان صح التعبير . فالبعد الثالث هو ما ابحث عنه في قصة وفي شعر وفي نثر . وهذا البعد هو بعرفي اتجاه الوعي نحو الذات الخالقة . فالعالم ، والشيء في العالم ، والشخص الآخر والتقاء الآخر بالآخر ، وكل ما يسمى واقعة او حادثة تصل الى حد المقصدة انما هو على مستوى النفس المتأملة لحياتها ، هذه الحياة التي لا يمكن القبض عليها الا في حدس اجمالي داخلي ، يصب اشمنه كوحدة ، على الموضوع كوحدة او هو تمكسه حياً ، الذات المبدعة لمادة التعبير وشكله (اسلوبه) .

فأنا اذ أكتب لا اسرد بل اكشف . وما اكشفه احب ان يبقى على اصالته دون ان يغير منه النور الكاشف . وتلك عملية صعبة على الكاتب ، صعبة على القاريء . فالكاتب يحتاج الى الابقاء على توتره الذاتي اطول وقت ممكن ليتصيد لونيات المادة المبدعة ورموزها ، وايقاعها الوجودي في نفسه وعلى وتر ذوقه . وكذلك القاريء عليه ان يرفع من توتره المنفعل الى درجة ان يقلبه الى توتر فاعل يتجسد الحركة المبدعة للاثر ، التي كانت هي نفسها للمنتج . واذا قلت ان (البعد الثالث) – وهو هدفي مما اكتب كما بينت – هو بعد إنساني ذاتي خالص ، مما لا تطوله النظرة العلمية ، او استطاعة القانون على التحديد والتعيين الواضح ، فانني اود ان الفت النظر الى طبيعته المظللة ، وهي طبيعة كل عمق،السديمية الحدود البعيدة عن التخثر الشيئي المحدود ، الطافرة ، العفوية ، المنسابة الى ما لا نهاية ، مما لا يمكن ابداً من هندسة الاثر المعبر عنها وتعقيده . فاذا كانت مهمة العلم هي التفسير ، تعقيل الحوادث الطبيعية ضمن منظومة القانون الرياضي ، فالادب ، أو أدبي انا بالاحرى ، لن يتعدى حدود الكشف .. هذا الذي يريد ان يريك الليل دون ان ينيره ، دون ان يغير من طبيعته [1].

واعود الآن لارد على نقطتين وردتا في نقد السيدة عائدة لقصة (دقت الساعة منتصف الليل) . اولا قالت السيدة ان هناك شبهاً او (تقليداً) في استخدامي للشخصيتين معاً (شخصية الراقصة الافرنسية الحاضرة وشخصية الراقصة الاسبانية الماضية) لقصة (سالي) للدكتور

[1] ارجو ان اوفق قريباً الى عرض نظرتي هذه للادب ، او لقصة خاصة ، في مقال شامل.

عجيلي . والحقيقة ان هذا التشابه غير مقصود اذ ان مثل هذه الطريقة في العرض القصصي امر شائع في كثير من القصص، اوليست هي وقفاً على كاتب دون آخر ، كالطريقة التي تستخدم التداعي او التراجع او غيرها من الاساليب العامة .

والنقطة الثانية هي ان السيدة عائدة قد جزأت القصة الى بطلين : نعتت الاول بالعفوية والصدق ورمت الثاني بالاختلاق والاصطناع . وضعت الشاب في مكانه من الجيل العربي الحاضر ، ورأت في الراقصة الاسبانية شخصية تمثل فكرة اكثر منها شخصية حية . والواقع ان القصة اولاً تعبر عن وحدة . ويكاد يكون الشاب سديمياً لولا ان كفلت له مثل هذه التجربة الواقعية نوعاً اول من التشكل والتحديد . فالشاب هنا رجل مناضل بعقيدته ، مناضل بفنه . ولكن ككل الشباب الطليعيين ، يعاني في صميمه ازمة التأصل في التربة التي زرع نفسه فيها،فهو لم يتشكل بعد نهائياً . كما ان تشكله حتى الآن لم يثبت الثبات كله . فالقلق طابع حياته وحوادثه وكان التقاؤه بـ (ماريانا) الراقصة الاسبانية عن طريق الصدفة نوعاً من تقابل النقيضين . وهنا لا بد من الاشارة الى ان السيدة عائدة قد اساءت فهم هذه النقطة الى ابعد حد ، حتى ظنت انني اخلق من الراقصة بطلة انسانية تتكلم باسم الوجدان الانساني ، فنظرت اليها من هذه الوجهة دائماً ، مما دعاها الى الاعتقاد انني نسبتها الى العرب ، بينما لو امعنت السيدة عائدة في شخصية هذه الانسانة لرأت فيها الاوروبية ذات الحلم الشرقي الرومانسي ، التي تداعب خيالها صور العرب وبطولاتهم . كما ان الناقدة ظنت انني جعلت انتصارها للعرب سبباً لترك زوجها عالم الآثار . والواقع ان شخصية هذه الفتاة تكاد تكون عكس ما يبدو للقارىء من الوهلة الاولى ، فليست هي الا راقصة عابثة تسرد حياتها بشكل غير مترابط لتجعل لذاتها قصة ما . غير ان فضيلتها الوحيدة هي انها تفعل ما تصمم عليه سواء كان تصميمها نزوة او تعقلاً . على عكس شابنا العربي الذي لا يعرف بعد هويته وبالتالي لا يعلم كيف يباشر الفعل المسؤول حقاً .

ولقد التحمت هنا لوحتان : الاولى تصور فكرة الغرب عن الشرق وهي التي لخصتها بكامة المتحف ، والتي مثلتها، كنوع من الحلم الرومانسي، ماريانا . والاخرى وهي تضم ايضاً متحفاً ، ولكن هنا لون آخر ،وهو البعث الذي يدب شيئاً فشيئاً في اصنام المتحف ، ويحس بمسؤوليته الى اقصى حد :شاب معقد مرتبك تكاد تقتله وحدته وكونه غير مفهوم . فالراقصة ، على تفاهة دورها في الحياة ، تقوم بنوع من السياحة في متحف الشرق ، وهي تفعل ذلك بناء على قرار عبثي وضعته نصب اعينها : ان تزور الشرق ، على طريقتها الساذجة تلك . وهي كذلك على تفاهة شخصيتها بحسب المقياس المطلق ، تكاد تبدو اكثر تماسكاً ووحدة من شخصية هذا العربي الضائع . افلا ينبغي ان نصور شبابنا كما هم ؟ وكيف يمكننا ذلك إن لم ندخلهم في تجارب جذرية تتطلب واقعية الى ابعدحدحتى في الضياع ، فنكشفهم امام اعين حقيقية . ان شبابنا اليوم بدون واقع ،لانه بدون حادثة ،وبدون حادثة لانه بدون تجربة. واعني بالتجربة تلك البوتقة التي تفجر إمكانيات موجودنا العربي .. فتكشف عن زيفه او اصالته . وقبل ان نجد الاصالة علينا ان نحطم تماثيل الشمع ..

لقد احتقرت هذا الشاب بمين الراقصة ، ولا بد ان نحتقر كثيراً ، وان نقلق ، وان نشتم ، وان نحطم ، حتى يحطم فأسنا على مادة اصيلة ، ومشروع موجود حقيقي ..

سيدتي ! هذه الراقصة اساسية في قصتي تلك ، الى درجة انها موجودة فعلاً ، اكثر من وجود ذلك العربي الفنان ، الذي لم يعرف بعد معنى وحدته ..

دمشق

مطاع صفدي

حول قصيدة «المغرب العربي»

بقلم ناجي علوش

قرأت تعليق الاستاذ عبد الصبور على قصيدة الشاعر بدر شاكر السياب (في المغرب العربي) فلم أر فيه الا حكماً فجاً مبتسراً لا يستجلي آفاق القصيدة الواسعة ولا يلمح منها إلا صوراً غامضة يريد ان يمثلها بما توحي اليه به حيرته أمامها . إنه كالمكب في الصحراء الذي يحسب السراب ماء او كالخائف الذي يظله الظلام فيتصور الاشباح والخيالات والكائنات الجامدة لصوصاً أو غير ذلك .

والاستاذ عبد الصبور لم يتبع التسلسل العاطفي في القصيدة ولا الترابط المنطقي ولم يكشف عن مزاياها الفنية وانما بحث في الاتجاه والوزن مجردين عن الصلة الفنية . وسنرى فيما بعد ان بحثه في هذين الامرين كان ايضاً نظرات حاسرة حائرة تحتاج إلى العمق والتدليل .

زعم الاستاذ ان اتجاه الشاعر في هذه القصيدة إسلامي ودلل على ذلك بأشياء تثبت عكس رأيه . كأبرهة والاحباش وغيرها ، ثم قال ما معناه ان مجرد نظرة بسيطة تكفي لتثبت لنا أن الحرب في المغرب ليست دينية بـل انها أعمق من ذلك .

أجل ... إن الحرب في الجزائر ليست دينية ... هذا ما اؤمن بـه ، وهذا أيضاً ما لا نستطيع إلا أن نراه في القصيدة بوضوح وجلاء . فلئن ذكرت كلمة محمد وكلمة الله وكلمة العرب ، أو كلمة (ذي قـار) و (أبرهة) و (الاحباش) ، ايكون من الالزام علينا ان نعتبرها إسلامية ؟ إنني ارى الاستاذ قد أخطأ هنا اخطاء عدة :

اولها : انه ذكر كلمات يستشهد بها مثل الاحبـاش وغير ذلك ولم يذكر كلمات اخرى مثل (يافا) وفي (جبال الريف) و (إلهنـا العربي والانصار) و (ان إلهنا فينا) و (ذو قار) و (إله آبائي من العرب) وغيرها من الكلمات ذات الدلالات .

ثانيها : انه لم ير في كلمات (محمد) و (الله) وغيرها الا وجهها الديني .

ثالثها : انه نسي ان بعض الحوادث كانت قبل الاسلام مثل غزوة الاحباش وواقعة (ذي قار) .

إذا عرفنا هذا ، وإذا عرفنا ان كلمات محمد والله و (عربي) لها شأن في التاريخ العربي أي شأن ، واذا عرفنا أن التـاريخ العربي هو غير التاريخ الاسـلامي ، واذا عرفنا أن جميع الحوادث التي استشهد بها الشاعر قومية مثل (ذو قار) وغزوة الاحباش ، والحروب الصليبية .. (من يستطيع ان ينكر ان الحروب الصليبية كانت قومية بالنسبة للعرب وان استرعت نظر المسلمين قاطبة ؟ وكيف لا يدافع المسلمون عن مادة الاسلام وهم العرب ؟) اقول اذا عرفنا كل هذه الاشياء ، عرفنـا ان نظرة الاستاذ لم تكن الا حاسرة حائرة . ان الشخصية العربية التي تستطيع ان تقول : ان الحوادث المذكورة قد كونتها هي هي التي اصبحت جامدة أصبحت (كمئذنة معفرة كمقبرة كمجد زال) وهي هي التي كان محمد يزهو في أعاليها فاضحى (ويركله الغزاة بلا حذاء - بلا قدم - فتنزف منه دون دم - جراح دونما ألم) أجل ان محمداً كان كل العرب ، ولكننا اليوم قد نسيناه . اننا اليوم يصح ان يقال لنا (ومتنا فيه من موتى ومن احياء - وهذا قبرنا انقاض مقبرة معفرة - عليها يكتب اسم محمد والله - على كسر مبعثرة) - ان محمداً كان حياة وعزة ، وكان اسمه مجداً وخلوداً ، ولكنه اليوم - ليس غير اسم ، ليس غير كبرياء جامدة مسمرة محطمة لا روح فيها .

فالمقطع الاول يتحدث باسم الانا العربية ، وليس من الغريب ان تذكر محمد ، ويذكر الله ، فهذه هي الكلمات من اسس التاريخ العربي . ومحمد هنا ليس الا البطل العربي القومي . ومما يدل دلالة قاطعة على ان اتجاه القصيدة قومي وليس دينياً ما يلي : وكان (الهنا) يختال ١ - بين عصائب الابطال . - اله (الكعبة) الجبار - تدرع امس في (ذي قار) - اله (محمـد) واله (آبائي من العرب) - تراءى في (جبال الريف) يحمل راية الثوار - وفي (يافا) رآه القوم يبكي في بقايا دار)

ثم : وهب (محمد) واله (العربي) والانصار - (ان (الهنـا) فينا) . أيمكن ان يكون هذا الشعر الا تعبيراً عن حقيقة خالدة عن القومية ؟ وهل هنالك شيء اكثر قومية من قوله (الهنا العربي) واله (آبائي من العرب) ؟

ثم ان الحرب في الجزائر اليوم او في المغرب وان كنت لا اعتبرها صليبية الا انها قريبة من ذلك ... انها حرب شخصية تريد ان تستوعب شخصية اخرى ، ومن هنا تماثلت الحرب العـدوانية في المغرب العربي مع الحروب الصليبية العدوانية . وليس معنى هذا ان ليس هنـالك دوافع اقتصادية بل معناه إن فرنسا ذات الشخصية المعروفة تريد ان تمتص عروبة المغرب ... وهنا يجب ان لا ننسى العلاقة بين محمد والعرب والفرنسيس والمسيح . وهو وان ذكر فرنسا والحروب الصليبية فلأن فرنسا كانت بطلة تلك المسرحية الدامية التي تقشعر لها الانسانية .

١ ما هو بين قوسين يدل على شيء يحمل الطابع القومي

بعد هذا يصف الشاعر النداء ، نداء جدوده في تلك الربى ، متمرداً على الاغلال.وبعد ان يذكر الحروب الصليبية ، يعود ليربط بين ماضيه وحاضره ، بينه وبين ارضه : يقول : – « قرأت اسمي عـلى صخره – وبين اسمين في الصحراء – تنفس عالم الاحياء – ومن آجرة حمراء ماثلة على حفره – أضاء ملامح الارض – بلا ومض – دم فيها فسماها – لتأخذ منه معناها – لاعرف انها ارضي – لاعرف انها بعضي – لاعرف انها ماضي لا احياه لولاها – واني ميت لولاه ... امشي بين موتاها »

ان مثل هذا الربط بين الماضي والحاضر والارض هو ما تحتاج اليه كل حركة قومية ولا تحتاج اليه الحركات الدينية ، بينما ترتبط الحركات الدينية بشيء واحد هو تعاليمها غير آبهة بالمكان والزمان .

اماما ذكره الشاعر من ان الله باق في قرانا – والله هنا هو ذلك الذي دعانا اليه محمد – فليس معناه غير ان ارتباطنا بالله ، وان وداعتنا التي تمليها ذلك الارتباط هي الذي جرت البلاء علينا وفي هـذا ما فيه . فهو يريد ان نقول اننا حافظنا على الهنا – وهو هنا يتكلم عن العرب – بينما أضاع الفرنسيس الههم فهل في ذلك شيء غير قومي ؟..!

اما ناحيه الوزن فهنالك اخطاء كثيرة ... هنـالك خلط بين البحر الوافر والهزج ، ثم هنالك ابيات ليست قريبة من البحرين ، وهنـالك بعض الابيات المتصلة التي اذا وضعت الحركة على قافية البيت الاول صح الوزن ، وان سكنت كما تتطلب القافية لم يستقم الوزن . مثال ذلك

(وكالزلزال – هز النـير او فاسحقه واسحقنا مع النير) ... ومثل هذا كثير .

وقد ذكر الاستاذ قائمة من الابيات التي لا يعرف وزناً لها .. اما اولها فلا وزن له .. بينما للباقي أوزان مختلفة ، فالثاني من الهزج والثالث والرابع والخامس والسادس من الوافر (مفاعلتن مفـاعلتن فعولن) والسابع من الرجز وكذلك الثامن. اما التاسع فهو من الوافر وامـا العاشر فهو من الرجز ، مع تفاوت عدد التفاعيل في بعضها واتفاقه في بعضها الآخر .

والوزن ينسجم مع المعنى في مقاطعها ولا سيما المقطع الذي يبتديء

« وكان يطوف من جدي

مع المد

هتاف يملأ الشطآن الخ »

و (قرأت على صخره

وبين اسمين في الصحراء الخ)

ولا يشينه الا بعض النشاز وبعض الانتقال من الهزج الى الرجز او الى صف كلمات لا وزن لها مثل (ان يرى ظلاله على الرمال) .

هذا لا يهمنا بمقدار ما يهمنا ما في القصيدة من ابـداع ومن حيوية تجعلك تقرأها مراراً وتكراراً بنهم ولذة..على الرغم مما فيها من الاخطاء الفنية واللغوية التي لا تغض من قيمتها ... والتي لست بصدد اثباتها

ثم قد يكون – وهذا اعتقادي الراسخ – ان عدم ايمـان الناقد بالعروبة وهذا ما صرح به على صفحات هذه المجلة الغراء هو الذي حداه الى اعتبار اتجاه هذه القصيدة اسلامياً وهو وهم انزلق فيه هو واصدقاؤه كثيراً .. وهذا الانزلاق هو الذي جعله لا يبصر من القصيدة الا اشباحاً غامضة وخيالات عابرة .

بيرزيت – (الاردن) **ناجي علوش**

رابطة القلم الحر



القصص

بقلم يوسف الشاروني

« رجل يطلب عملا » للقصصي التركي صنع الله اريسوي

يرى البعض انه لا يحق لقصصي او شاعر ان يقف موقف الناقد ، ذلك لانه لن يستطيع ان يتخذ ذلك الموقف الموضوعي الذي يجب ان يتخذه الناقد ، بل هو يحاول ان يفرض مذهبه واسلوبه فيما يصدره من احكام .

ولقد شعرت بهذا الحرج وانا اقرأ قصة «رجل يطلب عملا» فقد تحيزت للقصة في الحال . تحيزت لها من ناحية المضمون ، فهي قصة رجل يطلب عملا ككاتب على الآلة الكاتبة ، وقد كلف رئيس الكتاب بأن يختبره . والقصة تجري بضمير المتكلم . والمتكلم هو رئيس الكتاب الذي يقول « ومديرنا لم يهمه امر الرجل كثيراً ، فاحاله الى معاونه الذي اراد مني ان اداري الامر » .

ورئيس الكتاب يختبر الرجل ويستعيد في الوقت نفسه تجربته الشخصية عندما كان ذات يوم في موقف مثل موقف هذا الرجل العاطل ، ويعقد المقارنة تلو المقارنة بين موقفه الماضي وموقف الرجل العاطل امامه ، وهكذا نجد انفسنا امام ذلك التركيب الفني الرائع الذي يعطينا قصتين في قصة ونغمتين في قطعة موسيقية واحدة . فالمقارنة تعقد بين رجل في الاربعين من عمره له اطفال ينتظرونه كل ليلة وفي يده القوت لهم ، وشاب في السابعة عشرة توفي ابوه فاضطر الى الخروج من المدرسة الثانوية ليعول اخوته الصغار . فالقصة واحدة .. واللحن واحد .. لكنه يعزف على طبقتين موسيقيتين مختلفتين . وتتداخل الطبقتان حينا وتتباعدان حينا لتكونا كلا منسجماً يؤكد المعنى العام .

وفي الآداب القديمة كان الحلم يتكرر مرتين اذا كان يحمل نبوءة صادقة ، وكان كل حلم يختلف عن الآخر في الشكل ولكن يتفق في المضمون . ففرعون يرى في الحلم سبع بقرات عجاف تأكل سبعاً سماناً ، ثم يعود يحلم بسبع سنابل رقيقة تأكل سبع سنابل ممتلئة . وكان تكرار الحلم — الذي اتفق في المضمون واختلف في الشكل — تأكيداً لمعناه .

ومنذ اسابيع ظهرت مجموعة بعنوان «الوان من القصص المصرية» كان من بينها قصة لي بعنوان «آخر العنقود» وهي قصة اسرة جاءت تشهد اصغر اطفالها يشترك في تمثيلية مدرسية ، واثناء التمثيلية كان الوالدان يتذكران كيف حاولا منع مجيء هذا الطفل الى العالم لكثرة ما لديهما من اولاد ، وكانت القصتان — قصة محاولة مجيء الطفل وقصة المسرحية التي تمثل — تتداخلان من حين لآخر لتكونا مضموناً واحداً في النهاية .. ولكن الاستاذ محمود امين العالم كتب يقول (ان هذه القصة بلغت من التماسك مبلغ الآلية والصنعة) وانا اتصوره ينتقد قصة صنع الله اريسوي فيقول ما قاله عن «آخر العنقود» بعد تغيير الشخصيات « ان هذا التوازن الكامل بين ما يجري في ذهن رئيس الكتاب وما يجري امامه ، يكشف عن لباقة ودقة وقدرة فائقة على ربط عناصر القصة وتوثيق عرى هيكلها العام ولكن الى حد الالية والصنعة . وهذا ما يفقد القصة الاحساس بالصدق والطلاقة والحيوية في جانب كبير منها . »

ان مثل هذا النقد يفقد قدرته على اكتشاف الجانب الموسيقي في العمل الفني ، وهو جانب لا يؤدى هنا لذاته بل لارتباطه اشد الارتباط بتأكيد المضمون وبالالتحام الذي تنتهي به قصة «رجل يطلب عملا» حين يقول رئيس الكتبة « احضر غداً .. وما يتبقى بعد ذلك فامره يسير » .

لهذا قلت اني تحيزت لهذه القصة ، ولهذا فاني احيي مترجمها .

« كفن حمود » للدكتور عبد السلام العجيلي

اما القصص الثلاث الاخرى فلست ادري هل من قبيل الصدفة ام من ترتيب التحرير ان تتصل كلها بمأساة فلسطين . واذا كان الادب هو التعبير عن اللاشعور الجماعي ، فاننا نستطيع ان ندرك الى اي حد بلغت مأساة فلسطين في النفسية العربية . والشعر دائماً هو اسبق الفنون الادبية الى تسجيل الهزات والمآسي الاجتماعية التي تمر بالشعوب ، لانه اقربها الى التعبير الذاتي . لهذا كان الشعر العربي هو اسبق الفنون الى تسجيل مأساة فلسطين .

وها نحن نرى المأساة تصبح اكثر تغلغلا فتصل الى القصة القصيرة ، وليس بعيداً ذلك اليوم الذي نرى فيه الرواية الطويلة تؤلف حول هذه المأساة . ومعنى هذا ان المسألة الفلسطينية اصبحت من الشعوب العربية بمثابة الصدمة التي يصاب بها الطفل في صغره فتملأ عقله الباطن وتصبح موضوع احلامه وهواجسه .

ولكن الصدمة الشخصية غير الصدمة الجماعية ، والحلم غير العمل الفني : ولهذا فاننا نجد ان الاشارة الى طريق الامل هو دائماً في نهاية اكثر هذه الاعمال الفنية — كما هو الامر في القصص الثلاث التي اتحدث عنها ، ولو ان هذه النهايات تقحم اقحاماً على العمل الفني في بعض الحالات بدلاً من ان تخرج

من طبيعة صياغته ، فيبدو الاصطناع والتكلف وكأنما الكاتب غير مقتنع بما يقول .

ولعل التعبير عن الانتصار النهائي هو تعبير عن مرحلة القوة التي بدأت الشعوب العربية تمر بها الآن بعد ان افاقت من هول الصدمة .

والقصة الاولى هي قصة « كفن حمود » بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي ، ولقد قرأت للدكتور عبد السلام قصة « الكأس » في مجلة « الاديب » عدد ابريل ايضاً ، وطالما قرأت له من قبل ، وطالما كانت لدي كلمات اود ان اقولها له أكثرها اعجاب بما يكتب ، وما تزال رائعته « سالي » ماثلة في الذهن ، وقد سبقتني السيدة عائدة مطرجي فاشادت بها في تعليقها على القصص بعدد « الآداب » الماضي .

ولا شك ان قصة « كفن حمود » هي قصة تستمد من الهزيمة انتصاراً ، هي تعبير عن المرحلتين اللتين قلت ان الشعوب العربية مرت بها حتى الآن ازاء مأساة فلسطين ، مرحلة الهزيمة ثم مرحلة الامل .

هي قصة تبدأ يوم صرع حمود في المعركة بغير ان يحويه قبر ولا كفن ، لان رفاقه طردوا بعد ان لقي حمود مصرعه من الارض التي كانوا يحتلونها .. وتنتهي القصة بالامل الذي بدأ ينبعث من جديد « لتنم عمتي نجمة هادئة البال ، ان ذلك الثوب ، كفن حمود ، لا بد ان يحمل الى حمود . » وبين المأساة والامل يقف ايمان العمة نجمة ، ولولا هذا الايمان البسيط الساذج القوي الذي تغذيه قوى الامومة لانقطع الخيط بين المأساة والامل « حين فشل القادة ويئس الساسة وتآمر الزعماء وثبطت همم المتحمسين ، لم تفقد عمتي نجمة الايمان ولا أضاعت الثقة في ان طريق فلسطين ستفتح .. في تلك الاثناء تحدث الناس واكثروا عن اسبوع التسلح » . وبين المأساة واسبوع التسلح امتد ايمان العمة نجمة سبعة اعوام وثمانية اشهر .

وقد استطاع الدكتور العجيلي أن يجعلنا نحس بتعاطف مع هذه العمة القليلة التأثر بما يؤنس الناس ، الجلدة الصبور ، والتي تكرس حياتها من أجل قضية حمود ، فهي تشتري الكفن من تاجر بالحجاز وتحتفظ به حتى يكفن به ابنها وعندما اعطته للجنة التسليح نامت ولم تعد تستفيق في انصاف الليالي .

وبهذا جمع لنا المؤلف بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، بين امل العمه نجمه ان تكفن ابنها وبين امل العرب في الرجوع الى فلسطين . وهكذا اصبح للحدث الشخصي دلالة اجتماعية ، فارتفعت القصة عن ان تكون مجرد حدث فردي واتسع نطاقها بحيث اصبحت لها دلالتها الاجتماعية ، فالكفن اشترته العمه نجمه لحمود لكنها اعطته لاعضاء اسبوع التسلح ، ويمكن ان يكفن به اي بطل شهيد في المعركة المقبلة .

ولولا تدخل المؤلف في آخر القصة بتأملاته وحيرته لما كان هناك عنصر دخيل على القصة ، ولكان تشبث العمة نجمة وصبرها وجلدها على ان يحمل الكفن الى عظام ابنها المبعثرة ، كافياً لان يوحي الى القاريء بما يحمل هذا المعنى من دلالة .

« الدبابة » بقلم م . س . ش . الساردي

وتتصل قصة الدبابة بدورها بمأساة فلسطين ، ومرة اخرى نجد الحدث العام مرتبطاً بالحدث الخاص ، فبدلا من العمة نجمة وابنها حمود الذي لقي مصرعه في ارض المعركة ، نجد العامل سعيد وسيارته اللوري التي استولت عليها السلطات في فلسطين وقت الاضراب الكبير عام ١٩٣٧ .

ومرة اخرى يرينا الكاتب باسلوب لا يخلو من البراعة - ان المصلحة الشخصية والمصلحة الوطنية لا تفترقان . فالكاتب يقدم لنا بطله في اول القصة على انه « لم يكن يدلي برأي ، لانه لا رأي عنده ، لا يفكر الا في سيارته وعمله وامرته » وهذه السيارة التي لا يفكر الا فيها ، هي التي تحمله على ان يتخذ له موقفاً في تلك المسائل التي لم يكن يدلي فيها برأي ، بل ان الامر تجاوز الرأي الى الفعل .

فمنذ ساد الاضراب فكر ان يبيع سيارته ، وكانت هذه اول صلة للحدث العام بالمصلحة الشخصية ، ولكن زوجته اعترضت على ذلك لان السيارة هي رأس ماله الوحيد . وبعد ذلك جلبت السلطات آلاف الجنود لتقضي على الثائرين ووضعت يدها على كل سيارة تعلم بوجودها لتحمل الجنود ، فنزلت اسعار السيارات وتمنى سعيد لو انه باع سيارته من قبل ولم يسمع نصح زوجته ، وهنا نرى الكاتب مخلصاً لشخصية بطله فلا يضفي عليها ما ليس فيها . فالعامل ما يزال يفكر في مصلحته الشخصيه ، وفجأة يقبل رجال البوليس ويجبرون العامل على اخراج سيارته ليسوقها بعد ان امتلأت بهم الى حيث يختبيء بعض الثائرين .

وبدأ السائق يفكر في نفسه ، وكان تفكيره في نفسه في هذه اللحظه معناه تفكيره في بني قومه ، فقد ارتبط العنصران معاً ، فهو يخشى اولا ان يصاب برصاصه اثناء المعركة ، ثم يتمنى ان تتعطل سيارته لتتعطل مهمة الجنود ، ثم يفكر ان يقفز من السيارة بعد ان يوجهها نحو الوادي فتهوى الى قاعه بمن فيها من الجنود ، وعندما يرى استحالة ذلك يجد نفسه منقاداً الى الفكرة التي نفذها ، فهو ما يلبث ان ينحرف بالسيارة ليموت الجميع : السائق والجند . ومن الواضح ان هذا الفعل ، هذه النهاية ، كانت هدف الكاتب من اول الامر ، ولكنه اصطنع هذا التمهيد الطويل حتى لا يبدو فيها الانتقال والتصنع ، وحتى تأتي طبيعيه منطقيه .

وكنت اود لو ان الكاتب انتهى عند هذا الحد من البطولة ، لكن كأنما خشي ان يسأله سائل : اذا كان السائق قد مات فكيف عرفت ايها المؤلف ان هذه الافكار جالت بذهن السائق قبل موته ؟ لذلك ابقى السائق على قيد الحياة حتى يقضي بقصته ثم يسلم الروح بعد ذلك . والواقع ان

الفنان لا يُسأل عن شيء من ذلك لانه خالق ابطاله، والخالق يعرف افكار مخلوقاته حتى حين تلقى مصرعها قبل ان تفضي بها الى احد .

وفي هذه النهاية الاضافية نجد الكاتب يعبر عن استيائه من الزعماء — وهو نفس الاستياء الذي عبر عنه الدكتور العجيلي في قصته السابقة حين تحدث عن يأس الساسة وتآمر الزعماء وتثبيطهم المتحمسين. فالكاتب هنا يقول « لم يكترث الزعماء بأم سعيد وزوجته واولاده » ، ثم يعبر عن ايمانه بالشعب ، فالجيران هم الذين سددوا ديون الشهيد واعانوا اسرته. وكأنما لم يكتف الكاتب بما في بطولة العامل من معنى فجعل ابنه في صفوف الفدائيين يرتقب اليوم الذي تزحف فيه مع الزاحفين لتطهير ارض الوطن وغسل عارها بدماء الغاصبين المجرمين .

وهذا الجزء الاخير قد احتشدت فيه الحوادث ولم يعدفيها ذلك المجهود المتأني الذي كتبت به القصة . وكأنما احس المؤلف ان قصته انتهت ولكن لا يريد ان يضحي ببعض الحوادث التي لديه فذكرها على عجل من باب التسجيل. انظر الى هذه الفكرة « مضت السنوات ، وماتت ام سعيد قبل الهجرة ، وشب اولاد الشهيد فتزوجت ابنتاه وهما الآن بين اللاجئين . اما زوجته فتعمل في غسل الثياب ، واما ابنه كمال فانه لم يدخل الجامعة . .

فهذا الجزء الاخير كله يخرج عن وحدة العمل الفني ، ولو كان الكاتب يريد ان يعطينا نهاية لقصته بعد مصرع السائق مع الجنود، فانها تكون قطعاً غير هذه النهاية .

«رسالة من الميدان» لسامي عطفه

اما قصة « رسالة من الميدان » لسامي عطفه فهي تعبر ايضاً — وبطريقتها — عن ارتباط الحدث العام بالحدث الخاص ، تعبر عن الشاب الذي فشل في حبه فتطوع مع المتطوعين الذين يدافعون عن فلسطين حيث لقي هناك مصرعه .

انها قصة يغلفها الاسى وتعتصر قلب القاريء وهو يتساءل مع البطل قائلا « اترتبط السعادة بالقلب ام تتصل بالمثل الاعلى .»

والقصة رسالة كتبها ادهم من الميدان ليرسلها صديقه — الذي يروي لنا القصة — عن طريق البريد الى الانسانة التي يحبها . ولهذه الرسالة مقدمة اضعفت من وحدة العمل الفني وكان يمكن ان تختصر لنصل مباشرة الى الرسالة فليس هناك من دلالة فنية لوصف المعركة ومصرع ادهم ودفنه، لاننا ما نلبث ان نصل الى الرسالة نتواجه بجو مختلف جديد غير الذي مهدتنا له هذه المقدمة الطويلة .

وشخصية ادهم ليست واضحة تماماً ، وبعد اعترافه بحبه لفتاته وبقصة الخيبة التي لقيها نفاجأ بقوله « لكن لندع هذا الحديث الآن ، ساحدثك عن اشياء اخرى دخلت حياتي فيما بعد » — ثم يحدثها عن محبة الشهداء واصحاب المبادىء والقديسين . حقاً كان هناك تمهيد لهذا التحول في نفسية ادهم هو ماقاله له استاذه القديم وهو يودعه في ساحة القرية :«ستنفتح الحياة امام عينيك ، هناك الكثير من القضايا تحتاج الى حل حقيقي . ان ثورة عربية تنشب في كل مكان من ربوع الوطن ، حاول ان تكون عنصر تجديد في حياتنا وواحداً من رجال الثورة .»

ثم تعود هذه الجملة تتردد عندما كان ادهم يشهدقتالاً بين كتيبتين من الفرسان ، فهل كان في ذلك المبرر الفني الكافي لتحول ادهم الى محبة الشهداء والقديسين ؟ ذلك ان خيبة الحب قد يعقبها اندفاع الى التضحية كما فعل ادهم وكان يجب ان يكون المبرر الفني لهذا التحول اكثر وضوحاً من مجرد هذه الاشارات .

ومع ان عنصر التفكير يسود الرسالة فان القاريء لا يحس بانعدام الحركة ، ولعل ذلك يرجع الى ان قالب الرسالة يبرر ذلك اللون من التفكير الذي يطغى على الحوادث .

ولكن لم اعرف ما هي الدلالة الفنية ولا ما هو التبرير الذي يحمل ادهم على ان يختم رسالته قائلاً «ولكنك لن تعرفي هذه الامور كلها الا بعد ان تكون السفينة قد تحطمت في اللجة البعيدة . » فكيف استطاع ادهم ان يتنبأ بمصيره ، هل لانه كان في الجبهة ؟ ولماذا ذكر لها ذلك ، هل ليثير شفقتها ويقنعها بان محبة بعد ان اتجه هو الى محبة اخرى — الى السعادة التي يخلقها الانسان بيده وبأرادته ،ولا تعتمد على انسان آخر وارادة انسان آخر ؟ الا نلحظ التناقض بين قول سامي ، انني اسألك ان تمنحيني الثقة ؟ ثم قوله بعد ذلك بسطور « اذا كنت قد لجأت اليك — فليس ذلك لاسألك شيئاً او لالزمك بأمر .»ان في القصة شيئاً غامضاً ، لا شك انه كان واضحاً في ذهن المؤلف وان لم يتضح في تعبيره .

ومع ذلك فان القصة — كما قلت — تجعل القاريء يحس بانعطاف نحو بطلها وبالاسى والحزن الذي يغلفها ، ولعل ذلك لان القاريء يتخذ احياناً موقف الفتاة التي وجهت اليها الرسالة فيحس بما احست به حتى انها ذهبت الى قبره ، بل انه ليشفق على البطل كما يشفق على فتاته معاً فيصبح اشفاقاً مضاعفاً .

وختاماً تحيتي الى الدكتور عبد السلام العجيلي والى الاستاذ سامي عطفه والى صاحب قصة الدبابة ذي الاحرف الهجائية الكثيرة ، راجياً ان اكون قد ساهمت بقسط ما في ان تتكشف لنا جوانب مما قاموا به في اعمالهم الفنية. وشكراً «للآداب» التي تتيح للكتاب ان يلتقوا قلماً لقلم مادام ليس في استطاعتهم ان يلتقوا وجهاً لوجه .

القاهرة

يوسف الشاروني

القصائد

بقلم احمد ابو سعد

ما من احد يراقب الشعر العربي المعاصر ويتتبع حركة نموه الا وتجبهه هذه الحقيقة الدامغة : اننا امام نهضة شعرية عظيمة يقفز فيها شعرنا العربي اليوم – وربما لاول مرة – الى المستوى الذي يؤهله للحاق بركب الشعر العالمي ، والوقوف معه جنباً الى جنب تقريباً . فما هي مميزات هذا الشعر؟ وبماذا يختلف عن شعرنا العربي الكلاسيكي الذي تمتلىء به خزائننا ويؤلف القسم الاكبر من تراثنا ؟

لست هنا في مجال التحدث عن الشعر العربي تحدثاً واسعاً شاملاً يلم بالموضوع من سائر وجوهه ، ويربطه بسائر اطرافه حسب سيره خلال العصور . وانما انا هنا في فاتحة هذا التعليق على قصائد العدد الماضي من « الآداب » بصدد وضع خطوط عامة تعين على فهم هذه القصائد ، وتبين وجهة نظر المحدثين في الشعر وتعرض للقيم التي يتطلعون اليها .

اكثرنا ان لم نقل كلنا متفقون على ان الشعر العربي حتى اواخر النصف الاول من هذا القرن لم يتطور بتطور الحياة العربية ولا تغير بتغير الاقاليم واختلاف الاوطان. وانما ظل طابعه العام واحداً ، وظلت موضوعــاته واحدة ، وظلت مذاهبه الفنية واحدة . سارت الحيــاة ، وتغيرت الازمنة ، وتبدلت الاحاسيس والصور والالوان وبقي هو يرسف في اغلال الماضي ، ولا يقدر على الخروج من منــاهجه التقليدية الاثيمة . الاوزان هي نفسها والمعاني تكاد تتشابه. والقصيدة مجموعة من الابيات ، كل بيت يؤلف حلقة مقفلة على ذاتها لا يربطها بما يجاورها الا خيط واحد هو القــافية . تنحصر في حدود الشعر الغنائي ، ثم هي تخلو من وحدة الغرض وليس لصاحبها اي موقف فكري . يسيطر عليها عنصر الخطابة ، ويعتمد ناظمها على اسلوب اللمح والتلخيص والاقتضاب ، ولا يهمه ان تصدر عن تجربة بمقدار ما يهمه ان تتفجر فيها الالفاظ وتزدحم الاستعارات التي يأخذ بعضها برقاب بعض .

ومن يرجع الى النصوص الشعرية نفسها يجد ان الشاعر حين كان يحاول ان ينظم . كان لا يستجيب لبيئته ، ولا يتجاوب مع حياته ، وانما كان يستجيب لمنــاهج الاقدمين ويغرف من بحورهم او بركهم عـلى الاصح . استهواه شعر البحتري مثلاً فاراد ان ينظم شعراً كشعره او شعر ابي تمام او المتنبي او شعر الشريف الرضي من غير ما نظر الى ذوق العصر وتطور الاحاسيس واختلاف الايام . مما افضى بالشعر العربي الى الجمود عند الازياء القديمة والافتقــار الى الاصالة والجدة اللتين يتميز بهما العمل الفني الناجح .

ولست بعد بغافل وانا اسوق هذا القول عما استحدثه اهل الاندلس في الموشحات ومـا حاوله بعض اللبنانيين هنا وفي المهجر من محاولات تسترعي الانتبــاه. غير ان الاندلسيين اقتصر عملهم في هذا الموضوع على الشكل دون المحتوى . لقد تخلصوا من التقيد بالوزن كما تخلصوا من التقيد بالقــافية ، واستنبطوا نمطاً من الوزن خاصاً بهم، ولكنهم عادوا فقيدوا به انفسهم في الموشح كله ففرضوا نظمهم للانسياق على الوتيرة من جديد .

اما اللبنانيون فقد افادتهم ثقافتهم الواسعة بالشعر الغربي واطلاعهم على المذاهب الشعرية الحديثــة وبخاصة المذهب الرمزي والمذهب الرومنطيكي فافلح بعضهم في انتاج آثار راعوا فيها اصول هذا المذهب او ذاك. وافلح البعض الآخر في تنقية القصيدة الشعرية، الا انهم لم يكملوا الطريق وظلوا في حدود الاصول القديمة ، الى ان حمــل المشعل عنهم شعراء الشباب في العراق وشعراء الشباب في مصر والسودان، وسجل التاريخ الادبي تحولاً خطيراً في الشعر العربي يحمل لواءه البياتي والسياب ونازك الملائكة وصلاح الدين عبد الصبور وكمال عبد الحليم وغيرهم وغيرهم ...

هذا التقدم تقوم اسسه على ما يأتي :

١ – الحرية الفنية بما فيها التحرر من الوزن والقافية .

٢ – الانبثاق من الحياة العصرية .

٣ – نبذ الاصطلاحات المجمدة .

٤ – البعد عن الغنائية .

٥ – الكفر باللفظة الشعرية واعتماد لغة الحديث حرصاً على البساطة وعدم التكلف .

٦ – التخلص من الاستسلام والكآبة والتشاؤم ، والميل نحو الفرح والتفاؤل .

٧ – الخروج من التقريرية الى التعبير بالصور تعبيراً بنائياً .

٨ – النظر الى القصيدة من حيث المضمون كوحدة تعطي

هذا المضمون « صفة الكائن المتماسك الحي الذي ينمو باستمرار في وجدان القارىء كتجربة متكاملة معاشة هادفة الى غاية حقيقية » .

هذه هي الاتجاهات التي بدأ يتجه اليها الشعر العربي المعاصر في تحوله تأثراً بالشعر الغربي من جهة ، واستجابة لحركة تطور المجتمع من جهة ثانية . فما مقدار حظها من التوفيق ؟ وهل تمكن اصحابها من فرض سيطرتهم على الافئدة والتغلب على العقبة المتأتية من فهم العرب التقليدي للقصيدة انها شعر نظم لينشد او يلقى لا ليكتب ويقرأ .

انا من الذين عانوا نظم الشعر ولهم فيه قصائد ودواوين تخالف في طريقتها هذا المفهوم ، ولكن ذلك لا يمنعني من الاعتراف بان هذا التيار جارف .. وان اصحابه احرزوا انتصارات باهرة رفعتهم الى سماء الشهرة في بضع سنين . فالناس قد اصابهم الملل من شنشنة القديم ورتابة اوزانه ، وباتوا يحنون الى نسمة جديدة تنفحهم بالطراءة والدفء وحرارة التجربة وصدق الاداء وبساطة التعبير ، وتعتقهم من التحجر وعقم الفراغ وبلادة الاحساس ، لتهبهم من بعد شعراً يجدون فيه انفسهم ، شعراً مذوباً من قلوبهم وملتصقاً بواقع حياتهم ، وهذا هو عينه ما يحاول الوصول اليه هذا الجيل من الشعراء « جيل المخاطرات ، جيل اقدامه مغروزة بالطين ، ويداه بالحياة غضتان ، وعقله كوني مستنير ، وقلبه مبتهج وقلمه شريف » .

غير ان ذلك كله لا يمنعنا من الجهر بحقيقة واقعة هي ان هذا الشعر تؤخذ عليه مآخذ تقلل من قيمته عند البعض ، وتجد لها ما يبررها عند البعض الآخر . يؤخذ عليه انه قليل الاحتفال بالشكل ، مستخف بالصياغة الفنية ، مهمل للنغم ، لا يتوخى التركيز ، ويغلب عليه العنصر النثري ، ثم انه يكاد يقع في التكرار ويصاب بمرض القلب كما يؤخذ عليه ان « الكليشه السياسية فيه بدأت تحل محل الكليشه الغزلية » وان بعض اتباعه يبررون ضعف الشكل عندهم بغنى المحتوى - اذا صح ان هنالك محتوى يغنى من غير شكل .

هذه الاخطاء بعضها وجيه . والبعض الآخر لم يفرغ القول فيه بعد ، فهو لا يزال مطروحاً للنقاش . وشعراؤنا الشباب واجمل صفة فيهم تواضعهم - يسلمون ببعض هذه الاخطاء . يقول الاستاذ عبد الصبور احد شعراء الطليعة في مصر تعليقاً على قصائد « الآداب » في العدد الماضي « هذا الجيل يصنع اعمالاً كبيرة ، ولكن مجده الحقيقي انه يطمح دائماً الى الاكبر ، والقفزة الرائعة قد تكسر عنق القافز ، ولكنها رغم ذلك مجد يوقظ الاعجاب الرائع والالم الرائع .. ولذلك فلنا اخطاؤنا . ولكن هذه الاخطاء هي وسامنا لاننا نرتاد قارة ونستكشف نهراً ونبني قلعة في ارض الشعر » .

كما يقول الاستاذ محمود العالم احد مفلسفي نظرية الشعر الجديد « كثير من ادبائنا الجدد ما يزالون في بداية الطريق لاستكمال القيم الشكلية ، وأكاد اجزم ان عدم استكمالهم للقيمة الفنية سيقلل من قيمة اتجاههم نفسها . ولكنهم في الحقيقة في مرحلة انضاج صياغة جديدة خلال تمرسهم بمضامينهم الجديدة ، والصياغة الجديدة ، عملية شائكة في حاجة الى خبرة طويلة » .

اما الناشئون من الشعراء ، وبعض الذين يتوهمون ان الواقعية صف عبارات ، وترديد شعارات فقط من غير تمرس باساليب الابداع الفني ، او الأخذ بثقافة واسعة تشمل الادب والفنون والفلسفة وسائر مظاهر الحضارة القديمة والحديثة ، الشرقية والغربية - اما هؤلاء فهم العلة في وجه التقدم ، وسبب الاضطراب في سير القافلة الميمونة .

الجائعون المتعبون
اللاهثون
في الطريق
يا رفاقي
ميتون

كل من ركّب امثال هذه التراكيب ، او استعمل الفاظاً من مثل هذه الالفاظ يصفق لها بعض المتحمسين اصبح يدعي الشعر ويحسبه الناس على الواقعية !

لقد زار بيروت منذ ايام الشاعر تيخونوف احد شعراء روسيا الكبار ، وضمنا واياه مجلس جمع نخبة من الادباء . فجرى الحديث حول الشعر ، وحرصت حرصاً شديداً ان اسأله بعض اسئلة : كيف يفهم الشعر ؟ وما الفرق في نظره بين الشعر والنثر ؟ وهل الشعر محض محتوى ؟ فكان جوابه حسب ما فهمنا من المترجم « الشعر تعبير عن الحياة وان النثر بارد والشعر مائج بالحيوية وان النثر ساحل والشعر بحر ، وان لا فصل بين الشكل والمحتوى وان للجرس والرنين والتساوق الموسيقي شأناً لا يقل اهمية عن غيره ، فالشعر يخاطب الحساسية

ويستثير الانفعال الجمالي .» الى آخر ما قال .

كنت متأكداً من ان الجواب سيكون كذلك ولكنني سألت لأخذ «الفتوى» فقط . فلنختم هنا الكلام ولنرجع الى موضوعنا .

في هذا العدد من الآداب ست قصائد، اثنتان منها تقليديتان ، الاولى (جدار المعركة) لسمير صنبر تقليد للشعر الجديد . والثانية (اغنية على النيل) لسليمان العيسى تقليد للقديم ، والاربع الباقية احداها (اغنية طفل) لسلمى الخضراء الجيوسي تبشر بالخير والثلاث الاخرى (اغنية ولاء) لصلاح عبد الصبور - صار عندنا ثلاث اغنيات - و (العياء) لهنري صعب الخوري و (قافلة الفجر) لكمال نشأت تنهج النهج الجديد رغم تفاوت ما بينها من حيث القوة والضعف . ونحمد الله على ان كلا من الشاعرين الاخيرين لم يسم قصيدته (اغنية عياء) مثلا او (اغنية فجر) والا لكانت المفارقة عجيبة ! ومع ذلك فثلاث قصائد بهذا الاسم في عدد واحد تكفي لاثارة القيل والقال !

جدار المعركة

خطب احد الرؤساء العرب متحدثا عن اسرائيل فتحمس الاخ سمير صنبر ونظم العبارة شعراً :

«الموت عبر خطوطنا فليزحفوا .
وليهجموا وليعتدوا وليعرفوا
انا وانا ، انا لنا الغد والجولة الاخرى»

ولا حاجة بي على ما اعتقد لان أبين ان القصيدة منظومة نظماً ، وانها على رغم تحررها من الوزن والقافية ومعالجتها موضوعاً وطنياً لا توحي بتجربة ، او تمسك بحرارة . تقرأها فتشعر بالمنبريات . وتفتش عن المضمون فيتمثل لك انسان سلب العدو منزله وطرده خارج هذا المنزل فوقف يهدده (من الخارج) : اخرج لأريك ! نحن كذا ونحن كذا ونحن ونحن . اطلق نيرانك . اعتد علينا ، اقتلنا فلن نقول لك شيئاً . سنريك في الجولة الثانية . والحمد لله الذي لم يجعله يقول : سنشكوك الى الامم المتحدة !

اغنية على النيل

وهذه قصيدة اخرى عربية بعثية نظمها الشاعر في القاهرة ، والقاها في حفلة من حفلات الشباب هناك ، تطالعها فتذكرك لاول وهلة بقصائد شوقي وحافظ والاخطل الصغير ، تلك القصائد التي كانوا ينظمونها تحية للعواصم العربية ، وتغنياً بالمجد الخالد ، ويحلو لك المقارنة فتقابل بينها وبين تلك القصائد ، لترى ماذا من جديد فتجد المعاني نفسها والاسلوب ذاته . يقول الاخطل الصغير :

تغرب الحسن والاحسان فالتمسا ... وجها من الحسن هشاشا لزائره
حتى اطل على مصر فراعهما ... ما زخرف النيل من ابداع ساحره

ويقول سليمان العيسى :

اطل على النيل مستلهما ... اضيع من الزورق العابر
اغنيك تمتمة حلوة ... ومن لي بقيثارك الساحر

ويقول شوقي :

صلاح الدين تاجك لم يجمل ... ولم يوسم بأزين منه فرق
وكل حضارة في الارض طالت ... لها من سرحك العلوي عرق

ويقول سليمان العيسى عن مصر :

هنا النبع اي الدنى لم تعب ... واي الحضارات لم تستق
مسارح عمرو وارض الجهاد ... سلام هو اللهب المسعر
اتينتاك مصر نشد الزنود ... على اختها عاصفاً يزأر

وكان حافظ قد قال :

لمصر ام لربوع الشام تنتسب ... هنا العلا وهناك المجد والحسب
هذي يدي عن بني مصر تصافحكم ... فصافحوها تصافح بعضها العرب

انها تبادل انخاب بين الشام ومصر ورد تحية من دمشق للقاهرة وان لم تكن بأحسن منها . لا تتعدى تجربة الشاعر فيها اللفظ ، ويقتصر عمله بها على الخطابة . شعر الحفلات والمناسبات بات ممجوجا يا اخي الشاعر .

اغنية طفل

قصيدة رقيقة ناعمة تصور فيها سلمى الخضراء الجيوسي الطفل في اطلالته الاولى على الحياة ، دم الورد والزنبق المخملي (فيا لنداوة خد الرجولة في فجرها الاول) ويستهويها هذا (الضياء الوليد) نداء الحياة وقلب السماح الغرير : « صغيرا ودبما كأول حب - طرباً كأول قبله - جيلا كنيسان في الف ثوب . » فتتمنى ان لا يكبر هذا الطفل (فليتك تبقى صغيراً صغير) ولكنها تعلم ان مناها عزيزة ، فترجو له بابتهال عندما يكبر ويبلو الحياة القاسية ان تخلي الازاهير شذاها بقلبه : « فينمو نضير الرياحين فيه - وريا نداها تقيه - من الحقد والظلم والشك والمطمح المبهم . » فيا لبساطة التعبير او لهفة الشاعرة على الفرح والامان ودنيا الهناءات ! وان كان لم يعجبني (المبسم العندم) و (عرش الجلال) و (رب الغزل) .

اغنية ولاء

انها قصيدة من الشعر الجديد الخالص ، وملامح الجدة فيها انها بناءيدل فيه العنوان على الموضوع ، وتحفل بالصور التي هي دعامة الاسلوب الشعري الحديث ، وصورها ليست مستمدة من القديم بل من الواقع الشعوري . يصور فيها الشاعر احدى الجواري اللواتي يتسلط عليهن الولاة وامثالهم من ذوي الثراء والسلطان الذين يتمولون على الناس فلا يكتفي الشاعر بالنظر الى الحبيبة من الخارج مستهدفاً عرض مفاتنها على طريقة الوصف القديم دون النظر اليها كانسانة وانما يتغلغل الى الاعماق فيكشف عن المأساة ويفضح ذلك المجتمع الذي يستخدم المرأة كأداة للاستمتاع وآلة لاشباع الغرائز والترفيه عن الموسرين وطبقة السادة الحاكمين فيكتسب كلامه معنى ثورياً صاعداً : « معذبي يا ايها الحبيب - أليس لي في المجلس السني جبوة النبيع . - فانني مطيع وخادم سميع . - فان لطفت هل الى رنوة الحنان - اليس لي بقلبك العميق من مكان - وقد كسرت في هواك طينة الانسان .- وليس ثم من رجوع .

هذا فضلًا عن حلاوة الاخبار وبساطة التعبير الذي ينقلنا الى جو من اجواء الف ليلة والارض الغريبة الرهيبة الاسرار .

العياء

قصيدة جديدة بشكلها ولكنها من حيث المضمون دينية الاتجاه لا تختلف عن تلك الابتهالات والترانيم الدينية (الهي ومن لي سواك مقيل اذا عثرت نفسي العاثرة) الا بأن الشاعر يحاول ان يقدم فيها موقفاً انسانياً فيروي بمناسبة الفصح وحكاية الصلب قصة المظالم عبر التاريخ : « انا لن اطيق المسير - والف صليب يصيح - والف مسيح . - ايولد في كل فجر يهوذا؟»

ويكاد يخرج من اسار الافكار والمسلمات العتيقة فيعبر عن تجربة عصره عصر الانسان، ولكن هذه الافكار لا تلبث ان تشده اليها فيقعد ينتظر الخلاص من فوق متسائلا لاهثاً من فرط العياء (اما كان يمكن يا رب ابدع مما كان) .

قافلة الفجر

مزيج من الالم والحب والتهويم وانتحار الامل والهرب من الزمن والضياع في الخيال والتجاوب مع اصداء النجوم النائحة في صمت المساء . يصور فيها الشاعر ركب الفجر الراحل عن القرية المهوم كأطيار المساء يرقص في لهف الحنين على انين المندولين . ويدب عجلان فوق ثرى القرى حاملاً معه (أزميرا) الفتاة السمراء ذات اللهب المتجسد في حنيات ، الفار من العيون . أزميرا التي يروي الشاعر قصة حبها الخضيب ولا ينسى رقصتها في ساحة القرية يرمي احد الصعاليك اليها النقود فتنيله فوق الاصابع قبلة عبر الهواء فيختنق شاعرنا وتضج فيه غيرته فيحتضن الالم ولا يفيق الا بعد رحيل القافلة :

ما كان لي الا العذاب - ففؤادها الرحال ما عرف القرار - كتب الشرود عليه - ليس له ديار

القصيدة مائجة بصور جميلة رغم رومانتيكيتها وبعض المواقف التي لا تتفق مع الشاعر بخصوصها . وعدا ذلك فان القسم الاول منها ضعيف ايضاً لا يرقى الى مستوى ما يليه فالشاعر لا يلتزم فيه منهجاً معيناً من حيث الوزن كما ان فيه ابياتاً لم اميز وزنها. هذا ولا أحد منزه عن الخطأ فمعذرة من الشعراء والف تحية لهم جميعاً .

احمد ابو سعد

قصص العدد الاسبق[1]

بقلم يحيى حقي

انني غريب لا اعرف اي عمر بلغه الاستاذ القصصي البارع مطاع صفدي. ان لم يكن يترجم عن نفسه فانه قدم لنا بقوة وبراعة صورة صادقة لحال بعض شبابنا في فترة الانتقال التي نمر بها الآن . شباب حائر بين المثل ، دائب البحث عن العلل والاسباب ، غير قانع بما هو فيه ، يريد ان يعيد تقويم ماضينا وامجادنا ، ولا يجرؤ على النظر للمستقبل بامل كبير ، لانه رغم ما يبديه من شجاعة ، يخفي في قلبه شيئاً من اليأس .

ومن شأن هذه القصص ان تكون في اغلب الامر من قبيل الاعتراف. ضمير التكلم فيها اسهل على المؤلف من ضمير الغائب ، ثم انها تتسم - في اغلب الامر ايضا ! - بشيء من المبالغة ، اما في التبرم واما في السواد والنقمة على الحياة والناس ورذائلهم .. شبساب تقفز روحه من مرحلة الصبا الى الشيخوخة ، في قلبه صرخات مكتومة ، وفي جمجمته علم كثير مبعثه تعمق النفس والانطواء عليها والقراءة الدائبة .. وهذه ظاهرة متفشية مع الاسف في بلادنا ، مع ان السعادة وهدف التربية كما ينبغي لها هو ان يعيش الفرد متنقلا بين مراحل العمر كما تقتضيه طبائعها .. ان مرحلة الشباب عندنا تزهق روحها سريعاً تحت التقاء ضغطين ، المدرسة والشيخوخة الباكرة .

وبدلا ان تكون مثل هذه القصص وليدة انعكاس الحوادث الخارجية على النفس ، وبذلك يتسع افقها وتظل متصلة بالمعاني الانسانية الشاملة - نصبح وليدة انعكاس النفس وحدها ، بهمومها واشجانها واوهامها واحلامها على الحوادث الخارجية ، ولا مفر حينئذ من ان تترك في نفس القاريء شيئاً من الحرج والضيق ، لانه يقع اسيراً لفرد واحد معلوم ، يصب على رأسه كل متاعبه ، ومهما تعمق الكاتب معاني الحياة واسرارها فانه يطل عليها من فوهة ضيقة ، كأنه يميل برأس القاريء فوق بئر عميقة ، فيها كل الاسرار ، ولكن هواءها مكتوم ..

وتكثر في هذه القصص الشكوى - المستورة او المكشوفة - من الوحدة ومن الضياع ، كما تكثر بها القرارات الفجائية وهي من قبيل النزوات .

ويخيل الي ان هذا النوع من القصص هو الباب الذي يدخل منه اغلب الكتاب ميدان الادب (وهذا هو سبب من اسباب كثرة القصص القصيرة عندنا) سيتخلف من لا يتجدد ، ومن تستنفد آلامه الاولى طاقته الكامنة، وسيتقدم نحو الاستاذية من تقوده الفكرة الى اخرى ، والنظرة الافقية الى نظرة من عل ، فيتسع امامه مجال الرؤية . قد تظل طبيعة نفسه واحدة ومعالم فنه ومزاجه لا تتغير . ولكن المادة التي يعالجها هي في تحول دائم ، من البسيط الى المعقد ، من النتيجة الى السبب ، ومن الحوار الى التعليق ، ومن ابداء حكم سريع الى الاكتفاء بتسجيل المتناقضات بشيء كبير من التسامح ..

ان « دقت الساعة منتصف الليل » فيها دلائل كثيرة تؤكد ان الاستاذ صفدي له موهبة قصصية صادقة ، تستند الى ثقافة واسعة ، واحساس يقظ بالحياة والارواح واسرارها ، ومقدرة على تذوق الجمال ، ومن وراء كل هذا اتصال مباشر بقومه وادراكه لمشاكلهم . وانا واثق انه اذا دأب على العمل وزاد وثوقه بنفسه سيحتل مكاناً مرموقاً بين كبار القصصيين في الشرق العربي ، وسأظل اتتبع اسمه باهتمام كبير ، ان لم اطمع في لقائه ذات يوم فان بين روحينا - لو علم - تجاوباً زدت به غنى .

وسأتكلم الان عن اسلوب الاستاذ صفدي. العبرة عندي ان يكون للكاتب اسلوب خاص به ، لا في صياغة الجمل وحدها، بل في اختيار الفاظه وانتشالها من الضياع المبهم الى الاتقاد حين يضفي عليها الكاتب من روحه ويضعها في مكانها الصحيح وكل هذا متوفر عند الاستاذ صفدي، بل هو متوفر لدرجة لم نألفها نحن بعد في مصر ، ونحن هنا نتزعج احياناً من بعض المبالغات التي نجدها عند اخواننا السوريين واللبنانيين .

ان المشكلة التي تواجهها الفصحى عندنا اليوم هي - من ناحية -

[1] كان المفروض ان ينشر هذا النقد الجيد في العدد الماضي ، ولكنه تأخر في الوصول ، فرأينا ان ننشره في هذا العدد لاهميته - « الآداب »

الاهتداء الى الالفاظ التي نسمي بها مستحدثات المدنية في عالم المادة (ولا يزال الخلاف بين تلفون ومسرة ، واوتوموبيل وسيارة باقيا لم يحمله) – ونحن لا نزال نتخبط . وهذه البلبلة عبء كان ينبغي ان لا يحمله ناشئة كتابنا ، ومشكلة الفصحى من ناحية اخرى ، ولعلها اهم الناحيتين – انها غير طواعة – فيا يبدو – حين يكون الامر متعلقاً بتشريح النفس والنفوذ الى اسرارها وعواطفها ونزواتها .. هذه معان يسهل التعبير عنها في اللغات الاجنبية بل هي عماد الادب الحديث – اما عندنا فهي تنتزع من بين مخالب اسد ضنين .. لقد فعل المازني وطه حسين وزكي مبارك شيئاً كثيراً في هذا الصدد ، ولكني اعتقد ان الصعوبة لا تزال قائمة ، ولذلك لفت نظري ان الاستاذ صفدي لم يتهيب مقابلة هذا الاسد ، واستطاع ان يستنقذ لنا منه كثيراً من المعاني التي يشق على غيره ان يصوغها في الفاظنا العربية .. وهذا ما يدعوني الى تهنئته مرة اخرى . وقد اعجبت اشد الاعجاب بالتفسير الجديد الذي قدمه لنا عن اسباب استعمار الغرب للشرق..

اما قصة « معرفة قديمة » وهي كوميديا في فصل واحد بقلم الاستاذ عبد الغفار مكاوي فانها تتيح لي ان اتحدث عن بعض احوال القصة عندنا . إن اغلب كتابنا من الطبقة الوسطى وقد مسخ الاستعمار اغلب ابناء هذه الطبقة وصبهم في قالب يسمونه من قبيل الازدراء « الافندي » وهو الشاب الذي لم يتعلم الا القشور النظرية ومآله المحتوم وغاية آماله ان يحتل مقعداً امام مكتب في وزارة بمرتب ضئيل . فلا عجب ان تكون حكايات الوظائف والموظفين مادة لا تنتهي في انتاجنا الادبي ولا يزال هذا اللون متغلغلا الى اليوم .

ولكني اعتقد ان هذا الباب قد باخت ناره واستنزف امكانياته واني اوصي دائماً الشبان من القصصيين عندنا بان يلتفتوا الى طبقات اخرى كثيرة في مجتمعنا لم يدرسها احد منهم ، بل لعل بعض الاجانب عندنا قد التفتوا اليها دوننا او قبلنا . وانا ازعم ان الفلاح المصري لم يجد الى الآن الكاتب الموهوب الذي يقدمه لنا على حقيقته . قد يكون الفلاح المصري لغزاً عميقاً ، فما القول في هذه الطوائف العجيبة التي تصلح كمادة غزيرة في القصة ؟ : اصحاب المراكب التي تنقل التبن والقلل والحجارة من الصعيد لمصر وحياتهم فوق الماء وجرم الذبان ، وطائفة الحجارة في الجبل . وطائفة الدقاقين في حي الحمزاوي ، حينما دخلته احسست انى افتح باب عالم مجهول ، له حياته الخاصة التي لم ينفذ اليها احد .

و« معرفة قديمة » شأن الكوميديات تستند الى شيء من المبالغة ، ويتوقف نجاحها على اتقان تمثيلها والتزام حد وسط بين التهريج والتزمت وهي ليست في نظري من المسرحيات التي تستمد قيمتها من النص المكتوب فعسى ان ترى النور هي وبعض مسرحيات اخرى من فصل واحد على احد مسارحنا ، لانها محرومة من هذا النوع .

***

لقد طلب مني ان ابدي الرأي في ثلاث قصص ، واظن الثالثة هي قصة بيرل باك ، وقد التزمت منذ نشأتي الادبية ان احصر عنايتي بانتاجنا القومي والكلام فيه ، والتحدث عن اصحابه ، لاننا لم نف هذا الانتاج حقه ، ولذلك لا اجد شيئاً اقوله عن القصة المترجمة ، لاني مشغول بالوطن دائماً .

القاهرة — يحيى حقي

النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

هذا التراث الفكري العربي

كانت محاضرة الشهر الماضي في بيروت هي التي القاها الاستاذ رئيف خوري في الندوة اللبنانية بعنوان « هذا التراث الفكري العربي » والتي تناول فيها النتاج العربي في قيمته الحقيقية .

وقد مهد المحاضر بمقدمة قومية هامة ، ربط فيها بين التراث الفكري العربي ومناهجنا التعليمية ، وذكر ان عروبة لبنان لم تبق اليوم ، كما كانت بالامس ، مجرد بحث نظري ، فان قيام اسرائيل الى جانبنا اوجب علينا ان نعترف بالواقع اننا عرب ، واننا نمخر في سفينة المصير العربي ، فنحن اليوم اما عرب في جبهة عربية واما عبيد بالنتيجة للاستعمار الصهيوني « استعمار من طراز جديد هو سلخ عن ارضنا واجلاء عن بيوتنا والقاء لوجودنا ونسخ لتاريخنـــا وصهينة لترابنا وصخورنا ! ومن ثم كان كل ارتياب في ان العرب قادرون على تأليف جبهة متحده وقومية مشتركة خيانة ، خيانة للبنان قبل غيره . »

وانتقل المحاضر الى القول ان النهضة العربية المستأنفة اليوم توجب علينا ان نعاود النظر في التراث الفكري العربي لنؤصل نهضتنا ، « فكل نهضة تحتاج الى التأصيــل حاجتها الى التجديد ؛ ولنفيد غذاء للعاطفة وللفكر . نفيد غذاء لعاطفة زهو قومي شرعي نحس معه بأنا كنا في التـــاريخ ، ونستطيع ان نكون اليوم وفي غد ... ونفيد غذاء للفكر باساغة ما بقي صالحاً وصحيحاً وجميلاً في التراث القديم وبنقد ما قد خلفته للايام وراءها في سيرها الطويل بالامس ، السريع اليوم » .

واوضح الاستاذ رئيف خوري نظرته باننا في حاجة الى اساس فكري عصري نقوّم به التراث الفكري العربي القديم ، اساس يشترط فيه ان يكون مستمداً من واقعنا ومن حاجاتنا ومن اتجاهنا في سيرنا وتطورنا ، وكذلك من اتجاه البشرية في سيرها وتطورها . ثم ان كل تراث فكري ينبغي ان يفتش فيه عن الاجوبة التي يرد بها على طائفة من الاسئلة الرئيسية في الوجود تدور حول الانسان ما قيمته ، ومـــا المجتمع الفاضل وكيف نحققــه ، وما الحاجات التي لا بد منهـــا للانسان الخ ...

ثم يثبت المحاضر ان التراث الفكري العربي يحوي اجوبة عن هذه الاسئلة وعن كثير من اسئلة تتفرع منها . فهو يجيب بان الانسان اشرف المخلوقات ، كما نجد في آثار الجاحظ خاصة ، وان كان يؤخذ على بعض المذاهب في هذا التراث انها تنظر الى الانسان كجسم وروح هما في نزاع دائم ، وان سعادة الروح هي في قهر الجسم والتفلت من كثافة مادته (الفارابي وابن سينا وغيرهما) وهذه نظرة لا يمكن التسلح بها في العصر الحديث الذي يعنى بالجسم عنايته بالروح ويغوص في المادة لتفتيح مغاليق اسرارها ومعرفة تسخيرها .

وبعد ان ذكر الاستاذ خوري ان المجـــال اضيق من تتبع الاجوبة التي تضمنها التراث الفكري العربي ، أشار الى ان هذا التراث جرى في اكثر المجاري التي سلكهـــا النشاط العقلي الانساني عامة . فضرب في المنطق والالهيات والطبيعيات والرياضيات والاخلاق والسياسة والاقتصاد واللغة والادب والفقه والتاريخ الخ ... كما انه سجل تقدماً مرموقاً في ذخيرة المعارف البشرية في بعض علوم كالجبر والفلك والطب والطبيعيات عامة . واستشهد بالخوارزمي والبوزجاني وابن سينا وابن الهيثم وابن خلدون .. كما استشهد في الادب بابي نواس وابن الرومي والمتنبي والمعري والجاحظ . وقد انهى محاضرته بالاستشهاد ببعض قصائد عربية رائعة وختم كلمتـــه بقول الجـــاحظ . « العلم لا يجود بمكنونه ومخزونه الا لمن رغب فيه لكرم عنصره وفضله لحقيقة جوهره ورفعه عن التكسب وصانه عن التبذل ... لا يعطيك خالص الحكمة حتى تعطيه خالص المحبة » وهكذا ينبغي ان نعطي تراثنـــا الفكري خالص المحبة حتى يعطينا خالص الحكمة واطيب المتعة .



اشتات ادبية

● عاد الشيخ عبد الله العلايلي الى « المعجم » ليصـــدر اجزاءه الباقية بعد ان انقطع اشهراً طويلة . وقد وعد باصدار الجزء الخامس عما قليل .

● المرة الاولى ترتفع اصوات بعض الادباء اللبنانيين بالشكوى من ان الاذاعة اللبنانية تحاول في هذه الايام ان تضغط على حرية القول اذ تحذف من احاديثهم بعض ما لا يروقها ... فهـــل تريد الاذاعة اللبنانية ان تشوه السمعة الطيبة التي تتمتع بها حرية القول في لبنان ؟

● توالي الندوة اللبنانية محاضراتها في هذا الموسم ، فيحاضر الاستاذ جورج نقاش يوم ٧ نوار في موضوع « ملاحظات في بعض شؤون الحياة اللبنانية » ، والسيد حسين العويني في موضوع « كيف أخدم لبنان » (يوم ١٤ نوار) والاستاذ جوزف شـــادر في موضوع « المشاريع الكبرى ورفع المستوى » (يوم ٢١ نوار) والاستاذ حميد فرنجيه في موضوع « تعمير البيت اللبناني » (يوم ٢٨) .. ويختتم الدكتور شارل مالك موسم محاضرات هذا العام مساء ٤ حزيران في موضوع « الوجود بالفعل » .

● امتازت محاضرة الاستاذ ادوار حنين رئيس جمعية اهل القـــلم – وكان موضوعها « خواطر في الادب اللبناني » – بوضوح الافكار وجمال البيان ، وان كان رأيه في اقليمية الادب موضوع نقـــاش طويل ...

نشاط المعارض

لا بد للمراقب الادبي من ان يحمد لوزاره التربية الوطنية والفنون الجميلة في لبنان بالغ اهتمامها بالفنون واقامة معارض متصلة في قاعاتها لمختلف الفنون القومية والاجنبية .

ولا شك في ان خير ما سيقوم به قسم الفنون في هذه الوزارة تنظيم المعرض العربي الكبير الذي يضم انتاج فناني الدول العربية . ولا تزال المخابرات جارية لاقامة هذا المعرض الذي ينتظر ان يفتتح في اواخر حزيران القادم (يونيو) .

وقد اقيمت هذا الشهر عدة معارض اشرفت عليها وزارة التربية ،وكان من اهمها معرض الجدرانيات الزخرفية (تابيسري) من شغل «الاوبوسون» الحديث،وفيه عرضت آثار الفنانين مارك سان سانس Marc Saint - Saens وجان بيكار لودو Jean Picart Le Doux . وقد ضم هذا المعرض زهاء ثلاثين قطعة من اميز ما رسمه هذان الفنانان وحققته مشاغل الاوبوسون .



قاطفة الزهور – لسان سانس

والجدير ان سان سانس حضر خصيصاً من باريس ليحضر حفلة الافتتاح .

كما اشرفت وزارة التربية على اقامة معرض للفنانة الانسة ناديا صيقلي ومعرض آخر لجدرانيات من شغل « الزوق » وهي من رسم الفنان الهولندي فون مويدن .

وسيقام اخيراً في اوائل هذا الشهر معرضان للفنانين الاسبانيين جيم موكساز ومرقس ألو ، وللفن التشيكوسلوفاكي الحديث .



الشمس والقمر – لجان بيكار لودو

سوريا

لمراسل « الآداب » سعد صائب

امين الخولي وبنت الشاطيء .. يحاضران في حلب ودمشق

تبدي دار الكتب الوطنية بحلب نشاطاً مرموقاً في الميدان الادبي ، ولعل آخر من بلغها : الزوجان الاديبان امين الخولي ، والدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطيء » اذ القيا « في دار الكتب الوطنية » محاضرتين . الاولى للاستاذ الخولي وموضوعها« مناهج الدراسات الادبية» والثانية للاديبة « بنت الشاطيء » وعنوانها « في جنة الغفران » . ولقد تولى الاديب الدكتور شكري فيصل ، تقديم استاذه الخولي ، فاشار الى فضله عليه ، ونوه بمنهجه الذي يدعو اليه ، في توضيح الصلة بين الادب والحياة ، ولكنه – وهو معذور – لم يشر الى هذه الدعوة الاقليمية البغيضة ، التي ما انفك « الخولي » يدعو اليها بعنف ، في كتبه ، وجمعيته « الامناء » واخيراً في مجلته الجديـدة « الادب » . ولا نحسب ان هذه الدعوة العجيبة الغريبة ، تترجم اليوم عن امانينا ، واماني مصر العربية ، او تستوي مع الآمال التي نعقدها عليها ، او يستريح اليها طموحنا لوحدة عربية شاملة ، تستمكن ما بين اقطارنا من اسباب

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الوئام ، والموده ، والاخاء ، والمنعة .

وقد استهل الاستاذ « الخولي » محاضرته التي اسماها « صراحة ادبية » بأن حديثه عملي لا مجرد قول ، ولو ان الشائعة ان الادب صناعة كلام ، ولكنه يعتقد انه يقوم بمهمة عملية ايجابية كسائر الوان النشاط الانساني ، بل اقوى وابعد اثراً من سائر الوان ذلك النشاط « وسأبين هذا ، دون دخول في شؤون تعليمية ، ومسائل نظرية ، فألجأ الى استقرار التاريخ ، الذي يهدينا الى ان الادب في الماضي البعيد ، من حياة الامة العربية في الجاهلية ، كان عاملاً فعالاً قوي الفعل في حياة الامة لذلك العهد ، وما كانت تهيئها له الحياة ، من القيام بدورها في المدنية الانسانية ، بفضل الرسالة المحمدية ، التي تلتمسها في معجزة قولية ادبية ، هي القرآن .

ثم نرى انه بعدما تكون المجتمع الاسلامي ، من امم مختلفة ، ودالت دولة العرب في القرن الثامن الميلادي ، صار الادب منذ ذلك الوقت ، وما تلاه ، عملاً مرتزقاً يقرر ان الفن كذب ، ويقسم على ما لا يليق ويذل ، مثل ذل القائل :

ابا المسك هل في الكأس فضل اناله ... فاني اغني منذ حين وتشرب

كما مجد الطغيان الخارج على حدود الدين ، المنابذ للتوحيد الاسلامي ، في عدمه وعدم اتخاذ بعضنا ارباباً لبعض ، فسمعنا مثل قول القائل :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار ... فاحكم فانت الواحد القهار

وكان العمل الادبي كما وصف نفسه « انا لها تفتح الهمي » ويسقط الطير حين ينتثر الحب » . فلم تكن للفن رسالة في انقاذ الحياة من الطغيان والظلم الاجتماعي ، الا بصوت خافت ، لمثل ابي العلاء المعري ، الذي اعتزل الحياة واستعلى عليها . ويبدو الفرق جلياً بين العصرين اللذين عرضناهما : العصر الجاهلي ، والعصر المتأخر ، وهو فرق يتلخص في حكمة واحدة ، هي ان الادب لم يكن فناً بالمعنى الفني الذي عرفته الانسانية اليوم . وقد بدا يومنا صورة من هذا الامس القديم ، ولا يزال الادب حتى اليوم ، رغم محاولات كثيرة ، لم يخلص للفنية المبتغاة ، ولن يؤدي رسالته الكبيرة التي اداها في عصور مختلفة من التاريخ ، الا اذا ارتد احساساً وجدانياً ، وشعوراً داخلياً ، وتعبيراً عن الجمال ، واذ ذاك سيكون صدقاً ، وانفة ، ونشاطاً دافعاً للحياة ، بل سيكون هو النشاط الذي يبعث العزائم ، الى انواع النشاط الاخرى ، من عقلية وعملية ، حين يلون الحياة ، ويحبب فيها ، وحين يتمثل الآمال المرجوة ، ويدفع اليها ، فيرود النهضات على اختلافها ، كما كانت تلك مهمته في التاريخ كلما تهيأ له السبيل الى ادائه » .

مكان المرأة في شعر الشعراء المعاصرين

ثم اعقبته « بنت الشاطيء » بحديث مطول عن « مكانة المرأة في شعر الشعراء المعاصرين » هاجت فيه الشاعرين حافظ وشوقي ، لانهما لم يحفلا بالمرأة ، فلم يتغزل حافظ في كل ديوانه الضخم ، الا ببضع قصائد ، اقصر من ان تحمل اسم قصائد ، واكثرها غزل مذكر ، وكلها خلو من الاحساس ، وحين اقيم احتفال بمدرسة للبنات - وكان ذلك شيئاً كبيراً يومذاك - قال حافظ قصيدتين فيها كل شيء الا حديث المرأة وتعليمها . وحين رثى قاسم امين رائد النهضة النسوية ، سجل حافظ كل شيء ، الا موقفه هو من آراء قاسم امين . كما ان في حياته زوجة طلقها بعد اربعة اشهر وسكت عنها ، مثل سكوت الذين ارخوه . من هي ؟ لماذا طلقها ؟ كل ذلك مسكوت عنه . اما شوقي فقد ذكرت المحاضرة انه قد عرف المرأة اماً وجدة وبنتاً ، ولكنه لم يعرفها زوجة ، وهو حين يحب وينشد ففي شعره تأدب النديم امام الامير . وحين يصف ، فالمرأة التي لا تمت بصلة او سبب الى المرأة المصرية الحديثة . ثم المت الى شعر الشاعرين عبد الرحمن صدقي ، وعزيز اباظة ، ونوهت برثائهما لزوجتيهما ، ثم بنسيانهما هاتين الزوجتين بعد حين قريب ، وتراها بعد حين ، تجوز الشعر الى النثر لتؤكد ثانية ان الكتاب انفسهم لم يستلهموا المرأة بالقدر الذي يرضي « ولقد عرف النثر عند طه حسين صورة الزوجة الملهمة ، وعند المازني صورة الانثى الحبيبة ، غير ان صورة المرأة التي كافحت وناضلت ، فعبرت الصراط الرهيب الى العلم والحرية ، وخلفت وراءها الضحايا ، فقد غابت من النثر الادبي كله » وتختم محاضرتها بتساؤل فيه شكوى من حزبه امر فلم يتفرج بشيء ، او يجد له مدفعاً ، اذ قالت : « ترى هل عجزت المرأة عن الهام الشاعر والاديب ، ام الشاعر والاديب عجزا عن ان يدركا مستوى الحس الحي ؟ الثانية اصدق .. فالطبيعة كانت ولما تزل الملهمة ، وهي لا تتحرك ولا تنطق . وكان اجدر بالاديب الحي ، ان يحس المرأة قبل ان يحس الجماد .. إن الادب الحديث في حاجة الى قلم انثى » .

مؤتمر المجامع العلمية

تلقى المجمع العلمي العربي بدمشق ، رسالة من الامانه العامة لجامعة الدول العربية ، تعلنه فيها ان مجمعي مصر والعراق العلميين ، قد وافقا على الاقتراح الذي تقدم به بتأجيل موعد المؤتمر الاول للمجامع العلمية الثلاثة ، الذي دعت الى عقده الامانة العامة في شهر ايار ، الى يوم السبت في ٢٩ من ايلول في دمشق . وقد تضمن جدول اعمال المؤتمر المواضيع التالية :

١ - النظر في تنظيم الاتصال ، وتنسيق الاعمال ، بين المجامع العلمية العربية ، وبحث ما وصلت اليه هذه المجامع ، من دراسة وسائل ترقية اللغة العربية ، وتبسيط قواعدها ، وتيسير كتابتها .

٢ - الاتفاق على خطة موحدة ، لدراسة المواضيع العلمية التالية والاشتراك في تنفيذها .

آ - الترجمة من العربية واليها .

ب - تشجيع التأليف والترجمة في الموضوعات العلمية .

ج - نشر ما يتقرر من المصطلحات العلمية .

د - تحقيق ونشر المخطوطات العربية .

ه - تشجيع المؤلفين بمنح جوائز دورية .

.. ومؤتمر ادباء العرب

اخال ان الادباء بعامة ، والذين اشتركوا في مؤتمر ادباء العرب الاول ، الذي عقد في لبنان قبل عامين بخاصة ، هم اكثرنا تساؤلا ، عن مصير المؤتمر الثاني ، الذي وعدت حكومتنا بعقده بدمشق في العام الفائت ثم تأجل لسبب لا ندري كنهه ، بالرغم من تخصيص الاعتمادات التي

مصر

المسرح والجمهور

لمراسل الاداب : رجاء النقاش

لم يعرف المصريون المسرح بمعناه : الاصطلاحي الا في العصر الحديث ، وعلى وجه الخصوص منذ اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي . ولكن المراجعة المتأنية لتاريخ الحياة الاجتماعية في مصر خلال هذه الفترة التي ظهر فيها المسرح وقبلها ، تضع امام العين حقيقتين : اولاهما ان المسرح بمعناه الاصطلاحي - قد ظهر اول ما ظهر في المدن الكبرى وفي القاهرة بوجه خاص ، وكان ذلك تحت تأثير نمو الطبقة الارستقراطية وامتدادها في النظام الاجتماعي امتداداً مسيطراً حاداً .. وكانت هذه الطبقة هي المكونة من الاسر التركية والاسر المصرية الكبيرة . وابرز هذه المسارح التي انشأتها الطبقة الارستقراطية مسرح الاوبرا ، وهو مسرح بناه الخديوي اسماعيل - عندما اراد لمصر ان تلبس زيا اوروبياً - لتمثل عليه الفرق الاجنبية ما تختاره من فنون اوروبية في المسرح والاوبرا . ويتكون جمهور تلك الفرق الزائرة من ابناء الطبقة الارستقراطية الذين يقبلون على المسرح اقبالا لعله يشعرهم بانهم - حقاً - يعيشون في قطعة من اوروبا . اما الحقيقة الثانية التي يطلعنا عليها تاريخ الحياة الاجتماعية في مصر ، فهي ان الريف المصري بسكانه الاساسيين من الفلاحين والفئات التي نشأت فيه بعد ذلك من العمال والطبقة الوسطى الصغيرة .. هذا الريف بسكانه هؤلاء لم يكن له علاقة بالمسرح كما فهمه الارستقراط حينما انشأوا دار الاوبرا ، ولا كما فهمته الطبقة المتوسطة الكبيرة بعد ذلك حينما انشأت مسرح رمسيس ثم مسرح الريحاني ومسرح اسماعيل ياسين وغير ذلك من المسارح الاخرى الموجودة في القاهرة او الاسكندرية .. فهل معنى ذلك ان الحياة الاجتماعية في الريف قد استغنت عن المسرح كعامل من عوامل البناء الاجتماعي ؟.. الواقع ان الاجابة عن هذا السؤال تؤكد ان الحياة الشعبية في الريف والمدن لم تستغن ابدا عن الوظيفة الجوهرية للمسرح ، فقد ظلت هذه الوظيفة حاجة اساسية من حاجات المجتمع المصري في الريف والبيئات الشعبية المدن ، وقد تعددت وسائل اداء هذه الوظيفة ولكنها لم تنطمس بصورة نهائية في يوم من الايام بل كانت تحاول باستمرار ان تقترب بالقدر الممكن من المفهوم الاصطلاحي للمسرح . ونحب هنا ان نعرض لبعض الوسائل التي استعانت بها بيئات الريف والطبقات الشعبية الاخرى على تعويض التأثير المسرحي في الحياة الاجتماعية ، ثم نعود بعد ذلك الى المسرح كما انشأته الطبقة الارستقراطية والطبقة المتوسطة الكبرى لنرى الى اي اتجاه تمضي الحركة المسرحية في مصر والى اي مدى تعتبر هذه الحركة المسرحية ضرورة في الحياة الاجتماعية.

فجوهر الوظيفة التي يؤديها المسرح هي الاستعانة بالتجسيد والحوار الذي يقوم على اساس من الصراع بين قوى مختلفة ، لاثارة مطامح الانسان ومشكلاته واشواقه . والكشف عن هذا كله وتصويره يخلق عدداً من العمليات النفسية في الوجدان الانساني يكون لها انعكاسها المباشر على العمل والحياة الاجتماعية في مستوياتها المختلفة . والتجسيد كاساس للمسرح انما يتم من خلال مشكلات ووقائع قائمة في الدور الحضاري الذي تنتسب اليه المسرحية . وعلى سبيل المثال نذكر ان المسرح اليوناني اعتمد في خلق نماذجه المختلفة على هموم عالمه وحضارته آنذاك ، على الصراع بين الانسان والآلهة او بين الانسان والقدر ، فقد كانت تلك هي المشكلة البارزة في ذلك الحين على غيرها من المشاكل التي كانت قائمة ، ولكن على غير ذلك المستوى الذي كانت عليه مشكلة الصراع بين الانسان والمجهول. من هنا نستطيع ان نسأل: الم تكن هناك عمليات تجسيد في تؤدي وظيفة قريبة من وظيفة المسرح في البيئات المصرية الشعبية : في الريف والمدن ؟

حينما نعود الى النماذج والانظمة الاجتماعية خلال القرن الماضي وفي مطلع هذا القرن ، نستطيع ان نميز من مظاهر الفنون الشعبية التي كانت تؤدي دورها في حياة الجماعات ثلاثة الوان : اولها الفنون الدينية ، وهي تلك الفنون المرتبطة اساساً بالمواسم الدينية الاسلامية كالاسراء ، او

رصدتها وزارة المعارف في موازنتها للانفاق عليه ..

وقد قررت حكومتنا اخيراً ، عقد المؤتمر فاصدرت وزارة المعارف قراراً بتأليف اللجنة التحضيرية لمؤتمر الادباء العرب الثاني الذي سيعقد « حتما » في بلودان ودمشق ، بين ٢٥ من آب واليوم الاول من ايلول ١٩٥٦ ، وقد الفت اللجنة التحضيرية من الادباء الاساتذة :

احمد الفتيح - الدكتور حلمي اللحام - الدكتور كامل عياد - الدكتور سامي الدهان - فؤاد الشايب - الدكتور عزة النص - الدكتور عبد الهادي هاشم - الدكتور امجد الطرابلسي - الدكتور جميل سلطان - صلاح المحايري - حسيب الكيالي - وداد سكاكيني - عناية رمزي .

كما عين الاساتذة : سعيد القضماني - سعيد الجزائري - عباس الحامض لامانة السر .

وقد نص القرار على ان تحدد مهمة اللجنة التحضيرية كما يلي :

آ - تحديد موعد انعقاد المؤتمر .

ب - دعوة ممثلي البلاد العربية ، بالاتفاق مع الشخصيات والهيئات الادبية فيها .

ج - تحديد موضوعات ابحاث المؤتمر .

د - وضع النظام الداخلي لادارة المؤتمر ، وسير اعماله ، واتخاذ مقرراته .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

« الموالد » : وهي الاحتفالات التي تقام في مناسبات ذكرى ميلاد النبي او ميلاد شيخ من شيوخ الدين الذين اخذوا مكانتهم بالنسبة للوجدان المصري الشعبي في ظروف معينة. واللون الثاني من الفنون الشعبية هو ما كان مرتبطاً باحتفالات الزواج على وجه الخصوص ، وكان أبرز مظهر من مظاهر هذه الاحتفالات هو حلقات « الشاعر » . اما اللون الثالث فهو اللون الذي خلقته الرغبة الخالصة في الاستمتاع بالفن دون ان يكون هناك اطار ديني او اجتماعي يحيط هذه المتعة الفنية بقيد ما ، وقد تمثل هذا اللون الاخير فيمظهرين لهما تاريخ، وقد اخذا في التلاشي الى حد بعيد،وهذانالمظهران هما : الارجواز وصندوق الدنيا .

ظلت هذه الالوان الفنية كلها تؤدي دوراً حاسماً بالنسبة للوجدان الشعبي . والظاهرة التي تجمع بينها جميعاً هي تحويل العواطف والاهتمامات الوجدانية العامة الى نماذج تتجسد فيها قوى متصارعة . ولم يكن الاطار الاجتماعي او الديني الا مناسبة شكلية يستغلها الوجدان الشعبي استغلالاً كبيراًفي التعبير عن نفسهوتعويض ما ينقصه من وسائل التعبير الفنية المصطلح عليها . ولذلك نرى ان القصص الديني لم يقف عند حدود الافكار الدينية المعروفة ، بل تعقد واتسع واضيفت اليه اضافات عديدة هي من خلق هذا الوجدان الشعبي الذي كان يحس على الدوام بحاجته الى تجسيد همومه ومشاعره في نماذج . وحسبنا ان نشير في هذا المجال الى قصة «الاسراء» كمثال على ما أضافه الوجدان الشعبي الى القصص الديني من اهتمامات نفسية خاصة به لم تكن في صلب القصة الدينية من قبل ، فقد اصبحت هذه القصة ترمز لطموح الانسان الى المعرفة ، الى المعرفة المطلقة التي تتيح له التغلب على المجهول والوصول الى تفسيرات واضحة للعالم الغريب المليء بالاسرار . ومن هنا يكون احتفال « الاسراء » بالنسبة للوجدان الشعبي مناسبة تروى فيها هذه القصة بتفاصيلها وما اضيف اليها من اضافات هامة ذات دلالة . وفي القصة شخصياتها وفيها حوارها وفيها الوان عميقة من الصراع بين قوى ونزعات ومطامح بشرية : إنها في جوهرها مسرحية ضخمة ينقصها بعض خصائص التكنيك ، وهي مسرحية لا يقوم بأزائها ممثلون حقيقيون ، بل انها تُروى .. يرويها فرد وتسمعها الجماعة فتقيم بنـاء الاحداث والشخوص والوان الصراع المختلفة .. تقيم هذا كله في الذهن ، وبعمليات فكرية تؤازرها عواطف ومشاعر تجعل من هذه القصة محاولة كبيرة فيها نضال هائل للاقتراب من المسرح بمعناه الاصطلاحي ولاداءنفس الوظيفة التي كان يؤديها المسرح في جماهير اليونانوعلى مسارحه الطبيعية هناك .

واذا تركنا هذا الاطار الديني الى الاطار الاجتماعي للفنون الشعبية في حفلات الزواج على وجه الخصوص وجدنا ان الشاعر هنا هو الذي يؤدي الدور الرئيسي في هذه الحفلات العامة ، وقد كان الشاعر يؤدي وظيفة مشابهة لوظيفة الراوي الديني لقصة الاسراء وغيرها، فالشاعر يروي لجماهيره ملاحم مليئة بالصراع والحوار والنماذج التجسيدية ، ومن هذه الملاحم المشهورة ملحمة « ابو زيد الهلالي » وملحمة « الزير سالم » وملحمة « الظاهر بيبرس » واخيراً قصة « الادهم الشرقاوي » وهذه الملاحم الشعبية هي في حقيقتها تصوير في لكثير من المشكلات الكبرى التي كانت تملأ الوجدان الشعبي في مصر . انها تمتص كل مفاهيم هذا الوجدان عن الحياة الاجتماعية ومظاهرها المختلفة من عمل وحب وصراع ضد السلطة وحرمان وخيالات واسعة عن السعادة والاستقرار والامن ..هذه الاعمال الفنية المشحونة بالدلالات كانت هي موضوع « الشاعر » الذي يجلس بربابته وسط جماهير عديدة ليروي بطريقته الخاصة احدى هذه القصص في الاحتفالات الاجتماعية وبخاصة احتفال الزواج ، ويحوطه وجدانهذه الجماعات بانتباه شديد ويقظة بالغة،وهم يتتبعون سير الاحداث وصراع النماذج البشرية باهتمام ومشاركة ... انه يروي لهم، وهم يقيمون بناء انفعالياً كاملاً ويتخذون مواقف شعورية حادة مع بعض الاحداث وضد البعض الآخر ، انه يثير فيهم الانتباه واليقظة ثم يدفع امام وجداناتهم بنماذج تعبر عن همومهم ومشكلاتهم وصراعهم المختلف في الحياة ، وهم يتابعون ذلك كله بصبر وانفعال ومشاركة وحماس حار ... انهم بذلك يعيشون وظيفة المسرح بالشكل الذي تسمح به ظروفهم وامكانيات وجداناتهم ، بالشكل الذي يتفق مع بيئتهم الاجتماعية واحتياجاتهم النفسية العميقة .. تلك التي نشأت بصورة طبيعية من خلال ممارستهم لحياة حتمية تعرز في قاع النفس اسئلة واحتجاجات والواناً من الصراع .. هذهالاسس العديدة التي لا يوجد اعظم منها لبناء فن ، ولا يوجد اعظم منها كدلالة على حاجة اصحابها للفن كاحتياجهم للخبز ، كاحتياجهم للعلاقات المختلفة في المجتمع والحياة : علاقات العمل والصداقة والاسرة والدين وغير ذلك .

بعد هذا نعود الى اللون الثالث من الفنون الشعبية التي كانت تحاول في تلقائية عميقة ان تؤدي الوظيفة التي يؤديها المسرح بمعناه الاصطلاحي في حياة الناس .. في حياة الجماعات . هذا اللون الثالث هو الذي انفصل عن الضوابط الاجتماعية والدينية ، وظهر في حياة الشعب كمظهر فني خالص يؤدي ما يؤديه الفن بالنسبة للانسان . ويتمثل هذا اللون في الارجواز وصندوق الدنيا . ولسنا هنا في مجال الدراسة التفصيلية لهذين المظهرين الفنيين ،ولكن الذي نريد ان نشير اليه هو ان هذين المظهرين كانايختلفان عن رواية القصص الدينية وروايات الشاعر في انهما اعتمدا على التمثيل مباشرة لا على الاثارة النفسية والتمثيل الذهني فحسب ، فقد كان الارجواز يعتمد على الحركة والصوت والصراع الواقعي بين رموز الشخصيات في حدود امكانياته المادية . اما صندوق الدنيا فقد كان يعرض صوراً للملاحم الشعبية ، صوراً تمثيلية متحركة لا صوراً فكرية مروية مسموعة كما كان يحدث في روايات الشاعر. او في القصص الديني. ولقد كان هذان المظهران على جانب كبير من القدرة على اثارة اهتمام الوجدان الشعبي وانتباهه ، ولقد اديا وظيفة هامة في الحياة الاجتماعية خلال فترة طويلة وحتى عهد قريب في مطلع هذا القرن،بل ان آثار هذين ما زالت باقية في بعض القرى البعيدة عن المدن وبخاصة قرى الصعيد .

نشأت هذه الالوان الفنية في حياة المجتمع كضرورة اساسية واحتياج حاسم من احتياجات الوجدان الشعبي ، وكانت كلها تؤدي وظيفة مشابهة لوظيفة المسرح بمعناه الاصطلاحي المعروف ، وبدأت هذه المظاهر تتلاشى تحت تأثير الحضارة المدنية في مظاهر ثلاثة : اولها واخطرها الاذاعة ،

وثانيها السينما ، اما المظهر الثالث فهو فرق التمثيل التي تقيم في بعض المدن الكبيرة وتحل في المناسبات الاجتماعية كاحتفالات الزواج مكان «الشاعر» وهذه الفرق تميل الى تقليد واضح لبعض البرامج الاذاعية ، وبعض الافلام المصرية ، وتنتخب من هذا كله البرامج الفكاهية كبرنامج « ساعة لقلبك» ، كما تعمل على تقليد بعض الوان الترفيه المعروضة في صالات الرقص وبعض المسارح في القاهرة ، اذ تعتمد هذه الفرق المتجولة الى جانب النزعة الفكاهية السطحية على النزعة الغريزية حيث تعمل على اثارتها لدى الجمهور في الريف والبيئات الشعبية في المدن . وليس من النادر ان تجد بين هذه الفرق بعض البغايا اللاتي يعشن في المدينة ويتكسبن في حياتهن عن طرق متعددة منها الاشتراك في هذه الفرق المتجولة التي تقضي شيئاً فشيئاً على حلقات الشاعر وتحل محلها .

اما الفنون التي عاشت في الاطار الديني فهي تتلاشى ببطء اكثر ، وما زال لها سلطانها وخصوصاً في الاحتفالات والمناسبات الدينية المعروفة .

الواضح من هذا الوضع اذن ان مظاهر التعبير الفني التي كانت تحل محل المسرح قد اخذت تتلاشى وتفقد قيمتها في البيئات الشعبية في الريف والمدن، وخصوصاً في بيئات الوجه البحري الذي يتأثر بحضارة المدنية بنسبة اكبر من نسبة التأثر في الصعيد. واذا تأملنا المظاهر الفنية الجديدة كالاذاعة والسينما والفرق التمثيلية المتجولة ، وجدنا انها تحاول ان تعوض ما كان يحصل عليه الوجدان الشعبي من « الشاعر » ومن القصص الديني التي كانت تروي بكثرة ، ومن الاراجوز وصندوق الدنيا ، ولكن هل تستغل هذه الوسائل الجديدة استغلالا طبيعياً ؟ وعلى الاخص : هل يستطيع كل فرد في البيئات الشعبية ان يدخل السينما .. ان يستمع الى الاذاعة بنظام ؟. ان الاجابة عن هذا السؤال تتمثل في مراعاة الوضع الراهن للاذاعة والسينما . فن الواضح ان هذه الوسائل الجديده تسبق في تطورها الالي التكنيكي التطور الاجتماعي لطبقات الشعب التي كانت تعيش في حياتها الوجدانية على فنون شعبية كالتي اشرنا الى بعضها مما يتصل بموضوعنا اليوم . وقد كانت تلك الفنون تستمد اصولها من حياة الشعب والوان مطامحه والصراع الذي يعيش فيه مع نفسه ومع الخارج . ولذلك حصلت تلك الفنون الشعبية على اهتمامات الجماهير ومشاركتها العميقة في بنائها الفني . كانت هموم الناس ومشكلاتهم هي التي تصنع تلك الفنون وهي التي تكون المقياس الاول لتذوقها . ولم يكن للتكنيك شأنه الكبير بل كان الفن فوضوياً حراً لا يخضع لضوابط اكبر منه ، كان يحمل تكنيكه الخاص والضروري ملتصقاً بموضوعاته ووسائل ادائه ، فلم يكن التكنيك منفصلاً ذا سلطة كبيرة على الموضوعات كما هو الامر في الاذاعة والسينما . وعلينا ان ننظر الى دوافع الابداع في الفنون الشعبية ودوافع « الابداع » في الاذاعة والسينما ، فلم تكن الفنون الشعبية مرتبطة بأي حافز من حوافز التجارة او الدعاية، وهي اذا ارتبطت بواحد من هذه الحوافز فهو الارتباط الضئيل الذي لا يصل الى حد التأثير على طبيعة تلك الفنون الشعبية .ففي الاحتفالات الدينية والاحتفالات الاجتماعية لم يكن على الجمهور الذي يستمع الى الشاعر او الراوي الديني اي لون من التبعات المادية بالمعنى المعروف ، وكان الجمهور هو خالق هذه البيئات المختلفة وهو العنصر الاساسي فيها . اما بالنسبة للاذاعة والسينما فقد وقعت المشكلة حينما خضعت هذه الوسائل الفنية لحوافز الكسب المادي وحوافز الدعاية لافكار او نظم معينة . ومن هنا فقد كان التفوق التكنيكي مطلوباً لكي يكون وسيلة اساسية من وسائل الكسب المادي او الدعاية لفكرة تتناقض مع واقع الجمهور ولا تعبر عن حاجته الحقيقية . وحسبنا ان نراجع تاريخ الاذاعة طيلة عهد الملكين : فؤاد وفاروق لنجد انها كانت وسيلة اساسية للدعاية للاستعمار اولاً ثم للنظام الملكي بعد ذلك ثم لاحزاب الاقليات الذين مثلوا الادوات التي اعتمد عليها التخلف الاجتماعي ودعائمه من القوى المعطلة للتطور كالاستعمار والملك والاقطاع واصحاب رؤوس الاموال الكبيرة في المصانع والشركات . اما السينما فقد كانت منذ نشأتها بمصر صناعة رأسمالية تمضي غالباً - ان لم يكن دائماً - في الطريق الذي يخدم المنتجين والممثلين المحترفين الذين انتقلوا من نوادي الارستقراط الى شاشة السينما . والتكنيك دائماً في خدمة الحوافز المنحرفة - اذ انه يخلق الاطار الذي كان يمكن ان يكون تبريراً لهذه الحوافز لدى الوجدان الغريب المرهق الذي لا يعرف كيف ينظر بعمق في ارض غير ارضه كوجدان الطبقات العامة في الشعب بعد ان انفصلت عن تراثها الذي صنعته ووجدت نفسها امام وسائل جديدة للتعبير الفني ، واحست انها لا تستطيع الا ان تقف عاجزة ضائعة امام هذه الوسائل دون ان تملك لها توجيهاً ما .

من هذا العرض العام نرى ان الوجدان الشعبي كان يحاول على الدوام ان يخلق فنونه الخاصة التي تعوضه عن الاشكال الاصطلاحية للفنون كما رأينا في محاولته تعويض وظيفة المسرح بأشكال فنية جديدة . اما اليوم فالوجدان الشعبي يعيش في حالة انفصال عن تراثه القديم ويجد نفسه - في احسن الظروف - وهو يواجه السينما والاذاعة كوسائل فنية جديدة تحاول ان تعوضه - بما يشبه التآمر والتخدير - عما فقده . اما في ظروف اخرى فهو يقتات على فضلات من الفنون بعضها من بقايا الماضي الضائع وبعضها وليد الحاضر الذي يختلط الفن فيه بالدعاية والتجارة . واحياناً يموت هذا الوجدان الشعبي تماماً : فلا مواسم فن ولا غذاء روح ، ويعيش صاحبه كائنا خاليا من كل ملامح الوجود البشري .. كائنا خريفياً جافاً لا مطمح له أبعد من وجوده اليومي المحدود .

اذا حاولنا بعد ذلك ان ننظر الى حياة الطبقة الارستقراطية وحياة الطبقة المتوسطة الكبيرة ، وجدنا ان هاتين الطبقتين قد حققتا مفهوم المسرح بمعناه الاصطلاحي ولكن في حدود خاصة معزولة عن الطبقات الاخرى في المدن او في الريف واعتمادا - في الغالب - على امكانيات غير مصرية من حيث التأليف والتمثيل . فمسرح الاوبرا مثلا قد أنشأته الارستقراطية الحاكمة في عهد الخديوي اسماعيل ، وما زال حتى اليوم يعرض في موسم معين طويل من مواسم العام مسرحيات لفرق اجنبية تزور مصر ويتكون جمهورها الاساسي من ابناء الطبقة الارستقراطية والطبقة المتوسطة الكبيرة. والمسارح الاخرى الموجودة في مصر تركز وظيفتها الاساسية في تسلية ابناء هاتين الطبقتين تحت تأثير الهدف الرئيسي لوجود هذه المسارح وهو الربح المادي دون تحمل

اي تبعة فكرية او نفسية قد تقلل من المكاسب المادية ، وهذا الحافز المادي لا يتناقض مع ما يهدف اليه ابناء الطبقتين : الارستقراطية والمتوسطة الكبرى من تهيئة وسائل الراحة والتسلية في حياتهم الخالية من الاعباء الشاقة في مجال العمل والانفعال معاً .

من هذا كله نرى ان ازمة المسرح الحقيقية قائمة اساساً بالنسبة للوجدان الشعبي ، لوجدان هؤلاء الذين يحملون على اكتافهم بحق عبء الحياة العملية ، ويحتاجون على الدوام الى الفن كضرورة تساهم في تعميق وجودهم وتأكيد قيمتهم الانسانية والاعتراف بكرامة انفعالاتهم والعمل على توعيتهم بها .. ذلك هو الوجدان الشعبي الذي ظل يناضل في صبر لخلق الاشكال الفنية التي تؤدي نفس وظيفة المسرح في حياته . اما وجدان الارستقراط والطبقة المتوسطة الكبرى فهو دون شك يجد غذاءه ومتنفسه في مجالات اخرى لا تتاح للوجدان الشعبي .

ونحن نكتب هذا الموضوع وقد ألفت مصلحة الفنون التي يشرف عليها الاستاذ يحيى حقي لجنة لدراسة وسائل النهوض بالمسرح المصري، وتتكون هذه اللجنة من الاستاذ توفيق الحكيم والدكتور محمد مندور والدكتورة سهير القلماوي والدكتور علي الراعي – ولا شك ان هذه اللجنة تظل ناقصة اذا لم تضم اليها اعضاء آخرين درسوا الحياة الاجتماعية في مراحل تطورها المختلفة . فاللجنة مثلاً في حاجة الى خبراء بشئون العمال وشئون الفلاحين وابناء الطبقة الوسطى الصغيرة لكي تتاح فرصة ممكنة لايجاد المسرح الذي يتلاءم مع الوضع الراهن لتطور هذه الجماعات العامة من ابناء الشعب ثم يتطور مع هذه الجماعات ويساهم ايضاً في دفعها الى طريق التطور . فلن تستطيع اللجنة اداء وظيفتها اذا اقتصرت في دراستها لازمة المسرح المصري على مفهوم قاصر للمسرح يحدده بأنه المسرح الاصطلاحي الذي خلقته الطبقات المستريحة الهادئة ، بل لا بد من النظر الى ابعد من هذا كله في تاريخنا الفني من جانب واوضاعنا الاجتماعية من جانب آخر ، ولا بد من الاعتراف بالوجدان الشعبي كقضية قائمة لها احتياجاتها النفسية العميقه الحادة، وهي احتياجات موجودة وإن طمسها الاضطراب الاجتماعي والقلق الدائم في الدفاع عن قضية البقاء المادي المحض . ومن الضروري ايضاً مراعاة العلاقة القائمة بين المسرح والاذاعة ، وبين المسرح والسينما حيث ان هذه الاشكال الفنية كلها يشترك في بعض الخصائص العامة ويحل بعضها محل الآخر احياناً وفي ظروف معينة، وذلك حين تقف الحاجة الى الفن عند حدود تصبح فيها أشبه بالجنين ككتلة موحدة لم تنفصل اعضاؤها عن بعضها لتؤدي وظائفها المحددة الخاصة ، ولا شك ان العمليات المخلصة التي تحاول ان ترسم حدود كل شكل من الاشكال الفنية بحيث لا يتعداها في اداء وظيفته ، وتعمل ايضاً على تطوير الحاجة الطبيعية الى الفن بأشكاله المختلفة بحيث تصبح هذه الحاجة شفافه الى الحد الذي يميز وظيفة كل شكل من هذه الاشكال ويعرف تماماً ان المسرح مثلاً لا يمكن الاستغناء عنه بالاذاعة او بالسينما ... كل هذا سوف يساهم في خلق مسرح مصري يكون له شأنه الكبير بالنسبة للوجدان الانساني عامة ، بحيث يستطيع هذا المسرح ان يؤدي دوره في حياة المجتمع اداء طبيعياً عميقاً يحس به الفلاح والعامل والموظف ... هؤلاء الذين ساهموا في انشائه وتمكينه من اداء دوره ، ويحس به البناء الاجتماعي العام في علاقاته وفي مفهوماته عن الاشياء بحيث تصبح الحياة ممهدة لميلاد نفسيات جديدة. فاذا كان الفن يفتح نافذة طبيعية صحية تتنفس فيها الانفعالات والازمات التي يمر بها الانسان والتي تكون ناتجة من صراع طبيعي له من أجل تطويع العالم للحياة البشرية ، فان من الممكن ان ننتظر تحول النظرة العدمية التى تملأ نفس الفلاح المصري كلما تأمل الاشياء إلى فن جميل عظيم يتيح لهذا الفلاح ان يواجه العالم بطاقة نفسية اقوى .. فتتحول اغاني العدم الى امنيات عميقة طيبة تطالب العالم بأن يمنح هؤلاء الذين يصنعون اشياء عظيمة جمالاً كالذي يصنعونه .. حبا كالذي يمنحونه .. حياة كالتي يخلقونها في الحياة .

العراق

أنقذوا الجزائر العربية

وجه عدد من المثقفين العراقيين النداء التالي « الى العرب الاحرار اينما كانوا » :

نحن الموقعين ادناه الادباء والفنانين القوميين العرب في العراق نحيي نضال شعبنا العربي في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي البربري الذي ما انفك يرتكب اليوم أبشع مجزرة دامية عرفها التاريخ .

ولا يسعنا ونحن نشاهد اصرار الغزاة الفرنسيين في حربهم الصليبية الجديدة القذرة ، على انتزاع هذا الجزء الحبيب من وطننا العربي الاكبر وفصل ابنائه عن امتهم الواحدة وفرنستهم ، الا ان نعلن عن سخطنا الصارخ على هذه الاعمال الدنيئة التي تأباها الانسانية والضمير العالمي . كما نعلن بهذه المناسبة استنكارنا للموقف الرخيص المخزي الذي وقفته الاحزاب الفرنسية كافة من شعبنا العربي المكافح الصامد في الجزائر الباسلة .

اننا ندعو المفكرين العرب ، واخواننا العرب كافة حيثما كانوا الى مقاطعة فرنسا ثقافياً واقتصادياً . كما اننا نأمل ان تستجيب الحكومات العربية الى رغبة الشعب العربي فتقف من الارهاب الفرنسي الباغي موقفاً حازماً يمد هذا الشعب العربي المناضل في الجزائر بروح المقاومة والشعور بانه جزء من الامة العربية الخالدة التي لم تمت ، ولن تتخلى عنه ، وان مأساة فلسطين لن تمثل من جديد على ارضه ولا في اية ارض عربية مقدسة بعد اليوم .

ان ايماننا بأمتنا المجيدة ذات التاريخ البطولي الحافل ووعيها القومي النامي يجعلنا واثقين بأن ابناءها لن يتخلوا عن إخوان لهم يقاسون من المحن أشدها ويكافحون بضراوة مشرفة في سبيل الابقاء على عروبتهم التي يحاول الفرنسيون الطغاة القضاء عليها .

عاشت الجزائر عربية حرة مستقلة .

عاش اخواننا العرب المجاهدون في الجزائر .

والمجد لشهداء العروبة الاحرار على ارضها العربية .

التواقيع : بدر شاكر السياب – خالد الشواف – كاظم جواد – علي الحلي – عبد الله نيازي – راضي مهدي السعيد – عبد المنعم الدوري – محمود العبطه – حامد يوسف .

فلا بد من رسم خطة شاملة عميقة لخلق المسرح المصري المصري والنهوض به ، على ان تستمد هذه الخطة عناصرها وتحدد أهدافها من سلامة الرؤية للواقع الاجتماعي والنفسي للناس . ولن تكون اللجنة ذات جدوى اذا اقتصرت على مقارنة المسارح الموجودة في القاهرة او الاسكندرية بالمسارح الاوروبية ، ومقارنة المسرحيات التي تكتب بالمسرحيات الاوروبية ... هناك مسرح عظيم آخر لم يتم بناؤه ، فلماذا لم يوجد ؟ لماذا عاش الريحاني في حساب التاريخ المسرحي وانتهى على الكسار ، وقد كان الثاني فناناً عظيماً لم يخرج من صفوف الطبقة المتوسطة الكبيرة كما خرج الريحاني بل خرج من الصفوف البعيدة الهزيلة المزحومة بالتعب والشقاء؟.. أين تضيع تلك الامكانيات الموجودة في شباب ناضر كالزهر.. بلا ربيع ، بلا روض ؟ أين طاقات : نعيمه وصفي وحمدي غيث وعبد المنعم مدبولي ونبيل الالفي وبدر الديب ونعمان عاشور وعبد الغفار مكاوي ومحيي الدين محمد ونجيب سرور ، وعدد كبير آخر من الشباب في معهد التمثيل وخارجه ؟

.. هناك اسئلة عديدة حول قضية المسرح المصري ، وهناك تبعات مختلفة لمواجهة هذه القضية مواجهة مخلصة ، ومن اهم هذه التبعات ان تدرس ظروف الواقع عندنا دراسة كاملة وتحدد اتجاهات التطور المنشود الذي يحتاج الى الفن كدعامة رئيسية من دعاماته ، فسيظل كل اتجاه اصلاحي في الفن عديم الجدوى ما لم يمهد لنفسه بفهم كامل لظروف الحياة الاجتماعية ، بل ما لم يساهم في إيجاد توازن في نفوس الافراد بين العمل والانفعال ، فلن ينطلق الانفعال الصحي الحبيس من او الى كيان نفسي هزيل يلتهم العمل المجهد كل ايامه فلا يبقى فيه سوى معركة مادية متكررة أليمة واستعداد لنفس المعركة كل يوم – وإذا ما فشلت اللجنة التي ألفتها مصلحة الفنون في ارساء دعائم المسرح المصري المنشود فلن تكون اسباب فشلها بعيدة ، بل هي قريبة للرؤية الخاصة ... سيظل الفشل مسيطراً على كل عمل فكري – مهما كانت عظمته وعظمة القائمين به – ما لم يكن هذا العمل منجهاً لمعرفة أصول قضيته في ارضها الطبيعية وعند أصحابها الحقيقيين .. ليس ما ينقصنا هو الامكانيات البشرية بل ان ما ينقصنا هو المساهمة في الكشف عن هذه الامكانيات والقضاء على العوائق التي تمتص قواها وإتاحة الفرصة لها حتى تتنفس وتبدع في المدينة الصناعية الكبيرة وفي القرية الصغيرة المحدودة .

صندوق البريد

«حول .. الادب والتجربة»

•

في العدد الماضي من «الآداب» تناول الاستاذ عبد المحسن طه بدر، مسألة هامة جديرة بالبحث، تلك هي مسألة «الادب والتجربة»... التجربة الانسانية. غير ان المقال قد حوى بعض النقاط محل الخلاف، مما دفعني الى التعقيب.. ودافع آخر دفعني الى ان اكتب هذا التعقيب، وانا مطمئن، هو ثقتي التامة ان وراء مقال «الادب والتجربة» انساناً شريفاً، قد يخطيء كما نخطيء وكما يخطيء الجميع، وقد نختلف معه كما يختلف انسان وانسان، ولكنه قبل هذا وذاك، انسان يبحث عن الحقيقة له وللناس...

واول هذه النقاط التي اود مناقشتها، تلك التي اثارها الاستاذ بقوله: «وليس من حل فيما نرى الا التأمل الواعي لمجتمعاتنا ونفسيتنا تأملاً يستتبع الكشف الصادق المخلص عن واقع هذه المجتمعات، وذلك في سبيل احداث انقلاب جذري في عادات هذا المجتمع ومثله، حتى يمكن ان يتلاءم تلاؤماً طبيعياً سهلاً مع الواقع الحضاري الذي تمر به الانسانية»...

إذن فنقطة البداية بالنسبة للعرب كما يراها الاستاذ، هي «التأمل الواعي»، وانا لا اعتقدها نقطة ابتداء بالنسبة لظروفنا المعاشة، فالتأمل الواعي في واقعنا منهج مطروق منذ زمن ليس بالقصير.. ثم هل العرب حقاً لا يزالون حتى اليوم دون مرحلة «الكشف الصادق المخلص عن واقع هذه المجتمعات» التي يعيشون فيها ؟؟.. انا اقول: لا.. فمثلاً يوم ان كانت مصر تحكم بواسطة قوات الاحتلال حكماً مباشراً، لم يكن هناك من ينكر ان واقع مصر، واقع مستعمره.. وان الاقطاع فيها يشكل واقعاً اقتصادياً له السيادة، وان النظام الملكي يمثل «البناء الفوقي» لهذا الاساس الاقطاعي.. وان الاستسلام للوهم والايمان بالخرافة انما ينبع من الارتباط بالارض عن طريق وسائل الزراعة البدائية.. وانعدام الصناعة الثقيلة التحويلية في المدن، وتصنيع الزراعة في الريف.. لم يكن هناك مثقف شريف ينكر هذا او يجهله..

وليس ادراك الواقع في عالمنا العربي خصوصية لمكان دون آخر، بل اني اعتقد ان كل الشعوب العربية، يعيش من بين ابنائها من يدركون واقعها، ويبصرون حركته الصاعده، ويحاولون دفعها الى الامام... والفرق بين هؤلاء، وبين عامة شعوبهم.. الفرق بين انسان الطليعة، ورجل الشارع، ان انسان الطليعة يدرك الواقع في شمول واحاطة، ويربط بين ظواهر الواقع الذي يعيشه، ليقنن هذا الواقع، ويضع القواعد التي يخوض على اساسها معاركه لتغيير وتطوير هذا الواقع... بينما رجل الشارع يدرك ولكن غالباً ما يكون هذا الادراك من جانب مفرد، وزاوية واحدة، ان نظرته في الغالب وحيدة الجانب غير متصفة بالشمول...

وهكذا نرى بوجه عام، ان ادراك الواقع العربي حقيقة موجودة وملموسة، ولست اعني اننا سنكتفي بهذا المدرك من الواقع، ذلك ان عملية الكشف عن الواقع عملية مستمرة ودائمة، لسبب بسيط وهام، هو ان هذا الواقع متطور متغير متجدد، ولا يمكن فصل عملية الوعي والكشف عن العمل، عن التمرس، عن التجربة والتطبيق، فمن خلال عملنا لتغيير واقع معاش، نلتقي بواقع جديد وجوانب جديدة نعيها ونكتشفها ونعمل على تطويرها.. وهكذا..

ثم.. ان الكشف عن الواقع اذا كان تمهيداً لاحداث «انقلاب جذري في عادات هذا المجتمع ومثله» اذا كان هذا هو الهدف، وتلك هي المسافة التي استوعبتها نظرتنا، فاننا نكون قد حكمنا على عملنا في هذا الحقل بالاخفاق.. وذلك لان عادات المجتمع ومثله، إن هي الا انعكاسات لاوضاع مادية يحياها المجتمع. فانك لن تفصل الاستسلام للغيبيات، والايمان الاعمى بالقضاء والقدر، عن المجتمع الاقطاعي والزراعة البدائية غير المصنعة، وانك ايضاً لن تفصل ازدواج الشخصية وحيرتها بين مصلحتها الفردية، وبين التزاماتها إزاء الآخرين، عن المجتمع الذي تتصارع فيه طبقات، دون ان تكون لها فرص متكافئة، او تقدير عادل لنتائج اعمالها...

ثم.. ما هو «الواقع الحضاري الذي تمر به الانسانية» ؟؟.. والذي نريد ان يتلاءم معه واقعنا الحضاري المنشود ؟؟.. اننا عندما ننظر على نطاق الصعيد العالمي، فاننا لا شك واجدون اكثر من واقع حضاري، نتيجة اختلاف المرحلة التاريخية التي يمر بها الشعب، وتفاوت درجات التطور الانساني لدى كل قومية من القوميات. ونحن لهذا السبب لا نريد ان يتلاءم واقعنا الحضاري، مع واقع اجنبي دون آخر، كما لا نريد ان يتلاءم واقعنا مع جزء من هذا وجزء من ذاك.. وانما نحن بحاجة الى ان نأخذ من كل واقع حضاري ما يلائم احتياجاتنا في هذه المرحلة من التاريخ، وما يساعد واقعنا المعاش، واقع بقايا الاقطاع والاستعمار، على النمو والتطور نحو التصنيع والتثقيل والاستقلال الوطني والثقافة الوطنية.. واحسب انني لا اختلف في هذه النقطة بالذات مع الاستاذ عبد المحسن، وانما اردت فقط ان اشير الى ما في تعبيره عن هذه الجزئية من مقاله، من الغموض والاطلاق..

وهكذا.. فنحن لا ينقصنا التأمل الواعي، كما انه ليس شيئاً معدوماً في واقعنا، حتى نجعل منه الغاية الاولى ونقطة الابتداء التي نسمى اليها الآن، بقدر ما نحن في حاجة الى تحديد موقفنا من القوى التي تتصارع في واقعنا.. مع من نحن ؟؟.. مع القوى النامية والزاحفة نحو الامام.. نحو مجتمع افضل ؟؟.. ام مع القوى التي تحتضر وان بدت في اوج قوتها ؟؟. هذا هو السؤال.. وتلك هي القضية.!!

كما ان «الانقلاب الجذري» لا يمكن ان يكون موجهاً للنتائج.. بل يجب ان يبدأ من المقدمات... ان نقطة البداية انما تكمن في إعمالنا معاولنا في السيء من ابنية الواقع الاساسية، لان تحويلها وتغييرها، هو الكفيل، والكفيل وحده، بتغيير وتطوير «العادات والمثل»... وما لم نسلك هذا السبيل، فلن يكون انقلاباً جذرياً، بل سنظل نحارب طواحين الهواء !!

ونقطة ثانية وخطيرة في ذات الوقت، تناولها الاستاذ في قوله.. «ان الادب وحب رحابة الحياة الانسانية نفسها بما تحفل به من صراع وتضارب، من متناقضات تنشأ عن الصراع بين رغبة الذات وبين شعورها بالمسئولية» وانا الح من الجزء الاخير في هذه العبارة، ان الاستاذ قد قلب القضية رأساً على عقب ؟! فليس الصراع والتضارب والتناقض الذي تحفل به الحياة ناشئاً عن الصراع بين رغبة الذات وبين شعورها بالمسؤولية، بل ان الامر على العكس من ذلك تماماً.. اذ ان الصراع بين رغبة الذات وبين شعورها بالمسؤولية، لا يعدو ان يكون انعكاساً للتناقضات التي تحفل بها الحياة. وهذه التناقضات في الحياة، انما هي من طبيعة تكوين كل وحدة من وحداتها، وكل ظاهرة من ظواهر الكون.. ففي الذرة، وفي المصنع، وفي القرية وفي المجتمع، وفي كل وحدة صغرت ام كبرت، تناقض وصراع

وهذا الصراع بين المتناقضات، هو الذي يتيح لهذه الوحدات النمو والتطور .. فيتغلب قطب على آخر مضاد .. وتتحول الوحدة الى اخرى جديدة وهكذا وباستمرار، فالصراع بين رغبة الذات وبين شعورها بالمسؤولية انما يصور ويبلور جذوراً أعمق لصراع يدور في المجتمع الطبقي وليس هو - الصراع بين رغبة الذات وبين شعورها بالمسؤولية - كل شيء في مجال التناقض والصراع، والا كنا قد حكمنا بانحصار الصراع في الذات، ونكون عندئذ قد أسقطنا من حسابنا الكائنات الموضوعية، والتي هي موجودة بصورة مستقلة عن ذهن وذات الانسان ..

واخيراً .. فاننا، وفي هذه المرحلة التاريخية بالذات، وامام كل هذه الاخطار التي تواجه الانسان العربي من داخل مجتمعاته ومن خارجها، لا يمكن ان نقنع من مثقفينا بالهروب .. الهروب المبرر باننا في مرحلة «التأمل الواعي» بدعوى ان الكشف الصادق المخلص عن واقعنا لم يتم بعد !! والا - لو سلك مثقفونا هذا السبيل - لتحولوا الى احتياطي كبير من الماطلين، الضاربين في متاهة اللامحدود .. إن معركتنا واضحة .. واعداءنا لم يعودوا في عالم الخفاء .. وليس هناك عزل بين الوعي والتجربة فمن خلال التجربة والتمرس العملي نكتشف الجديد في الواقع لننميه، ولنطلقه من جديد ولننمي ثانية هكذا وهكذا .. تلك طريق اعتقد وضوحها وعظيم نفعها للانسان، كما اني اعتقد انها، وهي وحدها، الكفيلة بسحق كل ما هو سيء في واقعنا ودفع عجلة تطور شعوبنا الى الامام.

القاهرة **محمد عماره**

كلمة واجبة

كتب الاستاذ رجاء النقاش في العدد الاسبق من الآداب معلقاً على التقرير الذي رفعه الدكتور محمد حسين استاذ الادب العربي الحديث بجامعة الاسكندرية بشأن دراسة اللهجة العامية وادبها بكلية الآداب، وقد سرد الاستاذ رجاء الخبر كما نقل اليه. ولما كانت المسألة تحتاج الى تصحيح وايضاح احببت ان اجلو بعض نقاطها.

فقد تقدم الدكتور محمد حسين بتقريره الى مجلس الجامعات مبيناً الاضرار التي ستنال العرب ووحدتهم واللغة العربية وادبها ان قررت هذه الدراسات، والتقرير لم يعرض على الدكتور الاهواني ليبدي رأيه فيه، فالدكتور الاهواني «مدرس» والدكتور محمد حسين «استاذ» بل هو استاذ الادب العربي الحديث المختص في الجامعات الثلاث المصرية، والمسألة كلها لم تزل قيد البحث الى الآن.

ويتلخص تقرير الدكتور محمد حسين في الاشارة الى الضرر البالغ الذي سينجم عن السير في هذا الطريق. وهذا الضرر يتشكل في ثلاثة مظاهر بارزة: المظهر السياسي والمظهر الديني والمظهر اللغوي.

اما المظهر السياسي فهو تجزئة الامة العربية الى اركان صغيرة وبعث النعرات الجنسية والعصبية فيها والعرب في هذه اللحظة القلقة من تاريخهم يتطلعون الى وحدة قوية، وقد تبلور هذا التطلع الجدي في الدستور المصري الجديد الذي نص على ان الشعب المصري جزء من الامة العربية. وقد تنبه العرب في السنين الماضية الى هذه الدعوات الهدامة لكل تكتل عربي كدعوى الفرعونية في مصر ودعوى الفينيقية في لبنان.

اما المظهر الديني فيبدو في اقلمة الاسلام بدعوى مجاراة المدنية والعصر وسينتج عن ذلك ان يحاول كل بلد تحوير الاسلام بما يلائم ظروفه فيصبح عندنا اسلام مصري واسلام شامي واسلام عراقي وهكذا، لانه من الطبيعي الا تتفق الامم العربية في الاتجاهات الجديدة التي يسمونها «حركة الاصلاح الديني».

اما المظهر الثالث فهو يرمي الى احياء اللهجات العامية، واحياء هذه اللهجات ايحاء وتشجيع على استعمالها كتابة وهي خطوة لتفكيك عرى الوحدة العربية والتقوقع داخل اطار قومي بيئي خاص بكل دولة عربية، وعند ذلك يصبح من المتعذر على المصري ان يقرأ العراقي وعلى المغربي ان يقرأ الشامي او الحجازي. ولهذا الاتجاه صلة بناحية اخرى كثر فيها الكلام في هذه الايام وهي اصلاح الخط العربي.

فقد نادى البعض بأن قواعد الخط العربي لا تلائم الاصوات المنطوق بها كما انها لا تعين على القراءة الصحيحة. ولو اخذ برأي هؤلاء وحدث تحوير في الخط العربي لانقطعت الصلة بين العرب من ناحية لان كلاً منهم سيذهب في التحوير مذهباً يخالف الآخر ولبترت الصلة بيننا وبين تراثنا المطبوع بالخط العربي الحالي من ناحية اخرى. واعادة طبع هذا التراث على الطريقة الجديدة التي ينادي بها البعض في هذه الايام جهد ضخم يقرب من الاستحالة فضلا عن انه يكلف مبالغ طائلة. ومقارنة الخط العربي بالخط الانجليزي مثلاً تبين انه من اكثر الخطوط مطابقة بين الصوت المنطوق والصورة المكتوبة فحرف الفاء في اللغة الانجليزية يكتب احياناً (F) واحياناً (gh) مثلما نرى في لفظة « Rough » واحياناً (ph) مثلما نرى في لفظة (Philosophy) والامثلة على ذلك كثيرة مثل الكاف التي تكتب احياناً (C) واحياناً (K) واحيانا (G) واحياناً (Ch) وما الى ذلك من هذه الاختلافات العديدة ولكن على الرغم من هذه الصعوبات يندر ان تجد اوروبياً مهما كانت لغته القومية صعبة يخطيء التعبير او الكتابة بها.

هذه اشارة سريعة لبعض النقاط التي تناولها الدكتور محمد حسين في تقريره الذي لم يزل قيد الدراسة والبحث كما ذكرت سابقاً.

كمال نشأت

القاهرة من (رابطة النهر الخالد)

تساؤل وتعقيب

دعا الاستاذ سامي الكيالي المحاضرة في دار الكتب الوطنية بحلب الاستاذ الكبير الشيخ امين الخولي وقرينته الاديبة الدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطيء، وقد لبيا الدعوة مشكورين مكرمين فالقى الاول موضوعاً تحت عنوان «مناهج التفكير» يتضمن رأيه في الادب، ولست بسبيل الكلام على طريقته وفحواه، وانما حفزني الى التساؤل موضوع السيدة الاديبة، فقد كان محاضرة مكرورة منشورة هي المختصر لموضوع كتابها «رسالة الغفران» غير انها غيرت العنوان فجعلته «جنة الغفران» وقد فاتها ان رسالتها الجامعية المذكورة تباع في مكتبات سورية، وان المعنيين ببحثها وتحقيقها اطلعوا عليها، فلماذا اختارت هذا الموضوع محاضرة القتها على جمهور لا يعنى منه بمثلها الا القليل، اكان منها هذا الاختيار تكريما لجيران المعري وتأكيداً لدراستها هذا العبقري من الشام ومناعليهم بذلك، ام انها آثرت اليسر والراحة، وتعميم الفائدة والمتعة باعادة موضوع ينبغي ان يكرر في كل سانحة، ويلقى على الرجال والنساء من محبي الادب القديم والحديث؟

ولو ان الاديبة البارعة آثرت التكرار في هذا فحسب لما عناني القول في انها كررت الاعادة بدمشق، حيث القت في النادي العربي محاضرة تحت

عنوان « المرأة في حياة الادباء المعاصرين » فخيل الي والى المستمعين الذين يقدرون قدر الكاتبة المصرية القديرة ، انها ستلقي عليهم جديداً مبتكراً شائقا ، يروق السامعين ويمتعهم ، ولا ادري وانا اسمعها كيف ارتد خاطري الى هذا الموضوع الذي نشرته صاحبته في مجلة « الكتاب » عام ١٩٤٧ من السنة الثانية والجزء العاشر ، وكان تحت عنوان « حواء الملهمة » والعدد خاص بشوقي وحافظ ، على ان « المحاضرة » الفاضلة بدلت من المطلع قليلا واضافت الى خاتمة القول صفحة جملتها تنفيسا وتفريجا ، اذ لمزت فيها الشاعرين عزيز اباظه وعبد الرحمن صدقي ، كما تهكمت على الادباء العقاد والحكيم والزيات الذي لم تذكر اسمه ، وانما وصفته بأنه كاتب من كتاب الصحافة ، ولهذا الوصف قصة تعود الى عشر سنوات ، وقد عرفها الذين قرأوا نقد السيدة عائشة لكتاب « دفاع عن البلاغة » للاستاذ احمد حسن الزيات ، وفي النقد تجنت السيدة على مؤلف الكتاب ، فغضب وكتب رداً فنيا بليغاً حفظه اكثر الذين اطلعوا عليه منشوراً في مجلة « الكتاب » ١ وفي هذا الرد ذكر الاستاذ الزيات كلمة « الخرعة » التي صور فيها انامل الناقدة . وبعد فان بعض التكرار الذى حصل بموسم المحاضرات في سورية دليل واضح على اكثر من شيء واحد ، وهل نسيت الاديبة بنت الشاطيء ان في المستمعين المطلعين بسورية من لا يفوته ما صنعت مها تكن الاسباب والمعاذير ، ومهما تقل الحرية والحقيقة في ذلك . فان في طاقتها وفيض ادبها وهي الكاتبة المرموقة ان تأتي سورية بجديد من قلمها وبحثها ، كما كان المنتظر في « الندوة الثقافية النسوية » وقد طلبت ان تتكلم فيها الضيفة المكرمة ان لا تطالع النخبة من سيدات سورية بموضوع انشائي رجعي يحتوي الدعوة لتمجيد الامومة وهل في الدنيا امرأة تزدري الامومة ؟

لقد خلطت الدكتورة عائشة موضوعها هذا بمقال لها عن النهضة النسوية نشرته في مجلة الكتاب ٢ وما قالت في دمشق عن تقديس الامومة نشرته في الهلال عدد ابريل ١٩٥٦ .

هذه الصورة من حياة الادب بمصر والبلاد العربية مدعاة للتساؤل والعجب ، ولو عرف الادباء والمفكرون ان الوعي الحديث لا يدع الاستهانة بالقراء والمستمعين دون مؤاخذه أو ملاحظة لكانوا اكرم على أنفسهم وتفكيرهم مهما يكن التأويل للتكرار والاجترار ، على أن التبعة الاولى في هذا على المسؤولين الغافلين ، وفيهم من يؤخذ بالبريق ، و يغرى بالتلفيق .

دمشق — **وداد سكاكيني**

حول (الظل الكبير)

ان كانت مهمة الناقد في هذه المرحلة من مراحل حياتنا توجب عليه ان يتناول الادب تناولا علمياً ويدرسه دراسة موضوعية ليكشف عما في مضمونه من دلالات اجتماعية وما في شكله وصياغته من قيم فنية دون مواربة او مجاملة ، فان من اهم مهامه ايضاً ان يشيد بكل كفاءة ادبية ويجلي مواهبها ويبرز خصائصها وامكانياتها .

لهذا كان الزميل الناقد نجيب سرور متجنياً على الآنسة سميره عزام حين تعرض بالنقد لمجموعتها القصصية « الظل الكبير » في عدد الآداب الماضي . فهو بعد ان استفاض في تناول المجموعة بالتحليل والنقد فيما يقرب من خمس صفحات طوال ختم مقاله بقوله انه قد تعمد ان يركز بصره على الجانب غير الوضيء من مجوعة « الظل الكبير » .

ومع توفر حسن النية عند نجيب واخلاصه وتمثله للمنهج العلمي النقدي ، الا ان الظاهر انه قد نسي ان الجمهور طرف ثالث في كل دراسة نقدية ، وان الصورة التي يخرج بها القاريء عن الكاتبة من مقاله ليست صورة صحيحة كاملة لسميرة عزام .

بدأ نجيب مقاله بتبويب قصص المجموعة في قضايا ثم تعرض لما لهذه القضايا من امتداد في الواقع الحي المتطور للمجتمع . وكانت اولى هذه القضايا واهمها قضية المرأة الشرقية التي تنبع منها اربع قصص (الظل الكبير) و (نصيب) و (ستائر وردية) و (القارة البكر) وقد رأى نجيب ان الهزيمة هي طابع النهاية في كل قصة منها مع اختلاف في الكيفية التي تتحقق بها هزيمة المرأة في كل قصة .

ففي قصة (نصيب) دال نجيب على طابع الهزيمة في نهاية القصة بقوله (تموت صيحة العروس فلا يسمعها احد ، لا الكهان ولا الناس . لقد ضاعت في ضجة صوت لف الكنيسة . صوت هؤلاء جميعاً يختمون زواجها بانشودة العروس) . (لا .. لا اريد) لم تستطع ان تقولها (لانها في واقع حالها لا يمكن ان تختار .. لا يمكن ان تمارس ارادتها ككل شرقية فهي مشلولة الوجود)

والحقيقة انه لا مجال امام الفتاة الشرقية التي لم يتقدم لخطبتها احد الا ان توافق على اول عريس يتقدم اليها وتقبله اسرتها . فهي ان رفضته اضاعت على نفسها فرصة لا تدري هل تحين لها مرة اخرى ام لا تحين ..

ولست ادري لماذا شاء نجيب ان يصف صيحة العروس التي ضاعت في ضجة الجميع بالهزيمة والفشل . لماذا لم ير فيها استغاثة الغريق وهو يصرخ بكل كيانه ليجمع حوله الانظار ، ولماذا لم ير في هذه الصرخة كل معاني الاحتجاج والثورة ؟

يكفي ان تفكر العروس في ان ترفض زوجاً لم تختره بملء ارادتها وان تجاهد لكي تصرخ « لا .. لا اريد » لتكون بعيدة عن السلبية . ويكفي سميره ان تعرض قصتها من هذه الزاوية لتكون قد اتخذت موقفاً عاماً من قضية المرأة الشرقية هو عين الوعي والتحرر .

واذا كان في موقف العروس في قصة (نصيب) ما يمكن ان يوسم بالسلبية (فقد يستطيع القصاص ان يصور الشخصيات السلبية على وجه يتحقق معه ما ينبغي للفن من وظيفة انسانية اجتماعية وعناصر جمالية بان يثير فينا تعاطفاً مع ضعفها اذا رد هذا الضعف مثلا الى عوامل نفسية قاهرة لا تستطيع منها فكاكاً) كما يقول الدكتور القط في كتابه (في الادب المصري المعاصر)

ولعل هذه الفقرة تلقي ضوءاً كبيراً على قصة (الظل الكبير) وتقف بقصة (ستائر وردية) و (القارة البكر) الى جوار قصة (نصيب) .

والذي احب ان اؤكده ان نظرتنا الى اعمال سميره عزام يجب ان تكون من خلال ما تستطيع امكانية المرأة ان تطوره انطلاقاً من وضعها الراهن ومن ظروف المجتمع وتقاليده .

وان كان بنتاج سميره بعض الظلال الفردية والتجارب الذاتية كما اشار نجيب وافاض في التدليل على ذلك فيغفر لها ان ادبها دون نزاع هو اولى المحاولات الاصيلة الجادة في ادبنا المعاصر التي تمس قضية المرأة مساً مباشراً .. وان تصديها للدفاع عن نصف المجتمع الشرقي وتحريره ليجبرنا على ان نقدر اعمالها كل التقدير .

واخيراً لا انسى ان اهنيء الزميل نجيب سرور على بحثه الموضوعي الشيق عن قضية المرأة الشرقية وعلى ما طرقه في مقاله من آفاق نقدية جديدة ..

بدر نشأت

القاهرة — « من رابطة النهر الخالد »

---

١ السنة الاولى فبراير ١٩٤٦ . ٢ السنة السادسة عدد يناير ١٩٥١ .